الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الباراديغم الأخلاقيّ في الحوض المعرفيّ لدى الإمام السجَّاد عليه السلام رؤية حضاريَّة

أ. د عمر عيسى عمران

كلية العلوم الاسلامية – الجامعة العراقية

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : الباراديغم الأخلاقيّ في الحوض المعرفيّ لدى الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعـداد : أ. د عمر عيسى عمران

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الأولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ٢٦٠

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصّلاة، والسّلامُ على خير من مشى على الأرض، وسيّد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور التِّمام....

وبعدُ...

فبفضلِ الله عزّ وجلّ، ومنّهِ وصلْنا إلى النُّسخةِ العاشرة من مهرجان(تراتيل سجّاديّة) المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنةٍ شعارٌ، ومشاركون جددٌ، ومطبوعاتٌ جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثَهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السجّاديّة(زبور آل محمّد) واضحةٌ في أعداد الشروح التي تناولتْها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا، و أدبائنا على هذا الإرث الثريّ بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكّرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما المسيحيّون وجدتُ لديهم الاهتمامَ الكبيرَ بالصّحيفة السجاديّة، والمناجاة الخمس عشرة، ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعمًا لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) علمًا أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديدٍ في الإمام زين العابدين السجّاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية
لمهرجان تراتيل سجادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

اللهم بذكرك أستفتح مقالي، وبشكرك أستنجح سؤالي، وعليك أتوكَّلُ في كُلِّ أحوالي، وإيَّاكَ آملُ؛ فلا تخيب آمالي...

اللَّهُمَّ بذكرِكَ أستعيذُ وأعتصم، وبركنك ألوذُ وأحتزم، وبقوتِّكَ أستجير وأستنصر، وبنورك أهتدي وأستبصر، وإيَّاك أستعين وأعبد، وإليك أقصد وأعمد، وبك أخاصم وأجادل، ومنك أطلب ما أحاول، فأعني يا خير المعينين، وقني المكاره كلها يا رجاء المؤمنين..

اللهم إني أشهدك وأنت أقرب الشاهدين، وأشهد من حضرني من ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، من الجِنَّة والنَّاس أجمعين أنَّ مُحمَّدًا نبيّك المرسل، ووليّك المفضّل، وشهيدك المعدّل، المؤيّد بالنور المضي، والمسدّد بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح بيانها في كتاب مهيمن على كُلِّ كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون وتفصيل الشؤون، وفرض الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام، فدعا إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقّ وظهر، وزهق الباطل وانحسر صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ما جرت النجوم في الأبراج، وتلاطمت البحور بالأمواج، وما ادلّهم ليلٌ داج، وأشرق نهار ذو ابتلاج، وصلّ عليه وآله ما تعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبرت الأفهام، وما بقي الأنام. اللهم صلِّ على محمد خاتم الأنبياء وآله البررة الأتقياء، وعلى عترته النجباء الخيرة الأصفياء، صلاة مقرونة بالتمام والنماء، وباقية بلا

فنـاء ولا انقضـاء. اللهم ربّ العالمين، وأحكم الحاكمـين، وأرحم الراحمين، اللهم آمين.

أمَّا بعْدُ؛ فلا يُعدُّ الحديث عن الإمام السـَّجاد عليه السـلام رابع أئمة أهل البيت عليهـم السـلام من الأحاديـث المكرورة على الرغـم من كثرة الكتابـات عن هذه الشـخصية الخالـدة في سـماء الفكر الإنسـانيّ فضلاً عن الإسـلاميِّ؛ فقد ضرب الإمـام زين العابدين عليه السَّـلام أروع الأمثلة الخالدة في الوجدان، في تجسـيد الخلـق المحمّـدي العظيـم في التزاماتـه الخاصة، وفي سـيرته مع النـاس، بل مع محيطـه؛ فكانـت تتبلور فيه شـخصيّة القائد الإسـلامي المحنّك الـذي جمع بين القابليّـة العلميّة الراقية، والفضل والشرف السَّـامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكهـا، ومواجهـة المشـاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وتـوءدّة وهدوء.

وهنـا لا بُـدَّ من الإشـارةِ إلى أنَّ الباراديغم الأخلاقـي الذي مثَّلَهُ الإمام السـَّجاد «عليه السـلام» يكتسب أبعادًا إبستمولوجية وسيسـيولوجية مختلفة ومتنوعة، ممَّـا تُعطـي مشروعَهُ الأخلاقي ميزة تكاد لا توجـد عند غيره، وهي أن الحوض المعرفي بأكمله يقوم على مدخليَّة الخُلُقِ في المشروع الحضاريِّ عنده، حيث يرتكز على ثلاث أثافي:

الأولى: الاسـتقامةُ من حيثُ بعدُهَا العقدي؛ إذ تتجلى معرفة الله تعالى بوصفها بُعدًا محوريًّا ومركزيًّا في الباراديغم الأخلاقي كمَا هو واضحٌ في تعاليم الصَّحيفةِ السجَّاديَّةِ.

الثانيـة: الاسـتقامة الذَّاتيـة، وتتأتـى من خـلال معرفة الشـيطان، ووسـائله، وحبائله؛ حيث يمثِّلُ البُعْدَ السلبي الخارجي للإنسان الذي يضع أمامه العقبات، ويـبرز التحديَّـات التي تحـول دون وصوله وتحقّقه بالمعانـي الإيمانية كما هو واضحٌ في رسـالة الحقوق.

الثالثة: الاستقامة النَّفسيَّةُ؛ حيثُ معرفةُ النَّفسِ ودواخلها، وهذه معرفة مهمة امتاز الامام السجاد «عليه السلام» برسم معالمها وصوَّرَها بشكل قد لا نجده إلا في كلمات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا واضح في أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ وكثير من أشعاره المتناثرة في أمَّات الكتب والمصادر الروائية الحديثية.

إن الباراديغم أو ما يصطلح عليه بالنموذج، هو مفتاح من المفاتيح التي تمكِّننا من فهم طبيعة الأشياء، وتجعلنا ندرك كيف تتناغم مكوناتها فيما بينها بصورة تجعلها وحدة متجانسة، أو مجموعات مختلفة تتنافس فيما بينها بشراسة سعيًا للسيطرة وتحقيق المصالح.

من هنا نبحث عن ما يسمى بـ» الباراديغم» أي النموذج في كيفية تفكير الإنسان في الأمور والأشياء والأحداث المرتبطة بالواقع، اعتمادًا على مجموعة من المفاهيم والنظريَّات التي تَرسم وجهة نَظر معينة حول موضوع محدد، سواء كان في الفنِّ، أو الأدب، أو السياسة، أو الفيزياء ونحوها.

فعلى سبيل المثال كان إيميل دوركايم يولي اهتمامًا بموضوعة الأديان والرَّوابط التي تربط فئة العمال، وكذا كيفية تقسيم المهام داخل المجتمع؛ فرأى أن الأسرة في معظم المجتمعات تضطلع بوظيفة تنشئة الأطفال، وتعليمهم كيفية العيش داخل المجتمع، وهذه الوظائف الاجتماعية تأخذ شكلين من الوظائف: الأولى: وظائف واضحة، والثانية وظائف كامنة.

بهذا المعنى، فالوظائف الواضحة لبنية اجتماعية معينة تكون نتائجها واضحة، في حين الوظائف الكامنة تكون غير مقصودة أو غير معترف بها، فنحن غالبا مثلا ما نفكر في أهداف المدرسة، المتمثلة في تزويد الأطفال بالمعارف، وهي وظائف واضحة، ولكنها أيضا يُمكن أن تساعد الأطفال على التواصل الاجتماعي بوصفها وظيفة من الوظائف الكامنة، هذه الأخيرة قد تتجلّى في غرض إضافي

آخـر هو خلق قوة عمالية تكون خاضعة للسـلطة وتلتزم بتوجهاتها.

الخلـل لا بـد أنـه يصيـب هـذه البنيـات الاجتماعيـة، ويُعَطـل عَمَلهـا، فالتطـور التكنولوجي هو مُحَرك حاسم في تحسين اقتصاديَّات المجتمعات، فهو إذن يكتسب وظيفة مفيدة، لكنه في الوقت نفسه مزعزع للاستقرار، فقد يؤدي إلى خسارة الناس لوظائفهم، وهذا قد يقود إلى ملامسة إحدى مشاكل مدرسة النظرية البنيوية، فإذا كانت بنيات المجتمع تعمل بشـكل منسـجم ومسـتقر، فإنَّهَا قد تجد صعوبات في التّعامـل مـع التغيير، وتقديم تفـسير وفهم جيد لهذا التغـيير، أو التحولات، ومن ثمَّ السـقوط في تفسير الأشياء السـيئة في المجتمع بوصفها ذات وظائف ايجابية لا ينبغـي تغييرها، كما في تصـور التحليل البنيوي لوظيفة الفقـر مثلاً؛ فمع الضرر الحاصـل الذي يمكن أن يلحق الناس بسـبب الفقر، إلا أنه يعـدُّ وظيفيًّا للمجتمع، لأنه يضمن أن هناك حاجة ماسة للعمل من طرف الأشخاص الذين يحرصون على عدم الوقوع فيه، ومن ثم يرى هذا الاتجاه أن أية محاولة للتخفيف من حدّة الفقر قد تكون مسـاؤوها ضارة، وليست في صالح المجتمع([1]).

مـن هنـا يمكن القـول أن النمـوذج الأخلاقي الذي وضعه الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ كفيـلٌ بـأن يحـرر نظرية فلسـفية اجتماعية جديـدة تقوم على مركزيـة الخلق في الحوض المعرفي بحيث تتشـكل معالم وعناصر قوة المجتمع من خلال التوئمة بين المعارف الدينية والاجتماعية والعلمية وتكامل الحقيقة والشريعة، وتعاضد العلم والعقل والدين، وتلبية حاجات الروح والجسد بعيدًا عن نظرية الصراع التي ترى بـأن المجتمع يتألف من مجموعات مختلفـة تكافح وتصارع للحصول على الموارد القليلـة من قبيل المال، السـلطة، الأرض والغذاء... هـذه النظرية تصور المجتمع

١- إضاءة حول مفهوم البراديغم في التحليل السوسيولوجي، محسن زردان، https//:www.hespress.com.

وتعده مُجَرد طبقات مختلفة على أساس العلاقة التي تربطها بوسائل الإنتاج التي تمتلكهـا البورجوازيـة، في مقابل البروليتاريا، أو الطبقة العمالية التي تَبيع عملها من أجـل البقاء كما هو الحال في الفكر الماركسي.

وبعيدا أيضًا عن نظرية صراع الأعراق التي تركز في تحليل المجتمع على أسـاس التفاوتـات الاجتماعية نتيجة للصراع بين مختلف المجموعات العرقية والاثنية.

مـن جهة أخـرى، هناك نظرية الصراع بين الجنسـين، من خلال كشـف مظاهر عدم المساواة بين الرجل والمرأة داخل المجتمع، وقد اتَّسع مداها والاهتمام بها في عصرنا الحديث.فهذه جميعا باراديغامات أو نماذج اجتماعية لم تسهم في طمأنة الأفـراد والمجتمعات لأنها ببسـاطة عبارة عن حلبـة صراع لا تكاد تنتهي واحدة منهـا حتـى تبدأ أخرى، ومـن ثم لم توفق هـذه الباراديغمـات في اعطاء صورة واضحة لرؤية العالم.

لأجل ما تقدم سـنحاول هنا في هذا الكتاب أن نرسـم صورة واضحة متكاملة عن جميـع مـا تقدم مـن خلال الحوض المعرفي لدى الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا شـكَّ أن هذا البحث بهذا اللحاظ هو باكورة الدراسـات السيسـيولوجية المعاصرة، ومن هنا فهو عمل يحتاج إلى تتميم وإكمال، ويكفي بحثنا أنه لفت النظر إليها، وأشـار للباحثين عن كنز يمكنهم من خلاله رفد التراث السجّادي بكثير من النتاجات التي لا تنقضي ما دامت تلك الكلمات الخالدة موجودة ونقرأها يوميا والتي هي بلا شك تخرج من مشكاة نورانية مشكاة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لذا الخطأ متصور ما دام أنه باكورة الدراسات في هذا المجال ونترك الباب مشرعًا للتصحيح والتكميل والتتميم.

الفصل الأول
الإطار المفاهيمي

المبحثُ الأوَّل
محدِّداتٌ معرفيَّةٌ، ومصطلحاتٌ مفاهيميَّةٌ

- الإمـام ابـن الخيرتـين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ملامح السـيرة العطرة ومعالم المسـيرة الجهادية[١].

يقـال إن توضيـح الواضحات مـن المفضحات، ومـن المعايب التي يُنزَّهُ الإنسـان عنهـا؛ فالواضح ضـد الخامل، لوضوح حاله وظهور فضلـه، ولا أوضح حالا ولا أكثـر ظهـورًا في الفضل من حديثنا عن الإمام زين العابدين السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لكن انطلاقًـا من المنهجية العلمية التي تفرض التقدمة بتعريف الشـخصية التي يدور حولها محتوى البحث ومضمونه، أسرد هنا تعريفًا بالإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ايمانًا مِنَّا أنَّ الأرواح تخفُّ بذكر سير الصالحين العلماء الزاهدين، وتبتهج بذلك، وتطير فرحًا:

ثقُلـتْ زجاجـاتٌ أتتنـا فرّغًا حتـى إذا امتـلأت بـصرف الرَّاح
خفَّـتْ وكادتْ أن تطـير من الهوى إن الجسوم تخف بالأرواح[٢].

١- ينظـر: مقاربـات الإسلاموفيليـا في خطاب الصحيفة السـجادية، كتابنا المقـدم إلى مهرجان تراتيل سـجادية في نسخته التاسعة.

٢- القائـل هـو الشـيخ عبد الكريم شرارة، ابن الشـيخ موسى ولد في النجف سـنة ١٢٩٧ وتوفي في بنـت جبيـل سـنة ١٣٣٢. وقد تركه والده في النجف عند قدومـه إلى جبل عامل وعمره يومئذ عشرة أشـهر وقدم بعد وفاة والده إلى جبل عامل وعمره ١٢ سـنة فدرس أولا في مدرسـة السيد علي محمـود الأمين في شـقرا ثـم انتقل إلى مدرسـة السـيد نجيـب فضل الله في عيناتـا ثم توجه إلى النجـف سـنة ١٣١٩ فلبـث يدرس على اعلامها إلى سـنة ١٣٢٩؛ حيث عـاد إلى بلاده؛ فقدت كتبـه وآثـاره العلمية وآثار والده عندما أحرقت بنت جبيل سـنة ١٩٢٠م؛ فاحترقت في جملة ما حـرق، وبقـي من آثاره بعض تعليقـات علمية على قطعة من شرح والـده على الشرائع تدل على بعـد نظـره وقوته العلمية وبعـض الصفحات من شرح له على منظومة والـده في أصول الفقه. أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الامين، مطبعة

هـو الإمـام علي بـن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجدتـه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وبضعته، وأبوه الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه اسـمها (شـهربانو)، أو (شهربانويه)، أو (شاه زنان) بنت يزدجر آخر ملوك فارس[١].

ولادته «عليه السلام» ونشأته

ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبويـة الشريفة في شـهر شـعبان، واختلف المؤرخـون في يوم ولادتـه ومكانها، فبعضهم حكى أنَّه ولد في الكوفة[٢]، فيما قال آخرون أنَّ ولادته كانت في يثرب[٣]. «عـاش حوالي سـبعًا وخمسين عامًا، قضى بضع سـنين منهـا في كنف جدّه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثم نشـأ في مدرسـة عمّه الحسـن وأبيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سبطي رسـول الله ﷺ))، واسـتقى علومه من هذه المصادر الطاهرة»[٤].

الانصاف، بيروت، د. ط، ١٩٥٩م: ٨/ ٤٣.

١- يُنظـر: اعلام الهدايـة، الامام علي بن الحسين زيـن العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليه السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ: ٦/ ١٩ - ٤٨.

٢- شـذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت: ١/ ١٠٤.

٣- الفصـول المهمـة في معرفـة أحوال الأئمة (عليهـم السلام)، علي بن محمد بـن أحمد المالكي، الشـهير بابـن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسـة الأعلمي للمطبوعـات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ص١٨٧.

٤- قال الإمام محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في سـبب تلقيبه بالسـجَّاد أن أبا علي بن الحسين ما ذكر لله عز وجل نعمة عليه إلا سـجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سـجود إلا سـجد، ولا دفع الله عز وجل عنه سـوءا يخشـاه أو كيد كائد إلا سـجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمي السـجاد لذلـك». ينظـر: الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسـة تحليلية، مختار الاسـدي (معاصر)، مركز الرسـالة، د. ط، د. ت: ١/ ١٢.

كنيته «عليه السلام»

للإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أربع كنى: أبو الحسين، أبو الحسـن، أبـو محمد، أبو عبد الله.

ألقابه «عليه السلام»

اللقـب هـو مـا أشـعر بمـدح أو ذم، وللإمام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ألقاب كثيرة تشـعر بالثنـاء عليـه ومدحه؛ كيف لا وهي نابعة من خصاله وصفاته الزاكية، وما اتسـم به من محاسـن الصفـات ومكارم الاخلاق، وعظيم الامتثـال والطاعة والخضوع والعبـادة لله، وهذه بعضها:

زيـن العابدين، سـيد العابديـن، ذو الثفنات[١]، السـجاد[٢]،. الزكـي، الأمين، ابن الخيرتين[٣].

إمامته «عليه السلام»

وقع الاتفاق بين عموم المنتسـبين لأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ على أن رسـول الله صلى الله عليه وآله قد نصَّ على علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن أباه وجدَه نصَّا عليه كما نصَّ

١- الثفنـة مـن البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا اسـتناخ وغلـظ كالركبتين. ولعلّ وجه إطلاق (ذو الثفنات) على السـجّاد عليه السلام كثرة سـجوده بحيث صار مواضع سـجوده ذا ثفنة، وكان يقطعها في السـنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات، فسـمي ذا الثفنات لذلك. يُنظر: بحار الانـوار، العلامة المجلسي: ٣٦/ ٢٦٠.

٢- بحـار الأنـوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الشـيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣هـ: ٨٣/ ٢٠١.

٣- لُقِّـبَ بابـن الـخيرتين؛ لَأنّ أباه هو الحـسين بن علي بن أبـي طالب (عليهما الـسلام)، وأمّه مـن بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحـروب، وعُرض عليها الزواج فاختارت الإمام الحـسين (عليهمـا السلام)؛ فتزوجهـا تكريماً لها. يُنظر: تذكرة الخواص، لسـبط بن الجوزي: ص٢٩١؛ عبـادة الامـام زيـن العابدين وشرح الصحيفة السـجادية، باقر شريـف القرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيـق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، مؤسسـة الامام الحسـن (عليه السلام)، النجـف الاشرف، د. ط، ١٤٣٥هـ: ص٢٠- ٢٤.

عليه الرسول عليه السلام، وبذلك كان إمامًا للمؤمنين[١].

وقد أقاموا الحجج والبراهين وجمعوا النصوص الدالة على إمامته عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكتب[٢]؛ ثمَ إن خصال الفضل الموجب للتقدم ووجوهه، في عصْر التَّابعين، هي: العلم بالدين، والإنفاق في سبيل الله، والزهد في الدنيا، وقد اجتمعت كلّها في شخص الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ [٣].

١- يُنظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ: ص٤١.

٢- يُنظر: الكافي، لأبي جعفر بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الاسلامية، مطبعة الحيدري، ط٣، ١٣٨٨هـ: ١/ ١-٢٤٢.

٣- يُنظر: الإفصاح في الإمامة، للشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد(ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ: ص ٢٣١.

المبحث الثاني
مفهوم الأخلاق

الأخلاق لغةً واصطلاحًا:

الأَخْلاق جمع خُلُق، والخُلْقُ والخُلُقُ: السجيّةُ مشتقٌّ من الخَلْق بمعنى التقدير لأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ خُلُقُه كما قدِّر عليه خِلْقَتُهُ، وَفُلانٌ خَلِيقٌ بِكَذَا، وَأَخْلِقْ بِهِ، أَيْ: مَا أَخْلَقَهُ، أَيْ: هُوَ مِمَّنْ يُقَدَّرُ فِيهِ ذَلِكَ. وَالْخَلاقُ: النَّصِيبُ; لأَنَّهُ قَدْ قُدِّرَ لِكُلِّ أَحَدٍ نَصِيبُهُ، يقال: خالِص المُؤْمِنَ وخالِق الفاجِرَ[1]، وفلانٌ مطبوع على خُلُق سيّء، وعلى خُلُق كريم[2]، وقولهم: فلانٌ يَتَخَلَّقُ بغير خُلُقِهِ، أي يتكلَّفه. وَفِي الحَدِيثِ: ((مَنْ تخلَّق لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللهُ أَنه لَيْسَ مِنْ نَفْسه شَانَهُ اللهُ، أَي تكلَّف أَن يُظهر مِنْ خُلُقه خِلاف مَا يَنطوِي عَلَيْهِ، مِثْلُ تصَنَّعَ وتجَمَّل إِذا أَظهر الصَّنِيع وَالْجَمِيلَ، وتَخلَّق بِخُلُق كَذَا: اسْتَعْمَلَهُ مِنْ غَيْرِ أَن يَكُونَ مَخْلُوقًا فِي فِطْرته، وَقَوْلُهُ: تخلَّق مِثْلَ تَجمَّل أَي أَظهر جَمالاً وَتَصَنَّعَ وتَحسَّن، إِنَّما تأْوِيلُه الإِظْهار، وقولهم: خالَقَ الناسَ: عاشَرهم عَلَى أَخلاقِهم))[3].

و((الخُلُقُ، بِضَمِّ اللام وَسُكُونِهَا: هُوَ الدِّين والطبْع وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّه لِصورة الإِنسان الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسه وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصةُ بِها بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورَتِه الظَّاهِرَةِ وأَوصافها وَمَعَانِيهَا، وَلَهُمَا أَوصاف حسَنة وَقَبِيحَةٌ، والثوابُ وَالْعِقَابُ يَتَعَلَّقَانِ بأَوصاف الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ أَكثر مِمَّا يَتَعَلَّقَانِ بأَوصاف الصُّورَةِ

١- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٤/ ١٤٧١؛ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢/ ٢١٤؛ لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٨٦.

٢- ينظر: العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي, تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي, بدون طبعة, دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، د. ت: ٢/ ٢٣.

٣- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي: ٤/ ١٤٧١؛ لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٨٦-٨٧.

الظَّاهِـرَةِ، وَلِهَـذَا تَكَـرَّرَتِ الأَحاديث فِي مَدح حُسـن الْخُلُـقِ فِي غَيْرِ مَوْضِـعٍ كَقَوْلِهِ تعالى: «مِن أَكثر مَا يُدخل الناسَ الجنَّةَ تَقْوَى الله، وحُسْـنُ الْخُلُقِ»[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَكملُ المؤْمنين إِيماناً أَحْسنُهم خلُقاً»[٢]، وَكَذَلِكَ جَاءَتْ فِي ذَمِّ سُوءِ الْخُلُـقِ أَيضـاً أَحاديث كَـثِيرَةٌ. وَفِي الحَدِيثِ: كَانَ خُلُقه القرآنَ، أَي كَانَ مُتَمَسِّـكًا بِهِ وَبِآدَابِهِ وأَوامره وَنَوَاهِيهِ وَمَا يَشْـتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَحَاسِنِ والأَلطاف))[٣].

و((حقيقة الخلُق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسـان نفسـه من الآداب سـمي خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه, فأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم[٤] فيكون الخلق الطبع المتكلف، والخيم هو الطبع الغريزي))[٥].

وأمـا الخلـق اصطلاحًا؛ فهو: ((ملكة نفسـانية يسـهل على المتصـف بها الإتيان بالأفعـال الجميلـة. واعلم أن الإتيـان بالأفعال الجميلة غير وسـهولة الإتيان بها غـير، فالحالـة التي باعتبارها تحصل تلك السـهولة هي الخلق ويدخل في حسـن الخلق التحرز من الشـح والبخل والغضب، والتشـديد في المعاملات والتحبب إلى

١- مسـند أحمـد بـن حنبـل، تحقيق: شـعيب الأرنـؤوط، وعادل مرشـد، وآخرون, مؤسسـة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث (٩٦٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن؛ الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ومعرفة الصحيـح والمعلول وما عليه العمل, المعروف بسـنن الترمذي, محمد بن عيسى بـن سَـوْرة بن موسى الترمـذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانـي, دار المعارف، الرياض، د. ط، ١٤١٧هـ. أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث (٢٠٠٤) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

٢- مسـند أحمـد، رقم الحديـث (١٠٨١٧) وقال شـعيب الأرنؤوط: حديث صحيح؛ سـنن أبي داود، سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني، تحقيق: محمد ناصر الديـن, دار المعارف، الرياض، د. ط، ١٤١٧هـ. كتاب: السـنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (٤٦٨٢) وقال المحقق: حسـن صحيح.

٣- لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٨٦-٨٧.

٤- الخِيمُ: الشِّيمَةُ، وَهِي الطبيعة والخُلُق؛ تهذيب اللغة، الأزهري: ٧/ ٢٤٧.

٥- النكـت والعيـون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشـهير بـالماوردي، تحقيق: السـيد ابـن عبد المقصود، بدون طبعة، دار الكتـب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت: ٦/ ٦١.

النـاس بالقـول والفعل، وترك التقاطـع والهجران والتسـاهل في العقود كالبيع وغـيره والتسـمح بمـا يلزم من حقوق من له نسـب أو كان صهراً له وحصل له حق آخر))[١].

وقيل: ((الخُلُقُ ملكة تصدر عنها الأفعال بلا روية؛ كمن يكتب شـيئا من غير أن يروي في حرفٍ حرف، أو يضرب الطنبور من غير أن يفكر في نغمةٍ نغمة، وينقسم إلى فضيلـة ورذيلة، وغيرهما فالفضيلة الوسـط والرذيلـة الأطراف وغيرهما ما ليس منهما فالعفة هيئة للقوة الشـهوية بين الفجور، والخمود والشـجاعة هيئة للقوة الغضبية بين التهور، والجبن، والحكمة هيئة للقوة العقلية بين الجربزة[٢] والبلاهـة والخلـق مغاير للقدرة سـيما إن جعل نسـبة القـدرة إلى الطرفين على السواء))[٣].

وقيـل أيضـاً بأن ((الخُلق: عبارة عن هيئة للنفس راسـخة تصـدر عنها الأفعال بسـهولة ويسر مـن غير حاجة إلى فكـر وروية، فإن كانت الهيئـة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصـادر منها الأفعال القبيحة، سـميت الهيئة: خلقًا سـيئًا، وإنمـا قلنا: إنه هيئة راسـخة؛ لأن مـن يصدر منه بذل المال على الندور بحالـة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد

١- مفاتيـح الغيـب، المعـروف بالتفـسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسـن الملقـب بفخر الدين الـرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٣٠/ ٧١.

٢- والجُرْبُـز: الخَـبُّ الْخَبيث من الرِّجال؛ تاج العروس من جواهـر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، د. ط، د. ت: ١٥/ ٥٦.

٣- المواقـف، عضـد الديـن عبـد الرحمـن بن أحمـد الإيجي، تحقيـق: عبد الرحمن عـميرة، دار الجيل، بيروت، د. ط، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٢/ ١٥٨-١٥٩؛ بدائع السلك، ابن الأزرق، تحقيق: د. علي سـامي النشـار، وزارة الإعلام، العراق، د. ط، د. ت: ١/ ٤١٩.

أو روية لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخصٍ خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء))[١].

وقيل: ((هو اسم جامع للقوى المدركة بالبصيرة، وتجعل تارة للقوى الغريزية، وتارة للحالة المكتسبة التي بها يصير الإنسان خليقا أن يفعل شيئا دون شيء))[٢].

وقيل بأنَّه: ((الصورة الباطنة في الإنسان: يعني السجايا والطبائع، وهي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، أو هي ما صار عادة للنفس وسجية لها على سبيل الرسوخ ويستحق الموجود بها المدح أو الذم، وهي تنقسم إلى قسمين: محمودة ومذمومة))[٣].

وقيل أيضًا ((الأخلاق جملة من الفضائل دعت إليها الشريعة، يتحلى بها المسلم، فيستقيم سلوكه، أو مجموعة من الرذائل نهت عنها الشريعة، يرتكبها المسلم فينحرف سلوكه. بعضها قلبي كالغبطة والحسد، وبعضها قولي كالصدق والكذب، وبعضها فعلي كإماطة الأذى عن الطريق، أو رميه فيه))[٤].

وبالتأمل في التعريفات يمكن القول بأنَّ الأخلاق: عبارة عن نوعين من الصفات صفات جُبل الإنسان عليها وُجدَت معه وحصلت له دون دخل منه ويحتاج تغييرها ومخالفتها إلى كبير جهد وعناء، وصفات اكتسبها بتكلف ومران وجهد

١- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ: ص١٠١.

٢- معجم مقاليد العلوم، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ص١٩٧.

٣- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد: ٨٠/ ٣٣٥.

٤- المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ص٣٩.

ثـم أصبحـت هذه الصفات المكتسـبة عـادات كأنهـا خلقت مع طبيعتـه، كما أن للأخلاق جانبين: جانبًا نفسـيا باطنيًّا هو المنشـأ والمبدأ والباعث وجانبًا سلوكيًّا ظاهريًّـا هـو النتيجة والثمـرة للجانب النفسي الباطني[١]، كمـا أن بعضها – أي بعـض الأخـلاق - قلبي كالرحمـة والغبطة والحسـد، وبعضها قـولي كالصدق والكذب والنميمة، وبعضها فعلي كمسـاعدة الضعفاء والمحتاجين وإماطة الأذى عن الطريق، أو رميه فيه[٢] كما أن الأخلاق توصف بالحسـن أو القبح بحسـب موافقتهـا للشريعة أو مخالفتها لها.

مقدمة في علم الأخلاق

لا شـكَّ أن قيمـة أيِّ موضـوع تتأتـى مـن شرفية موضوعـه وما يبحـث فيه، ولا ريـب عنـد جميع العقلاء من مختلف فئات بني البشر أن «الأخلاق» وتعزيز قيمها هـو خير الموضوعات الإنسـانية المشتركة؛ فقد يختلف النـاس في العقائد وفضيلة كل عقيـدة وميزتهـا عن الأخرى وقد يختلفون في القـوانين والشرائع؛ بيد أنهم لا يختلفـون في قيمـة وأهميـة الأخلاق بين النظم والقوانين والأديان، فلا يسـتخف أحـد بقيمـة الخلق إلا إذا كان جاهلا على حدِّ قول الإمام عليٍّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقيمة كُلِّ امرئٍ ما كان يُحْسِنهُ والجاهلون لأهل العلم أعداء[٣][٤].

وإن أدنـى نظـرة لمقاصـد الشريعـة وأوامرهـا ونواهيها وما حوتـه من أسرار سـيقف بلا شـك أنها تهدف لتحقيق غرض واحد، هو تحقي الكمال الإنسـاني

١- ينظـر: علـم الأخلاق الإسلاميـة، مقداد يالجن محمـد علي، دار عالم الكتـب، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ص٣٤.

٢- ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي: ص٣٩.

٣-[٤] ديـوان الإمـام علي بـن أبـي طالـب رضي الله عنه تقديـم سـهيل زكار، دار المعرفـة – بيروت ط١، ٢٠٠٠م: ص.٧٦

الذي تسعد به في الدنيا والآخرة. قال تعالى:﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [١](١).

من هنا يتحقق الجميع بأنه لا سلامة للإنسان أي إنسان من دون عنايته بتهذيب نفسه وصقلها؛ لأن ما يصيبه من الظلم، وما يفشو بين أفراده من الإجرام، منشؤه نقص الأخلاق. لا بل أكثر من أن يكون منشؤه نقص العلم؛ فإن العلم يخدم الفضيلة، وينهى عن الرذيلة. أمَّا علم الأخلاق فهو مُعينٌ للفضيلة، وناهٍ عن الرَّذيلة، ولا سبيل إلى معرفة حقيّة المعاني الكبيرة والدعوات الإنسانية الرشيدة إلا من خلال الأخلاق المستضيئة بنور الشريعة.

لقد كان رسولنا المكرم صلى الله عليه وآله يوصف بالصادق الأمين، وهي صفات من مجموع خصاله وصفاته العظمى أسهمت في تلقي كثير من المشركين لدعوته وقبولها؛ إذ إن العظيمات كفؤها العظماء، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن هنا امتدح الله رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢](٢) ولا غرابة في ذلك حيث أدَّبه ربه فأحسن تأديبه.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٣](٣)

ولعلّنا لا نبالغ إن قلنا أن الغاية من دعوة الرسل جميعًا إلى التوحيد إنما هو لتحقيق الأخلاق بصورتها الأتم والأكمل؛ فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمِّم صالحي الأخلاق» [٤](٤).

١-(١) سورة العصر الآية: ١- ٢ – ٣.

٢-(٢) سورة القلم الآية: ٤.

٣-(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٩.

٤-(٤) الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م. كتاب حسن الخُلُق باب حسن الخُلُق وحكمه صحيح رقم الحديث (٢٧٣): ص ١٠٤.

وفي هـذا الحديـث دلالة مـن مفهوم المخالفة كمـا هو معلوم في الأصـول أن مَن لا يحمـلُ خُلُقًا حسـنًا لا يصلـح؛ لأن يتصدَّرَ لحمل الرسـالة، ومثلُهُ مَنْ لا يحملُ خُلُقًا حسـنًا لا ينبغي أن يكون في موقع المسـؤولية الإرشادية، سواءً كان شيخًا، أو أسـتاذًا، أو مربيًّا، أو قائدًا سياسـيّا، أو مصلحًا اجتماعيًّا إلى غير ذلك، ولذلك وردت أحاديـث كثـيرة عن النبي الأكرم صلوات ربي وسـلامه عليه تجعل كمال الإيمـان في حُسـن الخُلُق لا في الدعـاوى ولا في المكانة التي ألجئ إليها الشـخص لأن يتصدر على مجموعة من الناس؛ كقوله صلى الله عليه وسلم:» أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَسِنُهُمْ أَخْلاقًا»[١](١).

وهـذا أمـر واقع ومشـاهد على الحقيقـة بدلالة قولـه صلى الله عليه وسـلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[٢](٢). ففي هذه الوصية يقرن النبي صـلى الله عليه وسـلم بين الدين والوفاء بالعهـد وينفي الإيمان عمن لا أمانة له، وقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم:» أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخُن من خانك»[٣](٣).

وعـلى هذا قـام المجتمع الإسـلامي في كثير مـن مراحله التأريخيـة؛ حيث ارتبط أعضـاء المجتمـع المسـلم برباط الإخوة الإسـلامي، وتعاونوا على الـبرّ والتقوى، وليـس هـذا يعني أن المجتمعات قبل الاسـلام خاوية من عنصر الأخلاق؛ بل على

١-(١) سـنن أبي داود سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، وبيروت. كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانـه وحكمه صحيح رقم الحديث (٤٦٨٢): ٤/ ٢٢٠.

٢-(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البسـتي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م. كتاب الإيمان باب فرض الإيمان وحكمه حديث حسن رقم الحديث (١٩٤): ١/ ٤٢٢.

٣-(٣) سـنن أبي داود كتاب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده وحكمه صحيح رقم الحديث (٣٥٣٥): ٣/ ٢٩٠.

العكس، فالراصد والمستقرئ الجيد سيجد أن هناك بعض مكارم الأخلاق إلا إن الغالب فيها شيوع الفوضى والاضطراب الاجتماعي الذي كان سائدًا في تلك المجتمعات، وأوضح مثال على ذلك هو حياة الإنسان في الجزيرة العربية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كانت نموذجًا للفوضى والفساد والتحلل الاجتماعي، من ذلك قتل المرأة مخافة العار، وأنواع الزواج التي هي أقرب إلى الفاحشة منها إلى العفة وشيوع القتل والظلم وأصدق وصف في ذلك:

ومَن لم يَذُدْ عَن حَوْضِهِ بسِلاحِهِ يُهدَّمْ ومن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ[١](٤).

بل استحكم الشر وصار هو القانون والقاعدة الاجتماعية، وقلّ أعوان الخير وانفردت ثلة من المجتمع من الحُنفاء الذين لم تكن تستهويهم حياة الجاهلية وضلال القوم، واعتزلوا الحياة الاجتماعية لما فيها من الشرور والآثام، وعندما انحرف الإنسان وحاد عن الفطرة والأخلاق التي جُبِلَ عليها بنو آدم، حيث نزل الوحي بأخلاق السماء ليقوّم ما اعوج من أخلاق الناس وردهم إلى أخلاق الفطرة مرة أخرى، وهي الأخلاق الأصيلة، أخلاق الإنسان السويّ.

وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الطبيعية في كل المجتمعات البشرية من حفظ الدِّين والنفس والنسل والمال والعقل؛ بل وحفظ الغير من كل ما يُسيء إلى الإنسان بوصفه إنسانًا، وهذا هو عين مقصد الشريعة الإسلامية وغيرها من الملل، إذ إن مقاصد الشريعة الإسلامية ثلاثة وهي تحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينات أي الكماليات للإنسان في هذه الحياة[٢](١).

إذن علم الأخلاق هو: علم يبحث في القواعد أو المبادئ التي تُعرف بها الفضائل

١-(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥ م: ص٧٠

٢-(١) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت: ١/ ٣٩.

لتقتنى. والرذائل لتُجتنب بهدف تزكية النفس على أساس من الوحي الإلهي.

وقد قسم العلماء الأخلاق على نوعين: خلق محمود، وخلق مذموم؛ فقالوا:

الخلق المحمود: صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء. كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة.

ويمكن تمييز الأخلاق الحميدة عن غيرها بأنَها كُلٌّ سلوك فرديٍّ، أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استحسانه، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها. ويلحق به ما كان أثرًا من آثاره أو فرعًا من فروعه.

والخلق المذموم: صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء. كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال، إتباعاً للهوى أو الشهوة.

ويمكن تمييز الأخلاق الذميمة عن غيرها بأنها كل سلوك فردى واجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استقباحه واستنكاره، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها، ويلحق به ما كان أثرًا من آثاره، أو فرعًا من فروعه[١][٢].

القيم والسلوكيات.

سؤال الأخلاق في باراديغم الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يتكون من شقين مهمين رئيسين: الأول هو القيم، والثاني السلوك؛ حيث تثار التساؤلات المهمة: هل القيم معنى ايجابي أم سلبي، أم شامل لكليهما؟، وما الفرق بين القيمة والسلوك؟، وهل يجب أن نصحح القيم أم نواجه السلوك؟ وما سبل كل منهما؟

١-[٢] الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن الميداني: ١/١٦؛ الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ص٢٣؛ الأخلاق التطبيقية في الشريعة الإسلامية، محمد ماجد عتر، دار النهج، حلب، ط١، ٢٠٠٦م: ص٢١.

في معرض الاجابة لا بُدَّ من توضيح كلتا المفردتين: القيم، السلوك، وعلى النحو الاتي:

فالْقِيمَة بالكسر: واحدة القيم، وأصله الواو؛ لأنَّه يقوم مقام الشيء، والْقِيمَة ثمن الشيء بالتقويم، وقومت السلعة واستقمتها، ثمنتها، ويقال: كم قامت ناقتك، أي: كم بلغت، والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع، أي: قومته[١].

وفي الحديث: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وآله فقالوا: لو قومت يا رسول الله، قال: ((إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة ظلمته)) [٢].

وقولهم: لو قومت، أي: لو سَعَّرْت لنا، وهو من قيمة الشيء، أي: حَدّدْت لنا قِيمَتَها[٣].

والقيمي هو إضافة الْقِيمَة إلى ياء النسب، والْقِيمَة بالكسر واحدة القِيم وماله قيمةٌ إذا لم يَدُم على شيء، وقوَّمت السِّلْعَة واستقمتهُ: ثمنته[٤].

١-(٢) غَريب الْحَديث، لأبي عبيد القاسم بن سَلَّام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد عَبْد المعيد خَان، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ط١، ١٣٩٦هـ: ٤/ ٢٣٢؛ لِسَان العَرَب، مادة (قوم): ١٢/ ٥٠٠.

٢-(٣) سُنَن ابْنُ مَاجَهْ، لأبي عَبْدُ اللَّه مُحَمَّد بن يَزَيْد القَزْويني (ت٢٧٣هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، د. ط، د. ت: ٢/ ٧٤٢ رقم (٢٢٠١). قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح. يُنْظَرْ مَجْمَع الزَّوَائِد ومَنْبَع الفوائد؛ لنور الدِّين علي بن أَبي بَكْر الهَيْثَمي (ت: ٨٠٧هـ)، دَار الريان للتراث، بَيْرُوْت، ودَار الكِتَاب العَرَبِيّ. القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ: ٤/ ٩٩.

٣- يُنْظَرْ: النِّهَايَة في غَريب الْحَديث والأثَر، لأبي السعادات مجد الدِّين بن أَبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجزري المعروف بابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ)، تَحْقِيق: طاهر أَحْمَد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي، الطَبْعَة الأُولَى، المكتبة العلمية. بَيْرُوْت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٤/ ١٢٥.

٤- يُنْظَرْ: الصِّحَاح تَاج اللغة وصحاح العَرَبيّة، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تَحْقِيق: أَحْمَد عَبْد الغَفُوْر عطا، دَار العلم للملايين، بَيْرُوْت، لَبْنَان، ط٢، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م، مادة (قوم): ٥/ ٢٠١٧؛ الْقَامُوس الْمُحِيط، لأبي الطَّاهِر مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي

وقيـل الْقِيمَـة: «هي الثَّمَنُ الَّذِي يُقَوَّمُ بِهِ الْمَتَاعُ، وَالْقِيمَـةُ وَاحِدَةُ الْقِيَمِ وَهِيَ ثَمَنُ الشَّيْءِ بِالتَّقْوِيمِ»[١].

وفي الحديـث يقال: ((إذا اسْـتَقمْتَ بِنَقْـدٍ فبعْتَ بِنَقْد فلا بأسَ به، وإذا اسْـتَقَمْت بِنَقْدٍ فبِعْتَ بِنَسِـيئةٍ فلا خيرَ فيه)) [٢].

ويقـال: مالـه قيمـة، إذا لم يدم على شيء ولم يثبت، وهو مجاز، وقومت السـلعة تقويمًـا، وأهل مكة يقولون: اسـتقمته، والصواب: اسـتقمتها، ويقولون: ثمنته، صوابه ثمنتها، أي: قدرتها[٣].

وجمـع الْقِيمَـة: القيـم، مثل سـدرة وسـدر، وشيء قيمـي: نسـبة إلى الْقِيمَة على لفظها؛ لأنه لا وصف له ينضبط به في أصل الخلقة حتى ينسب إليه بخلاف ما له وصف ينضبط به، كالحبوب والحيوان المعتدل فإنه ينسـب إلى صورته وشـكله؛ فيقال مثلي، أي: له مثل شـكلاً وصورة في أصل الخلقة[٤].

ومن المجاز: بكم قام عليك هذا المتاع، وقد قام علي بكذا، وقام بعيرك مائة دينار،

الصِّدِّيقي الشيرازي (ت: ٨١٧هـ)، المؤسسة العَرَبِيّة للطباعة والنشر، بَيْرُوْت – لَبْنَان،د. ط، د. ت، مادة(قوم): ٤/١٦٨.

١- الموسـوعة الْفِقْهِيَّة، لمجموعة من المؤلفين، الطَبْعَة الأُولَى وزارة الأوقاف والشـؤون الدِّينية، الكويت، ١٩٩٠م: ٣٤/١٣٢.

٢- الْمُصَنَّـف، لأَبِـي بَكْر عَبْد الرَّزَّاق بن هَمَّام الصَّنْعَاني(ت: ٢١١هـ)، تَحْقِيق وتَخْرِيْج وتعليق: حبيـب الرحمن الأعظمي، المكتب الإِسْلامِـيّ، بَيْرُوْت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٨/٢٣٦. رقم (١٥٠٢٨)؛ مُسْـنَد أَحْمَـد بن حنبـل، لأبي عَبْدُ اللَّه أَحْمَد بـن حنبل الشَّـيْبَانِيّ (ت: ٢٤١هـ)، شرحه ووضع فهارسـه: أَحْمَد مُحَمَّد شـاكر، دَار المعارف للطباعة والنشر بمصر، د. ط، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م: ٣/٨٥. رقم (١١٨٢٦).

٣- تَـاج العَـرُوْس مـن جَوَاهِـر الْقَامُوس، لمحيـي الدِّين أَبِـي الْفَضْل مُحَمَّد مرتضى الحسـيني الواسـطي الْحَنَفِـيّ الزُّبَيْـدِيّ (ت: ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحيـاة، بَيْرُوْت، د. ط، د. ت، مادة (قوم): ٩/٣٦؛ مجمع البحرين، لفخر الدِّين الطريحي(ت: ١٠٨٥هـ)، تَحْقِيق: أَحْمَد الحسـيني، مكتب نشر الثقافـة الإِسْلامِيّة، ط٢، ١٤٠٨هـ، مادة (قوم): ٣/ ٥٧٠.

٤- الْمِصْبَاح الْمُنِير فِي غَرِيب الشَرح الكَبِيْر؛ لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ (ت: ٧٧٠هـ)، تصَحِيْح: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ: ٢/ ٥٢٠.

والبعيران قاما ثمنًا واحدًا، ودينار قائم، سواء لا يرجح، وميَّال: يرجح شيئاً[١].

والقِوَامُ: أسم لما يقُومُ به الشيء، أي: يَثْبُتُ، كالعِمَاد والسِّنَاد، لما يُعْمَدُ ويُسْنَدُ بِه[٢].

وقوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[٣]، أي: ثابتًا مُقَوَّمَا لأمور مَعَاشِهم ومَعَادِهم[٤].

ومثله: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾([٥])، أي: المستقيم([٦]).

ولفظة القيم وردت في القرآن الكريم بمعنى الاستقامة[٧] قال تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾[٨]، أي دين الأمة المستقيمة[٩]

واصطلاحًا: (تعني اتجاه الأخلاق والعادات ودوافعها وأغراضها إن كانت مادية او معنوية او روحية)[١٠].

أو هي: (طريقة في الوجود، أو في السلوك يعترف بها شخص، أو جماعة على أنَّها

١- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشري (ت: ٥٣٨هـ)، تَحْقِيق: عَبْد الرحيم محمود، مطبعة أور فاند بالقاهرة، ط١، ١٩٥٣م، وهي طبعة مصورة عَلَى طبعة دَار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ، مادة (قوم): ص٥٢٨.

٢- المفردات في غَرِيب الْقُرْآن، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، أَعده للنشر وأشرف عَلَى الطبع: د. مُحَمَّد أَحْمَد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، د. ت): ص٤١٦.

٣- سورة الأنعام: من الآية ١٦١.

٤- المفردات، الراغب الاصفهاني: ص ٤١٦.

٥- سورة البينة: من الآية ٥.

٦- العين، لأبي عَبْد الرَّحْمَن الخليل بن أَحْمَد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تَحْقِيق: د. مهدي المخزومي، د. إِبْرَاهِيم السامرائي، دار الحرية للطباعة والنشر، بَغْدَاد، ط١، طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م، مادة (قوم): ٥/٢٣٣.

٧- أثر قيم عصر النبوة في مواجهة مخاطر العولمة، محمود تركي اللهيبي، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، العدد ٤٨، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م: ص٣٩٩.

٨- سورة البينة، الآية: ٥.

٩- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص٤٣٢.

١٠- الحياة الاجتماعية، بطاينة: ص٢٠٢.

مثـال يحتـذى، وتجعل هذه الطريقة من التصرفات، أو من الأفراد الذين تنسـب إليهم أمرًا مرغوبًا فيه، او شأنًا مقدَّرًا خير التقدير)[١].

وعرفهـا بعضهم: (هي كُلٌّ صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسـيَّةٍ، أو اجتماعيَّةٍ، أو أخلاقيَّةٍ، وتتَّسِم بسمة الجماعة)[٢].

وقد أشـار بعض العلماء الى أن القيم: (تعني السـلوك الخلقي الذي يميز جماعة بشريَّـة خـلال فـترة معينة، ويتمثَّلُ هذا السـلوك بشـكل عملي بالكـرم والنجدة والحلم والعفة والصـبر والوفاء...)[٣].

وإنَّ هذه القيم بريئة من التحيز والمحاباة؛ لأنها ليسـت من وضع الإنسـان وغير خاضعة لرغباته وأهوائه وعلمه المحدود، وإنَّما هي من خصائص رسالة النبوة؛ فـلا تكون محلاً للعبث والانتقـاص؛ لذلك هي مؤهلة للعالمية ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [٥]، وسبيل لتحقيق العدل والمسـاواة بين البشر: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٦].

أما السـلوك لغة: (السـين والـلام والكاف) يدل على نفـوذ شيء في شيء، ويقال: سـلكت الطريق أسـلكه، وسـلكت الشيء في الشيء بمعنى: أنفذته[٧].

١- مدخل إلى علم الاجتماع العام، روشيه غل: ص ٩٣.

٢- مـدى تـأثير القيـم العربيـة الإسلاميـة على برامـج الأطفـال في دول الخليج، فـاروق أحمد الدسـوقي: ص ٣٢٧.

٣- المفصل في تاريخ قبل الإسلام، جواد علي: ٤ / ١٣٠.

٤- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٥- سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٦- سورة الحديد، الآية: ٢٥.

٧- معجـم مقاييـس اللغة، أحمد بن فارس بـن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هـارون، اتحـاد الكتـاب العربـي، بيروت، د. ط، ١٤٢٣هـ: ١٠/ ٣٨؛ ينظر: لسـان العرب، ابن

- والسلوك اصطلاحًا: هو عمل الإنسان الصادر عن إرادة حرة، المتجه نحو غاية معينة مقصودة[١].
- ومجيء عبارة (عمل الإنسان) في التعريف مهمة لتخرج أي عمل من غير العاقل، كفعل الحيوان والنبات.
- وتعني (الصادرة عن إرادة) أي خرجت أعماله التي لا حرية له فيها ولا إرادة، مثل فعل المكره والمجنون والسكران.
- أما معنى (نحو غاية معينة مقصودة) أي خرج ما يحدث صدفة وموافقة[٢].
- قد قسم العلماء السلوك الإنساني إلى قسمين:

أ. السلوك الأخلاقي: وهو السلوك الذي يكون مصدره صفة نفسية تكون قابلة للمدح أو الذم، أو ما يحكم عليها بأنها حميدة أو غير حميدة، كالإنفاق في وجوه الخير والدفاع عن الحق، ولكون هذا السلوك نابعاً عن البخل، والشح والخوف كالتقتير والإمساك والفرار من ساحة الجهاد.

ب. السلوك غير الأخلاقي: ويشمل هذا السلوك النواحي الآتية:

١. سلوك يكون استجابة لغريزة جسدية أو نفسية، كالأكل المباح عند الجوع، والشرب المباح عند العطش، أو كقراءة قصة لإرضاء غريزة حب الاستطلاع أو اكتساب الرزق تلبية لداعي الفطرة[٣].

٢. سلوك يكون استجابة إرادية لترجيح فكري كرؤية الفكر منفعة أو مصلحة

منظور: ٣/٢٠٧٣.

١- أخلاقنا، محمد ربيع جوهري، ط٤، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، د. ط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩: ص ٥٥.

٢- معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، عصام عبد المحسن الحميدان، عبد الرحمن عبد الجبار هوساوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ: ص ٢٣.

٣- كلمات في الأخلاق الإسلامية، كمال محمد عيسى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، د. ط، ١٩٨٨: ص ٧٢-٧٣.

لسلوك ما، فتسعى الإرادة إلى العمل به سواء كان هذا الفكر صوابًا أم خطأ.

٣. سلوك يكون مصدره الآداب الشخصية، كآداب النظافة، والنظام والأكل والشرب أو آداب الأناقة كالملبس وترجيل الشعر وتنظيفه وغير ذلك.

٤. سلوك مصدره العادات المتأصلة والتقاليد الاجتماعية والتي تتكون عن طريق التأثير الاجتماعي وهذه قد تكون سيئة وقد تكون حسنة[١].

- وبتعريف كل من القيم والسلوك يظهر أن بينهما فرقًا؛ فالقيم: صفة النفس الباطنة، وهي تدرك بالبصيرة، فهي بمثابة السبب، أما السلوك، فهو صفة النفس الظاهرة، وهو يدرك بالبصر، وهو بمثابة المظهر[٢].
- فالقيم في الغالب أساس السلوك وقواعده التي يقوم عليها لهذا كانت العلاقة بين السلوك والقيم هي: علاقة دال بمدلول، أو علاقة سبب بمسبب، أو عرض بسبب، وهي علاقة مطردة إلا في خلقين:

١- إذا وجدت أسباب خارجية تؤثر في السلوك، وتجعله غير دال دلالة صادقة على القيم، كمن يتصرف رياء أو مجاملة أو إكراهًا.

٢- وإذا وجدت موانع تمنع من دلالة السلوك على القيم، أي ترجمة القيم إلى سلوك، كضيق ذات يد الكريم؛ فأنى يتصدق؟ أو عدم وجود المعارك لإظهار الشجاعة[٣].

وعليه يمكن القول: أنَّ السلوك يدلُّ على القيم غالبًا، لا دومًا، حتى يستثنى الحالات الطارئة التي لا يدلّ فيها السلوك على القيم.

١- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار العلوم، دمشق، ط١، ١٩٨٧م: ص ١٢-١٣.

٢- ينظر: أخلاقنا، الجوهري: ص ٥٥.

٣- تقويم الأخلاق والسلوك في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، محمد كرم الله محمد، الرياض، د. ط، ٢٠١٣: ص ٦.

ومن هنا يأتي الجواب عن سؤال الأخلاق لدى الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأنه مجموع القيم والسلوك، ومن هذه الاجابة يأتي السؤال الأهمّ، وهو: هل نحن نريد أن نصحح القيم أو نواجه السلوكيات لمعالجة ما انحرف منها عن القيم المحمودة؟ أي بصورة أخرى لو كان لدينا طفل ذو سلوكيات خاطئة؛ فهل سنقتصر على معالجة هذه السلوكيات ومنعه منها بأيِّ أسلوب كان سواء كان أسلوبًا عنيفًا أم عقلانيًّا، حيث ما يهمنا هو أن يمتنع عن السلوك الخاطئ؟.

أم نبحث عن معالجة القيم من ورائه كأن يكون يشعر بالغبن أو النقص أو غيرها من الامور التي تختفي وراء تلك السلوكيات الخاطئة؟

لا شك أن الإجابة عن هذه التساؤلات سترشدنا إلى طبيعة الخلق الإسلامي وما يمكن أن يتمايز به عن الأخلاق الأخرى؛ فالأخلاق في الإسلام هي سلوك مرتبط بالقيمة ولا ينفك عنها من أجل بناء حياة آمنة مستقرة ذات مضمون إنساني ويستهدف غايات خيرة أبرزها الوصول إلى الله وتحقيق التعايش الإيماني الإنساني[١][٢]

من هنا يكون لنظام الأخلاق في الإسلام طابعان:

الأول: طابع رباني من حيث إن الخُلُقَ هو مراد الله تعالى، وعلى ذلك يجب أن يتبع الإنسان في هذه الحياة رغبة الله في خلقه.

الثاني: طابع بشري إنساني؛ حيث للإنسان الدور الكبير في تحديد واجباته الخاصة والتعرف على طبيعة مظاهر السلوك الإنساني المعبرة عن القيم[٢][١].

من هذين الطابعين نعرف سر سبب عدّ الأخلاق «روح الإسلام» وقد صرح

١-[٢] موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم؛ للشيخ صالح بن حميد وآخرون، دار الوسيلة جدة ط١، ١٩٩٨م: ١/٦٦

٢-[١] التربية الأخلاقية الإسلامية مقداد يالجن: ص ٧٥؛ علم الأخلاق الإسلامية مقداد يالجن، دار عالم الكتب – الرياض ط١، م:١٩٩٢ ص٧-٨

النبـي صلى الله عليه وسـلم بالهدف من بعثتـه وحددها تحديداً واضحاً في قوله «إنّما بعثت لأتمم صالحـي الأخلاق»[١][٢].

ومـا دمنا نتكلم عـن الأخلاق؛ فهنا أمرٌ جديرٌ بأنْ نقف عنده، وهو ضرورة الميز بين علم الأخلاق والأخلاق نفسـها؛ فالأخلاق هي القيم السـامية التي يؤمن بها الفرد والمجتمع مضافٌ إليه السلوك الذي يسيرون عليه للوصول إليها وتحقيقها. فالأخلاق بهذا المعنى لا تشـمل إلا ما هو حسـن وجميل ومحمود عند الله تعالى، وعنـد الناس، وهي قسـم من أقسـام الشريعة الإسـلامية:(العقائد– الشريعة– الأخلاق).

فالأخـلاق بهـذا اللحاظ أحد أصول الدين الإسـلامي الحنيـف؛ فالأخلاق لصيقة بدعوة الرسـل والأنبياء بينما هي مادة دراسـية عند غيرهم تسهم في التربية على النظـام والسـير المنهجي في تحقيق الأطـر العامة للحياة الإنسـانية ولا ضرورة للتخلـق بهـا إلا بقدر تسـيير النظـام، بل قد يكـون المشرع في النظـام الأخلاقي الإنساني أكثر الناس انحلالا؛ فدراسة الخلق محمودا أو مذموما لغرض الدراسة وحفظ النظام هو ما يعرف بعلم الأخلاق، ويمكن في علم الأخلاق أن نقر بأخلاق لا تقرهـا الشريعـة لغرض حفظ النظام، أو يمكن أن يرى فلاسـفة علم الأخلاق مادة غير أخلاقية في عصر ما لتكون صالحة في عصر آخر، وهذا يعني أن التغير والتبدل ممكن في طبيعة الأشـياء في علم الأخلاق؛ فهو دراسـة واسـعة تسير على نفس نمط الدراسـة المنهجية لمختلف العلوم فتشـمل نشـأة الأخـلاق وتاريخها وتطورها؛ كما تعـرض النظريات والمدارس والمذاهب الأخلاقية المختلفة، وتبرز ما بينها من تعارض بل وتناقض أحياناً، ولذلك لا يخلو كتاب لعلم الأخلاق من إبراز مذاهب اليونانيين، ومن ثم فلاسـفة القرون الوسـطى، وصولا إلى العصر

١-[٢] سبق تخريجه في الأدب المفرد للبخاري رقم الحديث (٢٧٣).

الحديث، وتأثير فلسفتهم الاجتماعية على النظريات الأخلاقية؛ وهذا ما غفل عنه بعض المسلمين حين أرادوا أن يتكلموا في علم الأخلاق على ضوء النظريات الأخلاقية في الغرب فتأثروا بمناهجها، وكما فعل أولئك في نظرتهم إلى القيم والسلوك والعادات الاجتماعية حتى وصل بهم الحال إلى تشريع أخلاقيات أسرية ومجتمعية مذمومة سيصل الحال ببعض المفكرين العرب والمسلمين إلى تلك النتيجة نفسها.

إن الأخلاق في الإسلام لا مجال فيها للتغيير أو التحوير والتبديل تحت أيِّ ظرف، أو أي غاية، فلا خضوع ولا ركون لمتغيرات اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية في تغيير وتحوير وتبديل الأخلاق في الاسلام؛ فهي غاية تقصد لذاتها، وليست وسيلة لتحقيق غاية أخرى[1]، وهذا ما يجعلنا نتكلم هنا عن خصائص الأخلاق في الإسلام فيما يأتي:

١- الأخلاق في الإسلام، د. يعقوب المليجي: ص ٦.

خصائـص النظـام الأخـلاقي

إن أبرز خصيصة للأخلاق في الإسلام كونها ربانية المصدر، وربانية الوجهة؛ أما كونها ربانية المصدر، أي هي ليسـت من وضع البشر، ومن ثم لا وجود متصور لقصـور أو خلـل، أو تأثـر بمؤثرات زمن أو مـكان، وحال وثقافـة، أو مؤثرات وراثـة ومـزاج، وهوى وعواطـف، وإنَّما واضعها ومشرعها هـو صاحب الخَلْق والأمـر في هـذا الكـون، ورب كل شيء ومليكه، الذي خلق النـاس، وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهـم، وما يصلح لهم ويصلحهم.

وأمـا كونها ربانيـة الوجهة: أي أن هدف هذه الأخلاقيـات هو ربط الناس بالله تبـارك وتعـالى، حتى يعرفوه حق معرفته، ويتقوه حق تقاتـه، ويعبدوه حق عبادته، فهم لهذا خلقوا، ومن هذه المعاني تكتسـب القيم والأخلاق الإسـلامية سـمات الثبات وعـدم التغـير؛ لأن هـذه الأخلاقيـات والقيم لا ترتبط بشـخص أو وضـع معين، أو قوميـة معينـة، أو طبقـة معينـة، وإنما ترتبط بالنسـيج التشريعي الإسـلامي الذي يجب الخضوع له[١]

ومن ثم لها أن تدخل في سائر النظم والتطبيقات الإسلامية، وتشمل جميع القطاعات الإنسانية المختلفة[٢].

فالأخلاق تدخل في النظام العبادي، والنظام الاقتصادي، والنظام السـياسي، والنظام القضائـي، ونظـام العقوبات، ونظام التربيـة والتعليم، وهذا ما يميز الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في بنـاء المنظومـة الأخلاقيـة الإسلاميـة؛ حيـث لحظ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تعاليـم الدين الإسلامي عبارة نظام شـامل لكل مفاصل الحياة، فهي تشـمل أفعال الإنسان الخاصة جميعًـا، أو المتعلقـة بغيره، سـواء أكان هذا الغير فردًا، أو جماعـة، أو دولة، وعلاقات

١- الإسلام والتنمية الاجتماعية، د. محسن عبد الحميد: ص ١٢٣.
٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة: ١ /٥٥.

الـدول مـع بعضها تدخـل في هذا الإطـار، ومن المعلـوم أن الحياة كلهـا مظاهر لذلك التعامل الشامل.

وهي بهذا اللحاظ الشـامل تكون واقعية وعملية لا أفكارًا ورؤى خيالية فاضلة غير واقعيـة لا يمكـن تطبيقهـا، ونقصد بذلك أن الأخلاق الإسـلامية متناسـبة مع واقع الإنسـان مـن حيث قدرته العقليـة، والروحية، والنفسـية ومن حيـث الوظيفة التي كلف بها هذا الإنسان، وهي بنفس الوقت عملية، فهي ليست مجرد تنظير وشعارات برّاقة؛ بل لها انعكاسات عملية على سلوك الإنسان التعبدي، والاقتصادي، والإداري، والسياسي وغير ذلك.

إن الواقعية والعملية التي تضمنتها الأخلاقيات الإسـلامية غرست في قلوب المسلمين والمنصفـين من غير المسـلمين احترام هـذه الشريعة، وهذا ما لا يمكـن لأيّ قانون أو تشريـع سـياسي وضعـي أن يلم بهذه العنـاصر والصفات، فبعض صُنـاع القرار في كثير من الدول التي تحكمها نظم سياسية وضعية يعمدون إلى استخدام سيل واسع من الدوافع والذرائع الأخلاقية والإنسـانية؛ لتسويغ سياسات عسكرية، أو أمنية، أو مناورات سياسية غير أخلاقية[١].

مما تقدم يتضح لنا جليًّا بأن الأخلاق ليسـت مسـتقلة عن الدين؛ بل هو المحيط الذي تتفرع منه جداول الأخلاق، ذلك أن الدين هو منبت الأخلاق ومصدر نموها؛ بل هو الرقيب عليها والمقوِّم لها إذا انحرفت أو تأثرت بالأهواء والمصالح المادية أو الشـخصية كمـا أن الأخلاق تسـاعد على الاستمسـاك بالديـن وتقوية اليقين، وتدفـع إلى ضرورة التـزام أوامـر اللـه وتجنـب نواهيه، وكما قيـل «كل شريعة تؤسس على فسـاد الأخلاق فهي شريعة باطلة»[٢][٢].

١- المبادئ السياسـية والأخلاقية عند الملك ريشـارد، تحليل السياسة الخارجية، تأليف ريتشارد إن، مطبعة ليسنغن، لندن، د.ط، ١٩٧٥م: ص ١٨-١٩.

٢-[٢] الارتبـاط بين الديـن والخُلُـق، د. وهبـة الزحيلي، مجلـة الوعي الإسلامـي الكويتية، عدد

وإن الوحـي الإلهي هو الذي رسـم أصول الأخلاق، وحدد أساسـياتها التي لابد منها لبيان معالم الشـخصية الإسـلامية حتى تبدو متماسـكة متميزة في مخبرها ومظهرهـا عالمـة بوجهتهـا وطريقها إذا التبسـت على غيرها المسـالك واختلطت الدروب.

وهـذا يدعونـا إلى ضرورة الميز بين الأخلاق من جهة وبين العادات والتقاليد من جهـة أخـرى؛ فإنكار الديـن بوصفه مصدر الأخلاق يحمـل على وصف الأخلاق بأنها عادات صنعها المجتمع، وعندها يصعب التمييز بين الأخلاق التي مصدرها الديـن والعادات والتقاليد التي مصدرها المجتمـع. وبين الأخلاق التي تقوم على أساس الثبات وبين العادات التي تقوم على أساس التطور؛ أما إذا اعترفنا بالدين مصدرا للأخلاق كان أمر التمييز سـهلاً ممكناً.

ومن هنا تفترق النظرة الإسـلامية عن النظـرة الغربية المادية للأخلاق؛ فالغرب حين فصل الأخلاق عن الدين، ومن ثم عن الحياة؛ فقد حجب عنها حقائق كثيرة؛ فقد غاب عن الغرب البعد الشمولي الذي كان يجب أن يكون متوافرا في الأخلاق حيث إن الأخلاق والعلم وجهان متلازمان بالضرورة للبناء الحضاري؛ لأن العلم بلا أخلاق تحويل لقدرة الإنسـان نحو الشر والباطل، والأخلاق بلا علم تحويل لقدرة الإنسـان إلى سراب حضاري قائم على الفقر والعجز، ولذلك فان الإسـلام لا يقول بأن الأخلاق هي اسـتجابة النفس إلى الوسـط، ولكنه يقول: هي ترقية النفس إلى الكمال وترقيتها عن آثار الوسـط وآثار الوراثة والحضارة.

وكمـا ذكرت أن شـمول الأخلاق مـن خصائص نظامنا الإسـلامي المتين فميدان الشـمول واسـع جداً فهو يشمل جميع أفعال الإنسـان الخاصة به وبغيره سواءً كان الغـير فرداً أو جماعة أو دولـة، ولا يخرج عن دائرة الأخلاق ولزوم معاني

١٢١: ص ٢٠.

الأخـلاق أي شيء ممـا لا يوجـد لهذه الخصيصة أي نظير في شريعة سـماوية أو وضعية[١](١)

إن المتأمل في الأخلاق عند المسـلمين سـيجد أن مفهوم الأخلاق الإسـلامية يدخل في إطارهـا جميع العلاقات الإنسـانية؛ بـل تتعدى ذلك إلى علاقة الإنسـان بغيره مـن الكائنـات الحية الأخرى. كما في حديث النبي صلى الله عليه وسـلم حين قال: عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار. فقال والله أعلم: لا أنت أطعمتها ولا سـقيتها حين حبسـتها ولا أنت أرسـلتها فأكلت من خشـاش الأرض[٢](٢).

أمـا في ظل الحضـارة الأوربية المعـاصرة؛ فالأخلاق – إن وجـدت- فهي قاصرة على جوانب معينة من الحياة، وتحكمها في وجودها تلك الجوانب الأنانية النفعية؛ فقد فصلوا السياسة عن الأخلاق؛ بل شاع بينهم أن العلاقات الدولية لا تقوم على أساس مراعاة الأخلاق، حتى إن أحدهم قال: لا مكان للأخلاق في العلاقات الدولية. ولذا كان الخداع والتضليل والكذب والغدر عُدَّ من البراعة في السياسة[٣](٣).

وفي منطـق السياسـة المادية اللاأخلاقية نجد أخلاقهم مـن قتل أو أسر فرد منهم جريمة تقوم لها الدنيا ولا تقعد وإبادة وإذلال شعب بكامله كما يحدث في فلسطين وغـزة تحديـدًا في أيامنا هذه، ولا يرفُّ جفن لما يحصـل هناك من انتهاكات وكذا الحال في الاعتداءات المتكررة على عراقنا الحبيب من دول تدعي الريادة في الأخلاق والتمـدن الحضـاري وأنها عـلى رأس دول العالم الأول ومع ذلك تمارس أبشـع الممارسـات اللأخلاقية بحق دولة ذات سيادة ورصيد تأريخي موغل في القدم.

١-(١) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان: ص ٩٠.

٢-(٢) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث (٢٣٦٥).

٣-(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان: ص ٩٠.

علاقة نظام الأخـلاق في الإسلام بالمجالات الأخـرى

وهـذه سـمة تكاد لا توجـد في غير الدين الإسـلامي؛ لذا يمكـن للراصد أن يعلل سبب تقدم الحضارة الغربية المعاصرة بسبب تجردها عن القيم والأخلاق وعدم ربطها بالعلوم والمعارف والمجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية الأخرى، فالغـرب يمشي على ضوء القاعدة الميكافيلية التي تقول إن الغاية تبرر الوسـيلة، بينمـا لا يوجـد هذا الأمر في الإسـلام، الذي يجب أن تكـون الأخلاق حاكمة على مختلـف المجالات التي سـبق ذكرها، لذا وفق المعايـير المرصودة يمكن القول أن المتجرد من الأخلاق القويمة لا سبيل له أن يقارع المتحلي بالخلق الذي لن تسمح له أخلاقياته أن ينزل إلى حضيض ودرك تلك الحضارة المادية الخاوية والمنزوعة الأخـلاق، فالإسـلام لا يقـارن بأنظمة باليـة، فالباحث عن الجانـب الأخلاقي في الاسلام نراه يشكل قاعدته الأخلاقية وفق أسس فكرية علمية ونظرية وجدانية وإيمانية فضلا عن حب الحق وإيثاره وعده أساسـاً أول من الأسـس الأخلاقية؛ لأن من تحب طاعته يجب أن يطاع، ومن يتمتع بهذا الخلق فإن خلقه سـيدفعه إلى تأدية الحق لمستحقه[١][(١)].

وهذا لا يتحقق من دون قاعدة عقدية مستقيمة ترتكز على الإيمان بوجود خالق كل شيء، المحيط بكل شيء، وإليه يرجع كل شيء.

لقد تم الربط بين الإسلام وبين السلوك الأخلاقي ربطاً لا يمكن تصور الانفصام بينهما؛ فلا إسلام بلا أخلاق، ولا أخلاق بلا إسلام، وكلما قوي الإسلام في نفس العبد قويت الأخلاق، وكلما كان العبد ألصق بالأخلاق كان أقرب لروح الإسـلام وقوانينـه، والعكس صحيح، فكلما اختـل جانب اختل الجانب الآخر، وإن كُلَّ ما يقع في المجتمع من أخلاقيات سـلبيّة كحالات الانتحار والسـكر والقلق والعربدة

١-(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني: ١/ ٢٠-٢٥ .

والتفكك الأسري والمجتمعي إنما سببه البُعد عن الله تبارك وتعالى، وعدم تحقق معاني الإسلام في النفس الإنسانية.

وعلى ضوء ما تقدَّم ترتبط الأخلاق بالمجالات الحيوية والعلمية والمجتمعات الإسلامية ارتباطا تتداخل مضامينه في جميع مفاصل وجزئيات الحياة بعامة؛ حيث يعد الإسلام كل سلوك يحافظ على الحياة الإنسانية ويمنحها الاستمرارية سلوكاً أخلاقياً، والعكس دقيق وصحيح، ومن هنا حرم الإسلام القتل والانتحار، والتهديد وإخافة الناس؛ لأنها أمور لا أخلاقية تعوق الحياة وتهدمها.

ومن هنا اعتبر الاسلام أي سلوك يصدر من الإنسان ومن شأنه الحفاظ على النوع الإنساني سلوكًا أخلاقيًّا، فلا مكان حينها لدعاوى المواثيق الدولة في اعتبار الأسرة من النوع أمرًا قانونيًّا يلبي احتياجات البشر؛ فمثل هذه المثلية لا يُقرها الإسلام؛ لأنه فيها منافاة للفطرة الإنسانية وخروجًا عن حقيقة الزواج الذي من شأنه أن ينمي الأسرة ويكاثرها، ومن هنا حرم الإسلام الرهبنة، والإجهاض، حتى لو أقرّتها الجندرية المعاصرة ووسائلها من تمكين المرأة ونحوها.

وهنا نشير إلى فاعلية النظام الأخلاقي في الاسلام في تعاطيه مع أسلوب الحياة التي حرص الاسلام أن تكون على درجة عالية من الطهر والعفاف والصحة والنظافة بوصفها أسلوبًا وقائيًّا حضاريًّا ضد الأمراض بعامة لقوله صلى الله عليه وسلم : «الطَهور شطر الإيمان»[1].

فضلا عن تربية الضمير وتنمية وازعه الأخلاقي؛ ليكون رقيبًا على الإنسان في سلوكه الخلقي، فكل فرد مستقل بفكره وضميره كما ورد في المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا. فيجب أن يبقى الضمير الأخلاقي متيقظًا وبخاصة في التعاملات المادية

١-[1] صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم الحديث (٢٢٣).

والاقتصادية فهي تعاملات تلتصق بالقيم والأخلاق، فلذلك يجب أن تكون محكومة بنظم وقواعد تحددها وتفرضها واقعًا على الجميع. فالقيم والأخلاق الإسلامية لازمة لتحقيق العدالة و النمو الاقتصادي والمواءمة مع الحاجات المتجددة [١].

إن الأخلاق لُحمة الحياة الإسلامية وسداها، ولا فصل بين الدين والدولة، أو بين المادة والروح، وبهذا لا يقبل بحال ما قبلته أوربا من الفصام النكد، والانفصال المشؤوم بين الدين والدنيا، وما نادت به الرأسمالية وغيرها من الانفصال بين الاقتصاد والأخلاق، بل هما مقترنان ببعض، وهذا الاقتران بين الاقتصاد والأخلاق يتجلى في كل الحالات الاقتصادية في الإنتاج، والتوزيع، والتداول، والاستهلاك.

وسبب هذا الاقتران هو أنّ الأخلاق في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية؛ فلا تملكها مصلحة أو منفعة، فهي ليست كالأخلاق بالمفهوم الغربي؛ حيث إنها إذا انقضت المصلحة منها، أو تحققت المنفعة ضاع الخُلُق، وهذا هو أحد أوجه الاختلاف بين الأخلاق في الإسلام والأخلاق الأوربية [٢]، فلا يستطيع أحد أن يفهم سلوك المسلم الاقتصادي ما لم يفهم عقيدته وأخلاقه[٣]، ولا شك أن إدخال أي بعد أخلاقي في أي اقتصاد، فإن ذلك سيغيره بشكل جوهري، فكيف بالاقتصاد الإسلامي الذي من مرتكزاته الأساسية القيم و الأخلاق، فموقف الاقتصاد الإسلامي من الحلال والحرام، والحق والباطل، والعدل والظلم، والرحمة والغلظة، والأجر العادل وغير العادل، وتحريم الربا، والاحتكار، والغش، والنجش، والتدليس، وأكل أموال الناس بالباطل، وضبط سلوكيات المنتج، والمستهلك، ونظرة المسلم إلى الملكية، ودور الدولة

١-[٢] الاقتصاد الإسلامي مفاهيم ومرتكزات، د. منذر محمد قحف، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ص ٢٢-٢٧.

٢-[٣] النظرية الاقتصادية في ظل الإسلام، د. فكري أحمد نعمان، دار القلم- دبي، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ص ٦٧.

٣- الأسعار وتخصيص الموارد في الإسلام، د. عبد الجبار حمد السبهاني، وهي أطروحة دكتوراه مجازة من كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م: ص ١٧٢.

الإسـلامية في الحيـاة الاقتصادية... وغيرها، فكل هذه المفاهيم وأبعادها سـتدخل في التحليـل الاقتصادي وفق المعايير الأخلاقية الإسـلامية [١].

أما بالنسـبة للنظام السـياسي الإسـلامي فهو يقوم على الأخلاق والفضيلة، واحترام حقوق الإنسـان، واحترام العهود والمواثيق الدولية، والتشريعات الإسـلامية المتعلقة بالنظام السـياسي ونمط إدارة الدولة محفوفة بمنظومة من الأخلاقيات الإسـلامية.

فالنظام السـياسي الإسـلامي مرتبـٌط ارتباطًـا وثيقًا بالأخـلاق والفضيلة واحترام حقوق الإنسـان في حالتي السلم و الحرب[٢]، وتمتد الأخلاق الإسلامية إلى أهل الذمة الذين يعيشون في المجتمعات الإسلامية، حيث أن النظام السياسي الإسلامي يدعو إلى ثقافة التعايش والسلم الأهلي، والعيش المشترك لجميع من يقطنون في المجتمع المسلم ما لم يشـكلوا خطراً على النظام الإسلامي.

والإسلام منـح حـق الدفـاع عـن الذمـة لأدنى رجـل في المسـلمين، حيث يقـول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلـك ((المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسـعى بذمتهـم أدناهم، وهم يد على من سـواهم))[٣].

ومـن خـلال أدنى تأمل في سـائر التشريعات الإسـلامية ذات البعد السـياسي يلاحظ اللمسـات الأخلاقيـة فيها، حيـث تدخل الأخـلاق في الجانب التشريعـي، والتنفيذي، والقضائي، وهي ركائز أي نظام سياسي، فالتشريع السياسي، والتنفيذي، والقضائي في ظل النظام السـياسي الإسـلامي محفوف بالقيم والأخلاق الفاضلة.

١- الضوابـط الأخلاقيـة للتعامـل الاقتصـادي في الحديـث النبـوي الشريـف، احمـد سـلمان عبيد المحمـدي: ص ٤٥.

٢- فقه السياسـة الشرعية في ضوء القرآن والسـنة وأقوال السلف، د. خالد علي العنبري، دار المنهاج، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤ م: ص٣٦.

٣- مسند أحمد بن حنبل رقم الحديث (٩٥٩): ٢/ ٢٦٨ .

الفصل الثاني

الاستقامة العقدية في الباراديغم الأخلاقي عند الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

مدخل عام لبيان مفهوم الاستقامة العقدية

لا شك أن الأخلاق لا كما يتوهمه كثير من الناس ليس لها مدخلية بالجانب العقدي؛ بل على العكس من ذلك؛ فالعقيدة جوهر الأخلاق، والإسلام بخاصة من العقائد التي ابتنيت على الأخلاق، فلا يمكن أن نتصور مُسلمًا من دون اخلاق، أو أن نتصوَّر أخلاقًا من دون عقيدة، وما قد يراه بعضهم من وجود خلاف ما ذكرناه؛ فإنما هو محض وهم وخيال رسخ في ذهن من لم يحرر حقيقة المصطلحين،

ومن هنا مثَّل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ النموذج الشامل للإنسان الكامل الذي امتلأ جوهره بعقيدة التوحيد لله تعالى، وسرت تعاليم النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام في كيانه الإنساني حتى بات ينطق عن الأخلاق، وينطلق منها، وينتهي إليها.

والاستقامة عند أهل اللغة يقال: استقام القوم على عمود رأيهم أي على الوجه الذي يعتمدون عليه[١]. وحينها يستقيم أمر الرجل بعد فساد قد استمر[٢].

ويقال: استقام فلان على سنن واحد. أي على طريق واحد [٣].

وطريق مستقيم: أي قائم، قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾أي طريق الحق المستقيم غير المائل[٤].

والاستقامة في الاصطلاح: استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم نحو:

١- لسان العرب، لابن منظور: ٣/ ٣٠٥.

٢- المصدر نفسه: ٥/ ١٦٥.

٣- المصدر نفسه: ١٣ / ٢٢٦.

٤- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٨/ ٥٦٨٤.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾... أي الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال.

أما العقيدة فهي لغة من العقد مثل العهد: عاقدته عقداً مثل عاهدته عهداً [١].

قال الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالعُقُودِ﴾[٢]. أي العهود[٣].

والعقيدة في الاصطلاح هي: الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.

أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقًا للواقع، لا يقبل شكًّا ولا ضنًّا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمَّى عقيدة، وسمي عقيدة؛ لأن الإنسان يعقد عليه قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك[٤].

لذا ومما تقدم نقول الاستقامة العقدية، هي: الإيمان المطلق بالله تعالى وتوحيده والإيمان بسائر أركان الإيمان، والتي جاء ذكرها بقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٥].

وجاء في المسند قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.))[٦]

١- المصدر نفسه: ١/ ١٤١.

٢- سورة المائدة، من الآية: ١.

٣- تهذيب اللغة، للأزهري: ١/ ١٣٤.

٤- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦ م: ١/ ١٢١.

٥- سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

٦- مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٤٣٥، برقم (٣٦٧).

فـإن اعتقد الإنســان بهـذه الأركان اعتقـادًا صحيحًا، وظهرت آثـاره على جميع مناحــي حياته، فإنه حقق الاســتقامة العقدية.

ومـن خـلال ما تقدم نقول: إن الإســتقامة العقدية هي: الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورســله واليوم الآخر وبالقدر خـيره وشره، والعمل بموجب هذا الإيمان ومـا يترتب عليه من التزامات، أمراً ونهياً وفي ســائر التصرفات.

والاســتقامة العقدية هي الأصل الذي يبنى عليه، وتصح به ســائر أقوال وأفعال العبـد إن كانت وفق قواعد الشريعة الإســلامية وضوابطها، أمَّا إذا اختل الأصل فكل ما بني عليه باطل، فتذهب الجهود ســدىً، ويكون المآل ســيئًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[1] أي قالوا إلهنا وخالقنا ورازقنا هـو الله، وآمنوا به إيماناً يتضمن الاســتقامة على ما جاء به كتاب الله ورســوله (عليه الصلاة والسلام).

وأمـر الله ســبحانه وتعالى بالإســتقامة في محكـم التنزيل، قال تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وقالـوا: كـن طالبًا للاســتقامة لا طالبًـا للكرامة؛ فإن نفســك متحركة في طلب الكرامــة، وربــك يطلــب شــكر الاســتقامة، وقالــوا في فضــل الاســتقامة وبيان الحكمــة مــن صــدور الكرامــة: والحكمــة فيــه أن يــزداد بما يرى مــن خوارق العــادات وآثــار القــدرة يقيناً، فيقوى عزمــه على الزهد في الدنيــا والخروج من دواعــي الهوى، فســبيل الصــادق مطالبة النفس بالاســتقامة فهي كالكرامة.

١- سورة فصلت، من الآية: ٣٠.

٢- سورة فصلت، الآية: ٦.

المبحث الأول
معرفة الله تعالى

المطلب الأول: صحة الإيمان وعلاقتها بالأخلاق.

بات من المؤكد أنَّ الإيمان نعمة عظيمة جليلة في حياة المسلم، لا غنى له عنها؛ لأن فيها الحياة الحقيقية والسعادة الأخروية، وهذه النعمة لا يعرفها إلا مَن ذاق طعمها، وعاش بها وجدانه، ولا شك أن أول ما يطلبه المُنعِم من عباده هو أن يعرفوه؛ فإذا عرفوه عرفوا مراده، وما يحبُّه أو يكرهه، ومعرفة المراد مدعاة إلى التصديق به على حد تعبير أمير البلغاء الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبه التوحيدية الأُولى من نهج البلاغة بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أولُ الدينِ معرفتُهُ، وكمالُ معرفتهِ التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاص له»[1].

وفي معرفة الله تعالى من الإيمان به سبحانه، والتصديق بما جاء به نبي الله الأكرم صلى الله عليه وآله، ووجوب وجوده وأنه تعالى واحدٌ في الذات والصفات والأفعال نجد الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقرِّرُ من خلال أدعيته في الصحيفة السجادية أنَّ العلم والعمل كفيلان بتعظيم الخالق ومعرفته، لذا نراه يقول: ﴿سُبْحَانَكَ أَخْشَى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ﴾[2].

فالإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا يشير لأمرٍ مهم، وهو ملحظ فني معمول به عند الحكماء، وهو أن مبحث «ما الشارحة» يجب أن يكون بعد مبحث «هل البسيطة»، فالحديث عن عظمة الله تعالى يكون بعد الفراغ عن السؤال بهل: الله تعالى موجود؟، ولذلك نجد الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير هنا إلى أن المحقق لخشية الله

١- نهج البلاغة: الخطبة الاولى: ١/ ٢١.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

تعـالى هـو العالم به، والمحقـق للخضوع التام هـو الذي يعمل بطاعـة الله تعالى، وذلك لا يتأتى إلا بواسطة الرسل أو بإقامة الدلائل في الأفاق والأنفس أو بواسطة العقـول أو بخلقـه لهم على فطرة التوحيد فإن من عرف نفسـه فقد عرف ربه[١].

وهذه دعوة من الإمام السـجاد لسـلوك هذا الطريق في الوصول إلى الحق سبحانه وتعـالى؛ حيث أوضح الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الأمـر بأن حمد الله تعالى على أنه أعطانـا المعرفة به، وجعل شـكر الله تعـالى إلهامًا لنا منه تعالى، حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى مَا عَرّفَنَا مِنْ نَفْسِـهِ، وَ أَلْهَمَنَا مِنْ شُـكْرِهِ) [٢].

وهذا رأس الخلق وأسـه وأساسـه المتين، وهو ما لحظه الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في أكثـر كلمات أدعيته؛ فهو غالبا كلما ذكر الشـكر وهـو خلق قويم عظيم فهو يذكر معـه الإلهـام أو يقول أوزعني، وهو لفظ يطلق ويـراد به الإلهام «وأوْزَعَه الشيء: ألهَمَـه إيـاه، وفي التنزيـل ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[٣]. لِتُـوزَعْ بِتقوى الله أي لتُلْهم بتقوى الله»[٤].

يقول (عليه السلام):(وَأَوْزِعْني أَنْ أُثْنِيَ بِما أَوْلَيْتَنيهِ وَأَعْتَرِفَ بِما أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ)[٥].

وهذا ربط لمعاني الأخلاق بمنشـئها، فهو يرشـد في هذا الدعاء إلى أهمية الركون إلى الحـق تعالى، واسـتدعاء معاني المعونة منه سـبحانه؛ فيقول: (اللّهُـمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُـكْرَ ما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ) [٦].

فيتحصل عندنا أن الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يلحظ الطريق الموصل لتحصيل المعرفة

١- نور الأنوار في شرح الصحيفة السـجادية، السـيد نعمة الله الجزائري، أميران، ايران، د. ط، ١٤٢٧هـ:ص٣٤.

٢- الصحيفة السجادية: دعاء: ١.

٣- سورة النمل، الآية: ١٩.

٤- لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٣٩٠، مادة وزع.

٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

٦- المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

الإلهيــة، وأنــه لا يكون إلا عن طريق الالتجاء له ســبحانه، حيث منه تفيض معاني الطهر والخلق القويم، وهذا ما يؤكده قول الإمام الســجاد»ع» مرة أخرى[١]:

(الحَمْـدُ لِلّـهِ الـذِي لَوْ حَبَـسَ عَنْ عِبـادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْـدِهِ عَلى ما أَبْلاهُمْ مِـنْ مِنَنِهِ المُتَتابِعَـةِ؛ وَأَسْـبَغَ عَلَيهِمْ مِنْ نِعَمِـهِ المُتَظاهِـرَةِ؛ لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَـمْ يَحْمَدُوهُ؛ وَتَوَسَّـعُوا في رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْـكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسـانِيَّةِ إلى حَدِّ البَهيمِيَّةِ فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ:﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٢]) [٣].

فالإمام الســجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يوضح هنا أن تحقيق المعرفة بالله تعالى وصفاته طريق نحــو معرفة ما يفيض عن الله تعــالى من معاني الطهر والنقاء، فبعد أن يلهم الله تعــالى عبــاده معرفته، وأنَّه هو المنعم وجب على عباده شــكره بمــا يتفضل عليهم ويرزقهم ويتكرم عليهم من النعم الظاهرة والمتتابعة، كما قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[٤].

وهنــا امــر يجدر الوقوف عنده وهو أنه من المفترض أن الشــكر فرع عن معرفة الله تعالى، ولا يتأتى الشكر الكامل والصحيح من دون معرفة سابقة بالمشكور، ومن ثم لا سبيل إلى حمده حق الحمد من دون تحقيق هذه المعرفة، ولو تحققت لهم النعم والأرزاق من دون أن يعرفوه لتصرفوا فيها تصرف البهائم ولخرجوا من حدود الإنســانية إلى حدِّ البهيمية؛ إذ البهيمة لا تشــكر لعدم معرفتها، وكذلك

١- ينظر: المســائل العقدية في الصحيفة الســجادية- دراسة استقرائية وصفية -، رسالة مقدمة إلى مجلــس كليــة العلوم الإسلاميــة / جامعة بغداد من قبل الطالب حــازم عباس نعمان، وهي جزء من متطلبات نيل شــهادة الماجســتير في العقيدة والفكر الإسلامي، بإشراف أ. م. د. مروان عطا مجيد ١٤٣٩هـ-بغداد-٢٠١٨م.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

٤- سورة إبراهيم، الآية: ٣٤. وسورة النحل، الآية: ١٨.

يكون الإنسان حينئذ، ولا يخفى أن التشبيه بحسب الظاهر وإلاّ فالبهائم تعرف الإله وتشكره كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [١]» [٢].

إن الاعتقاد بوجود الله تعالى يعد من الاصول المشتركة فيما بين الشرائع السماوية على اختلافها[٣]

وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤]، باعتبار أن الآيات الأنفسية والآفاقية كلها دلالات على الخالق العظيم، يقول الإمام علي عليه السلام «عجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله» [٥]، ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «عجبت لمن شك في الله وهو يرى عجائب مخلوقاته»[٦].

إن مسألة وجود الخالق العظيم لم تكن وليدة ما تكلم فيه المتكلمون وإنما خاض بها من قبلهم أصحاب الفلسفة، لذا نجد عند اليونان وخاصة في بحوثهم كلاما لأرسطو في إثبات الإله وقد تبنى أرسطو فكرة المحرك الذي لا يتحرك، والمقصد من ذلك أن العقل يحكم بضرورة ان تنتهي المحركات في حركتها إلى محرك هو الأساس لا يتحرك وهو الله تعالى. [٧] ،أما الرواقيون فيؤمنون بنظرية (إجماع

١- سورة الأسراء، الآية: ٤٤.

٢- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، د. ط، ٢٠٠٨م: ص١٩.

٣- العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)،جعفر السبحاني (معاصر): (٤٣).

٤- سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

٥- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(٦٥٦):(١٨ / ٣١٥).

٦-إحقاق الحق، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري(ت: ٢٨٣ هـ)، د. ط، د. ت: ١٢/ ١٠٥.

٧- ينظر: أرسطو طاليس (المعلم الأول)، ماجد فخري(معاصر)،المطبعة الكاثوليكية، بيروت،

الأمم) ومعنى ذلك أن الناس جميعا يجزمون ويعتقدون بوجود الآلهة[١] .

وفي معرض تأكيد الإمام على ضرورة معرفته سبحانه وتعالى يوجه الأنظار لأهم المسالك التي يمكن أن يفيد منها المسلم في الرد على الملاحدة المنكرين لوجود الله تعالى؛ فيحصر الطريق العقلي في أمرين:

الأول: مسلك الاستدلال على وجود الله تعالى بالله تعالى بنفسه

الثاني: مسلك الاستدلال على وجود الله تعالى بخلقه.

أما الأول: فهو الذي اصطلح على تسميته بـ(برهان الصدّيقين)، وهو «أوثق وامتن واقوى البراهين في اثبات الوجود الواجبي»[٢].

ويعد هذا البرهان من البراهين المهمة في تقرير مسألة وجود الله تعالى وهو من «أسد البراهين وأشرفها اليه هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة فيكون الطريق الى المقصود عين المقصود وهو سبيل الصديقين الذين يستشهدون به تعالى عليه؛ ثم يستشهدون به على صفاته، وبصفاته على افعاله»[٣].

وتقرير هذا البرهان أو الدليل اتخذ عدة مناحي نذكر منها:

أ. «الحق ما وجوده له من ذاته. فلذلك البارئ هو الحق، وما سواه باطل. كما ان واجب الوجود لا برهان عليه، ولا يعرف الا من ذاته» [٤].

ب. أن حقيقة الوجود إما واجبة، واما تستلزمها؛ فإذن الواجب موجود وهو

د. ط، ١٩٨٥ م: ص٩٥.

١- ينظر: الفلسفة الرواقية، عثمان امين(ت: ١٩٤٦م)،مكتبة النهضة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م: ص١٨٨.

٢-(٣) نهاية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٩٨١م)، تعليق الشيخ عباس علي الزراعي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٥، ١٤٣٠هـ: ٢/ ٢٠٧.

٣- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ص در الدين الشيرازي، دار احياء التراث، بيروت، د. ط، ١٤١٩: ٦/ ١٥.

٤- التعليقات، ابن سينا، تحقيق وتقديم: د. حسن مجيد العبيدي، دار الفرقد، سوريا – دمشق، د. ط، ٢٠٠٩: ص٧٠.

المطلوب» [١].

ولهذا المعنى اشار الإمام علي (عليه السلام): (ما رَأَيتُ شَيئاً إلاّ وَرَأَيْتُ اللهَ قبْلَهُ، وبَعْدَهُ ومَعَهُ) [٢].

وهـذه معـان أخلاقيـة تجعل من العبـد في مراقبـة دائمة لما يحيط بـه، في بيته، ومدرسـته أو جامعته، ومصنعه؛ فليس هناك أظهر من الله تعالى؛ فهو سـبحانه أجلى الحقائق على حدّ تعبير الإمام الحسـين (عليه السـلام) بقوله: (كيف يستدلّ عليـك بمـا هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المُظهِر لك، متى غبت، حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ !... بك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك) [٣].

فالله تعالى عرفنا نفسه بنفسه على حدِّ تعبير الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: (الْحَمْدُ لله عَلَى مَا عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ... وَفَتَحَ لَنَا من أبوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيّته) [٤]. وهذا واضح بين من أن الطريق إلى الله هو الله نفسه سبحانه وتعالى.

وعندمـا سُـئل أمـير المؤمنـين (عليه السـلام) عن الله عـز وجل أين هـو ؟ قال: «هـو ههنا وههنا وفوق وتحـت، ومحيط بنا ومعنا، وهو قولـه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ [٥] [٦]. ويقصـد بـه أن البـاري عـز وجل لا يمكن أن يحد بحد أو يوصف بأنه جسـم. ويقول الإمام موسى بن جعفرعليه السـلام:(إن الله

١- نهاية الحكمة، الطباطبائي: ٢/ ٢٠٨.
٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٢.
٣- المصدر نفسه: ٦٤/ ١٤٢.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.
٥- سورة المجادلة، الآية: ٧.
٦- الـكافي، الشـيخ محمد بـن يعقوب الكلينـي (ت: ٣٢٩ هــ): ١/ ١٥٠، كتـاب التوحيد، باب العرش والكـرسي(٣٣٣).

تبارك وتعالى، لا يخلو منه مكان، ولا يُشغل به مكان، ولا يحل في مكان، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...الاية﴾ ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا اله إلا هو الكبير المتعال «.[١]

أما المسلك الثاني الذي سار عليه الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ فيتمثل في إرشاد الخلائق على ما في الكون من نظم وبدائع أي « بما دل به على نفسه من الآثار العجيبة والأفعال الغريبة»[٢].

وهذا الدليل هو الأوضح من بقية الأدلة على وجود الله تعالى في الصحيفة السجادية، وقد يطلق على هذا البرهان تسميات عديدة منها برهان النظم او برهان اتقان الصنع او البرهان الغائي[٣].

وقد تناول الامام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المسلك في الصحيفة السجادية بصورة صريحة وواضحة؛ حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأْ وَاخْتَرَعَ وَاسْتَحْدَثَ وَابْتَدَعَ وَأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ، سُبْحانَكَ مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ))[٤].

ووجه دلالة هذا الكلام أن قوله: «((أنت الذي ابتدأ واخترع)) الأشياء أي بأن صنعها بغير مثال (واستحدث وابتدع) الأشياء إنشاءً من غير مادة أو مثال

١- التوحيد، الشيخ محمد بن علي الصدوق(ت:٣٨١ هـ): ص١٧٩، بيانه في الدليل على أنه تعالى ليس في مكان(١٢).

٢- شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ٥/ ١٥٧.

٣- يُنظر: الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ١/ ٩٤؛ أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن، طبعة دار الأمام الأعظم النعمان بن ثابت، لبنان – بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ١/ ٩٥.

٤- الصحيفة السجادية: دعاء: ٤٧.

(وأحسن صنع ما صنع) فصنعه كله حسن وإن لم يدرك الإنسان وجه الحكمة وحسن الصنعة»[١].

وحين إعمال النظر في معنى كونه تعالى «أحسن صنع ما صنع» نجد أن معنى إحسان الصنع يدل على معاني الموافقة والانسجام والترتيب، وهو وصف يتوافق مع النظام ويتوائم مع العناية الالهية.

والخلائق كلها بهذا المعنى منقادة إليه سبحانه وتعالى، وقال»ع»: ((فَكُلٌّ خَليقَتِهِ مُنْقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهِ))[٢].

«أي كل خلق الله تعالى منقادة لنا والانقياد معناه الحركة لأجلنا فإن الشمس والقمر والأفلاك وغيرها تسير لمصلحة الإنسان (وصائرة إلى طاعتنا) فإن الإنسان يتصرف في الأرض وما عليها ـ كأنها مطيعة له»[٣].

«وصفة العناية هذه هي التي تفيض ما يعرف بالنظام الأحسن والأكمل حيث يكون في كل عالم من العوالم بنحو يؤدي إلى تحقيق الكمالات الوجودية بنحو اكثر وأرفع فعناية الحق توصل تلك الموجودات الفاعلة بالإرادة إلى أكمل ما يمكن أن تكون عليه» [٤].

أمَّا الاختراع؛ فقد ذكره الامام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ نصًّا وصريحًا في دعائه؛ حيث قال:((ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ على مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً)) [٥].

وقد دحض الإمام الرضا عليه السلام النظرة المادية للزنادقة[٦] عندما احتج

١- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص٣٤٨.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

٣- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص٢٣.

٤- الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، دار الأمير، د. ط، ١٤٣٣هـ: ١/ ٧٦.

٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

٦- الزنديق، وهو الذي بشريعة، ويقول بدوام الدهر. والعرب تعبر عنه بقولهم: ملحد، والجمع زنادقة. وفي الحديث:(الزنادقة هم الدهرية الذين يقولون: لا رب ولا جنة ولا نار،

عليه احدهم قائلاً: هل يقال لله تعالى شيء؟ فقال: « نعم، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه، فقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[1]؛ فهو شيء ليس كمثله شيء» [2].

وروي كذلك أن الإمام الرضا عليه السلام قد استفهم من تلميذه محمد بن عيسى عن وجود الله تعالى؛ فقال عليه السلام:» اخبرني عن الله عز وجل شيء هو أم لا؟ فقال: قد اثبت الله عز وجل نفسه شيئًا حيث يقول: : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، اذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، فقال له الإمام عليه السلام: صدقت وأصبت» [3]

ومن هنا تظهر المعاني الأخلاقية التي لحظها الإمام السجاد «ع « في الدعوة نحو تحقيق المعرفة العقدية فهو في الوقت الذي نأى عن الاختلافات المشحونة بها

وما يهلكنا الا الدهر. وفي المجمع: الزنادقة قوم من المجوس يقال لهم: الثنوية، يقولون: النور مبدأ الخيرات، والظلمة مبدا الشرور، وقيل: الزنديق مأخوذ من الزند وهو كتاب الفهلوية كان لزرادشت المجوس، ثم استعمل في كل ملحد في الدين. ينظر: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥ هـ): ٢/ ٢٩٣.

وقد أوضح الإمام الكاظم عليه السلام معنى ذلك حين سأله هارون الرشيد قائلا: فما الزنديق عندكم اهل البيت؟ فقال الإمام: «الزنديق هو الراد على الله وعلى رسوله وهم الذين يحادون الله ورسوله، قال الله:] لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ....الآية[سورة المجادلة: (٢٢). وهم الملحدون، عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد. فقال هارون: أخبرني عن اول من ألحد وتزندق؟ فقال موسى الكاظم عليه السلام: اول من ألحد وتزندق في السماء إبليس اللعين، فاستكبر وافتخر على صفي الله ونجيّه آدم عليه السلام، فقال اللعين:]أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[، المجادلة، الآية: ١٢، فعتا عن أمر ربه وألحد، فتوارث الإلحاد ذريته إلى أن تقوم الساعة...). تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني: ص٤٠٦.

١- سورة الانعام، الآية: ١٩.

٢- عيون أخبار الرضا، الشيخ محمد بن علي الصدوق: ٢/ ١٢٢، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد(٢٩).

٣- التوحيد، الشيخ محمد بن علي الصدوق(ت: ٣٨١ه): ص١٠٧. بيانه في معنى الواحد والتوحيد والموحد (٨).

كتــب المتكلمــين والاتهامات المتبادلة فيما بينهــم، وترفع عن هذا القاع الذي بات مزدحما ليؤسس لنا طريقة قرآنية ترى ضرورة توضيح الحق وابرازه بصورة تكــون كفيلة برفع أيِّ خــلاف وتنازع فضلاً عن تدابر وتقاتل. وهو بهذا المعنى يحقــق البعــد الأخلاقــي في الدرس الكلامي الــذي يجب أن نســتوحيه في حياتنا المجتمعية، وما أحوجنا إلى ذلك.

المطلب الثاني
وحدانية الله وخلع مظاهر الشرك والضلال.

من يستقرأ تراث أهل البيت «عليهم السلام» سيجد مدى العناية بقضية التوحيد ونبـذ الشرك؛ بـل تُعدُّ قضية وحدانية الله تعالى في أعلى اهتمامات الأئمة من أهل بيت النبوة ع؛ حيث إن توحيد الله تعالى وأنه المعبود الأحد الذي لا ثاني معه من أصول الدين الأساسية التي ينبغي على كل مخلوق التسليم بها والاقرار بحقيقتها قال تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا﴾[٢] ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣]وغيرهـا الكثير من الآيات القرآنية المتعلقة بتوحيده عز وجل.

قـال صاحـب الميـزان إن آيـات القـرآن الكريم عـلى احتوائها تفاصيـل المعارف المتعلقـة بالله تعالى والحقائق الجليـة البينة فهي بذلك تعتمد على حقيقة واحدة هـي الأصـل وهـذه الحقيقة هي القاعـدة التي يبتنـى عليها غيرها ومـا هذه إلا فروعه، وهي الأسـاس الذي بني عليه بنيان الدين، وهو توحيد الله تعالى ونفي الآلهة الأخرى المزعومة، وتوحيد الإسلام يكمن بأن يعتقد المكلف بأن الله تعالى هـو رب كل شيء ولا إله غيره.[٤]

قال الشيخ مرتضى مطهري: لعلنا يمكن أن نقول بأن البحوث المتعلقة بتوحيده عـز وجـل والموجـودة في خطب أمـير المؤمنين عليـه السـلام والمجموعة في نهج البلاغـة تعتـبر من أعجب بحـوث هذا الكتـاب وأروعها، فإنها من غـير مبالغة،

١- سورة هود، الآية: ٢٦، فصلت، الآية: ١٤، الاحقاف، الآية: ٢١.

٢- سورة النحل، الآية: ٣٦.

٣- سورة الانبياء، الآية: ٢٥.

٤- ينظر، الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، د. ت: ١٠/ ١٣٥.

ونظـرًا لشرائـط الزمـان والمكان للصدور فهـي بهذا القدر تقـترب من الإعجاز وحدوده. [١]

يقول الإمام عليعليه السلام في وصية لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وأعلم يا بني انه لو كان لربك شريكٌ لأتتك رسلُه، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه» [٢]

وسـئل الإمام السـجاد عليه السـلام عن التوحيد، فأجاب: «إن الله عز وجل علم انـه يكـون في آخر الزمان أقوام متعمقون فانـزل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» [٣] والآيات من سـورة الحديـد الى قولـه: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤]ومن رام وراء ذلك فقد هلك» [٥].

ويُقَسّـم الإمـام علي عليه السلام الظلم على ثلاث أصناف فيقـول: «ألا وإن الظلم ثلاثـة: فظلـم لا يغفـر، وظلـم لا يترك، وظلم مغفـور لا يطلب، فأمـا الظلم الذي لا يغفـر، فالشرك بالله، قـال سـبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾[٦][٧]؛ ويقـول عليـه السلام في شـأن هذه الآيـة الكريمة: (مـا في القرآن آية أحـب إليَّ مـن قوله عـز وجـل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾[٨]، قال النيسابوري: «اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين

١- ينظر: في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري(ت: ١٩٧٩م)، ترجمة: هادي اليوسـفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٧٨م: ص٣٥.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت: ٦٥٦هـ): ١٦/ ٧٧.

٣- سورة الإخلاص، الآية: ١.

٤- سورة الحديد، الآية: ٦.

٥- ميـزان الحكمـة، محمد الريشـهري(معاصر)، دار الحديث، قـم، ط١، ١٤١٦ هـ: ٣/ ١٨٩٠، بـاب حق المعرفـة (٢٦١٤).

٦- سورة النساء، الآية: ٤٨.

٧- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت: ٦٥٦هـ): ١٠/ ٣٣.

٨- التوحيـد، الشـيخ محمـد بـن علي الصـدوق(ت: ٣٨١ هــ) التوحيـد، محمـد بـن علي الصـدوق(ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السـيد هاشـم الحسـيني الطهراني، مصـادر الحديث الشـيعية، قسـم الفقـه: ص٤٠٩؛ بيانـه في وجـه العـدل وعدلـه تعـالى في الأطفـال: ص٨.

عليه السلام وخطبه، فإنها تتضمن ذلك ما لا يزيد عليه، ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك علم أن جميع ما أطنب المتكلمون في تصانيفهم تفصيل لتلك الأصول، وروي عن الأئمة(عليهم السلام) مثل ذلك»[1] .))

فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «اعلموا عباد الله أنَّ أهل الشرك لا تُنصَب لهم الموازين، ولا تُنشَر لهم الدواوين، وإنَّما يحشرون إلى جهنَّم زمراً، وإنَّما نَصْبُ الموازين، ونَشْرُ الدواوين، لأهل الإسلام، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يحبَّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحدٍ من أوليائه، ولم يرغِّبهم فيها، وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنَّما خلق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيُّهم أحسنُ عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وصرَّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوّة إلا بالله... «[2]

هذه الخطبة من الخطب البليغة التي اشتملت على معانٍ جزيلة موفورة، وكلها ناطقة بنبذ الشرك والشركاء كما قال الله عز وجل مخبرًا عن عبده لقمان الحكيم أَنَّهُ قال لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، والشرك: أن تجعل لله شركاء في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد[4].

إن أي إله يتخذ للعبادة سوى الله مهما تكن المبررات فهو شرك؛ لذلك فإن من المهم تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله تعالى، وفهم معناها، والعمل بمقتضاها، ومخالفة معتقدات مشركي العرب وأشباههم ممن قالوا:

١- روضة الواعظين، الشيخ أبو علي، محمّد بن الحسن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ): ص ٣٠.

٢- الكافي، للكليني، دار الكتب الإسلامية، د. ط، د. ت: ٨ / ٧٥.

٣- سورة لقمان، من الآية: ١٣.

٤- تهذيب اللغة، للإزهري:١٠/١٣.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [١]، وممن قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [٢]، يشيرون إلى أوثانهم التي مثلوها بصور الأنبياء والصالحين.

والإيمان بالله جل وعلا إذا وقر في القلب يمنع النفس بأن يخطر لها مثل هذه الأفكار الضالة والمنحرفة، وقد وصف الله تعالى اليهود والنصارى الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم مثل ما غلا المشركون في آلهتهم وبما وصف به عبُاد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء المنحرفين كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣].

فمن كان مستقيماً في عقيدته؛ فإنه يعلم حقيقة بأنَّ هناك أمورًا يختصُّ بها الله تعالى ولا يمكن لأحد من ملك، أو رسول، أو نبي، أو مقرب أن يكون له شأن فيها وهي:

العلم المحيط الشامل: أي أن الله تعالى هو من له العلم المطلق؛ فيعلم ما دق وجلَّ، وما بَعُدَ ودنا، أو خفي وظهر، لا تخفى عليه خافية.

التصرف المطلق: فالله تعالى هو المتصرف في العالم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كُلُّها من خصائص الله تعالى.

أعمال العبادة وشعائرها: أي أن ثمة أعمالا تم تخصيصها لتعظيم الله تعالى

١- سورة الزمر، من الآية: ٣.

٢- سورة يونس، من الآية: ١٨.

٣- سورة التوبة، الآية: ٣١.

لنفسه، وأرادها من عباده، من صلاة وصيام وحج وزكاة ونحوها من سائر الأعمال التي تؤكد عظمة الخالق وكبرياء الباري وافتقار الخلق لعطفه ولطفه، فلا يجوز أن تؤدى لغيره. فكل شيء بيده وهو وحده صاحب الأمر وتفويض الأمور إليه والرضا بما قدر هو الطريق الصحيح الذي به السعادة والكرامة.

وتفويض الأمر لله هو نهج الأنبياء والصالحين قال تعالى على لسان مؤمن بني إسرائيل: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [١].

يقال أنه لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [٢]، شقَّ على أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((إنما هو الشرك ألا تسمعوا إلى قول العبد الصالح)): {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [٣].

وفي هذا المعنى يؤكد الإمام السجاد عليه السلام بأنَّ الوحدانية جوهر الإسلام وحقيقته ومعناها لغة: «الواحِدُ أَوَّلُ عَدَدِ الحِسابِ... ووَحَّدَهُ تَوْحِيداً جَعَلَهُ واحِداً، والتوحيدُ: الإيمانُ بالله وَحْدَهُ. والله الْأَوحدُ والْمُتَوَحِّدُ: ذُو الوَحْدانِيَّة»[٤]. «فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأَحد منفرد بالمعنى»[٥].»والواحد الأحد: اسمان دالان على معنى الوحدانية»[٦].

١- سورة غافر، الآية: ٤٤.

٢- سورة الأنعام، من الآية: ٨٢.

٣- سورة لقمان، من الآية: ١٣.

٤- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت: ٣/ ٢٨١، مادة وحد؛ لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٤٤٦، مادة وحد؛ القاموس: ١/ ٣٢٨، فصل الواو.

٥- لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٤٤٦، مادة وحد؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت: ١/ ٢٣٢٤، فصل الواو.

٦- مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١١٩، باب ما اوله واو.

اصطلاحا: «عبارة عن نفي التعدد في الذات والصفات والأفعال. فهو سبحانه لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[١].

وضدها: «التعدد في الذات والصفات اتصالا وانفصالا وفي الافعال انفصالا»[٢].

وقد حفلت الأدعية السجَّادية بالعديد من الإيماءات لهذه الصفة- منها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :(فَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ)[٣]. «فإن الله أرشدنا إلى لزوم أن نوحده، ونجعل إله الكون واحداً مخلصاً له العقيدة، لا أن نشرك معه غيره»[٤].

إن الإخلاص هو الذي يتم به التوحيد المطلق، إذ كان عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الأول عن مستن الإيثار. وبيان ذلك: أنه ثبت في علم السلوك أن العارف ما دام ملتفتا، مع ملاحظة جلال الله وعظمته، إلى شيء سواه، فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيرا، حتى أن أهل الإخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا[٥].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَأَخْلَصَ لَكَ بِالوَحْدانِيَّةِ)[٦]. «بأن وحدك مخلصاً بدون أن يشرك معك شيئاً»[٧]. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَكَ يَا إِلهِي وَحْدَانِيَّةُ العَدَدِ)[٨]. أنت واحد في ندائي

١- تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، تصنيف: العلامة سعيد عبد اللطيف فودة، نشر ومراجعة: دار الرازي للطباعة والنشر- عمان – الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٤١.

٢- اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١/ ١٢١.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

٤- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٠.

٥- رياض السالكين، علي خان: ٣/ ٢٠٥.

٦- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٧.

٧- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص١٢٩.

٨- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

ودعائي ورجائي وسـؤالي وقصدي، والمراد المقصود: «لي واحد لا أن له سـبحانه وحـدة كالوحدة العددية التي لها ثـان وثالث وهكذا»[١].

«فمعنى قصر وحدانية العدد عليه سـبحانه: نفي التعدد والتكثر والاختلاف عن الـذات والصفـات على الإطـلاق، وهذا المعنى مقصور عليه تعـالى لا يتجاوزه إلى غيره»[٢].

وما صرح به الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ متمثِّلاً بسـورة الاخلاص: إِنَّكَ الواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَـدُ، الَّـذي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ[٣].

وأشار إلى معنى مقارب بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتَ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ، الأَحَدُ الْمُتَوَحّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرّدُ[٤].

وانبرى الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في استعراض المفهوم المخالف أيضًا ونفيه عنه تعالى في تبيان معنى الوحدانية؛ حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَنْتَ الَّذي لا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعانِدَكَ، وَلا عِدْلَ لَكَ فَيُكاثِرَكَ وَلا نِدَّ لَكَ فَيُعارِضَكَ)[٥].

إن الضدين ذاتان موجودان يحل أحدهما محل الآخر، وهذا مسـتحيل بالنسـبة إليه تعالى، ولذا لا صنف له إذ الضد يظهره ضده ولا معادل ومماثل يجمع الجند والأعوان ليكون أكثر منك عدداً يعارضك كما يعارض المثل مثله[٦].

وقـال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَلا تَـرُدَّ دُعآئـي عَلَيَّ رَدّاً؛ فَإِنِّـي لا أَجْعَلْ لَكَ ضِـدّاً؛ وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً)[٧].

١- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٠٨

٢- رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٢٩٧.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٥.

٤- المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

٦- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٨.

٧- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٠.

«(ولا ترد دعائي عليَّ ردًّا) بأن لا تستجيبه (فإني لا أجعل لك ضدًّا) أي: مضادًّا في ربوبيتك (ولا أدعو معك ندًّا) أي: مثلاً لك. لا ادعو معك مماثلاً، بل أعبدك، وأدعوك وحدك لا شريك لك، آمنت بك، وبرئت ممَّن يعبد سواك»[١].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ في المضمون نفسه: أَسْأَلُكَ...سُؤَالَ مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ[٢].

ويمضي الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ في إبراز هذا المعنى؛ حيث قال: فَتَعالَيْتَ عَنِ الأَشْباهِ وَالأَضْدادِ وَتَكَبَّرْتَ، عَنْ الأَمْثالِ وَالأَنْدادِ، فَسُبْحَانَكَ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ[٣].

«تعاليه عن الأشياء المشاركة له في صفاته، وبتكبره عن الأمثال: تكبره عن الأشياء الموافقة له في حقيقة ذاته. والأضداد: جمع ضد، وهو يطلق تارة على المساوي في القوة للمانع، وتارة على النظير والمثل، والأول هو المشهور»[٤].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَقَدْ قَدَّمْتُ تَوْحيدَكَ وَنَفْيَ الأَضْدادِ والأَنْدادِ وَالأَشْباهِ عَنْكَ)[٥].

ولتحقيق الوحدانية على أتمِّ معانيها نجد الإمام السجاد»ع» يعرب في أدعيته عن نفي المماثلة بينه سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته، حيث تتجلى معاني التنزيه في أبهى صورها في قوله: (اللهم لك الحمد... وارث كل شيء، ليس كمثله شيء)[٦].

وجاءت الرواية «أن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ سمع قوما يشبهون الله بخلقه؛ ففزع لذلك، وارتاع له ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ورفع صوته يناجي ربه، فقال(عليه السلام): في مناجاته له: (شبهوك وأنا برئ يا إلهي من

١- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص١٤٢.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٢.
٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.
٤- رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٣٠٧.
٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.
٦- الصحيفة السجادية، دعاء:٤٧,

الذين بالتشـبيه طلبوك، ليس كمثلك شـئ إلهي ولم يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمـة دليلهـم عليـك لو عرفـوك، وفي خلقك يا إلهـي مندوحة عـن أن ينالوك، بل سـاووك بخلقك، فمن ثم لم يعرفوك، واتخـذوا بعض آياتك ربا، فبذلك وصفوك، فتعاليـت يا إلهي عما به المشـبهون نعتوك)» [١].

من هذا يتضح أن للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أسلوبه الخاص مع خصومه في الحوار، فـكان إذا سـمع أنّ رجلا يتكلـم مع الناس بعقيدة فاسـدة، وقد تكون الأوضاع لا تـؤذن بالولوج معـه في نقاش وفي محاجة، حينها يلتمس بالدّعاء وسـيلة، ويكفل الدّعاء جواب على هذا الإنسـان وإفحامه. وتلك من أروع المناهج التي يمكن للفرد أن يزاولهـا في كيفيـة الدّعوة وتدارك الانحراف في المقام الّذي لا يسـمح له الموقف بـأن يدخـل في مواجهـة مع الآخريـن، حتى إنّـه عَلَيْهِ السَّلَامُ يجهر بصوتـه في الدّعاء، ليوصل سـمعه هذا إلى النّاس.

ويركز الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا على أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجـودة والمعدودة مطلقا. والمخالفة للحوادث بلسـان المتكلـمين هي عبارة عن سـلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمهما عنه تعالى فلازم الجرمية هـو التحيـز، ولازم العرضيـة هو القيـام بالـغير، ولازم الكلية هو الـكبر، ولازم الجزئية هـو الصغر» [٢].

ومـن اقـوال الامام السـجاد ع في مخالفته للحوادث ونفي الامثـال: (فَتَعالَيْتَ عَنِ الأَشْـباهِ وَالأَضْـدادِ وَتَكَبَّرتَ، عَـنْ الأَمْثالِ وَالأَنْدادِ، فَسُـبْحَانَكَ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ)[٣].

وصـدح السـجاد ع في ادعيتـه منزهـا الله جل جلاله عـن الحوادث: (سُـبْحانَكَ لا

١- بحار الانوار، المجلسي: ٣/٢٩٣.
٢- بحار الانوار، المجلسي: ٣/ ٢٩٣.
٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

تُحَسُّ وَلا تُجَسُّ وَلا تُمَسُّ وَلا تُكادُ وَلا تُماطُ وَلا تُنازَعُ وَلا تُجارى وَلا تُمارى وَلا تُخادعُ وَلا تُماكَرُ)[١].

«فلا تدرك بالحواس الخمسة الباصرة والذائقة والشامة واللامسة والسامعة ولا يعلم أخبارك، من التجسس ولأدرك باللامسة فإنه تعالى ليس بجسم ولا عرض حتى يدرك بالحواس ولا يمكر بك ولا يزال سلطانك ولا تدفع عن ألوهيتك وإنه ليس في الوجود من هو قابل لمنازعته تعالى ولا أحد يجاريك ويماثلك ولا يجادلك أحد ولا يقدر على خدعة الله تعالى و لا يقدر على أن يمكر بالله بأن يعمل عملاً خفياً ضده»[٢].

إذن الله لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء، تعالى الله تعالى، ومن الصفات السلبية التي تتعلق بصفة المخالفة للحوادث قيامه تعاله بنفسه خلافا للمخلوقات والعوالم وكل ما سوى الله تعالى، وقد أبرز الامام السجاد (عليه السلام) قيامه تعالى بنفسه وعدم احتياجه الى المكان حيث قال:(أَنْتَ الَّذي لا يَحْوِيكَ مَكانٌ)[٣]. أي: «لا يشملك (مكان) فإنه ليس بجسم حتى يكون له مكان»[٤]. «ولوكان له مكان لافتقر اليه والله غني عن كل شيء»[٥]. «ثم ان المكان من خواص الجسم والجسماني فالجسم متحيز بالذات والجسماني- أي الاعراض القائمة بالأجسام - متحيز بالتبع وانت منزه عنها» [٦].

١- المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

٢- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٥٠.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

٤- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٧.

٥- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٩٠.

٦- رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين، محمد بن محمد الدارابي، دار الاسوة، طهران، د. ط، ١٤٢٩هـ: ص٥٩٣.

وقال الإمام السجاد ع: (هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [١]. والقيوم: «القائم بنفسه المقوم لغيره»[٢].

ما ذكرناه هو المعنى الاول من معنى القيام بالنفس، وهو عدم افتقاره تعالى إلى محل أمَّا المعنى الثاني، وهو عدم افتقاره تعالى الى مخصص فيمكن أن نقول أن الإمام السجاد ع عندما تعرض لصفة الغنى؛ فمفهومها يدل على نفي الاحتياج مطلقا وهذا المعنى واضح وقد تطرق اليه القران والسنة وقد ادلى الامام السجاد ع في ادعيته بهذه الصفة كثيرا منها:

قوله ع: (يا غَنِيَّ الأغْنِيآءِ)[٣]. وقوله ع: (تَمَدَّحْتَ بِالغَنآءِ عَنْ خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَهْل الغِنى عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إلى الفَقْرِ وَهُمْ أَهْل الفَقْرِ إليك؛ فَمَنْ حاوَلَ سَدَّ خَلَّتِه مِنْ عِنْدِكَ، وَرامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حاجَتَهُ في مَظآنِّها، وَأتى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِها)[٤]. مدحت نفسك بأنك غني، كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[٥]. «إذ لا يحتاج إلى شيء وأهل لأن تكون غنياً إذ الإله لا يحتاج، ولو كان محتاجاً لم يكن إله»[٦].

ومن أقوال الإمام السجاد ع في مخالفته للحوادث ونفي الامثال: (فَتَعالَيْتَ عَنِ الأَشْباهِ وَالأَضْدادِ وَتَكَبَّرْتَ، عَنْ الأَمْثالِ وَالأَنْدادِ، فَسُبْحَانَكَ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ) [٧].

وصدح الإمام السجاد ع في أدعيته منزها الله جل جلاله عن الحوادث:

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

٢- المقصد الاسنى، الغزالي: ١/ ١٣٢؛ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٣/ ٤٤٧.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٠.

٤- المصدر نفسه، دعاء: ١٣.

٥- سورة فاطر، الآية: ١٥.

٦- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٩١.

٧- الصحيفة السجادية، دعاء:٢٨.

(سُبْحانَكَ لا تُحَسُّ وَلا تُجَسُّ وَلا تُمَسُّ وَلا تُكادُ وَلا تُماطُ وَلا تُنازَعُ وَلا تُجارى وَلا تُمارى وَلا تُخادعُ وَلا تُماكَرُ) [١].

«فلا تدرك بالحواس الخمسة الباصرة والذائقة والشامة واللامسة والسامعة ولا يعلم أخبارك، من التجسس والإدرك باللامسة؛ فإنه تعالى ليس بجسم ولا عرض حتى يدرك بالحواس، ولا يمكر بك، ولا يزال سلطانك، ولا تدفع عن ألوهيتك، وإنه ليس في الوجود من هو قابل لمنازعته تعالى ولا أحد يجاريك، ويماثلك، ولا يجادلك أحد، ولا يقدر على خدعة الله تعالى، ولا يقدر على أن يمكر بالله بأن يعمل عملاً خفيًّا ضده»[٢].

١- الصحيفة السجادية دعاء:٤٧.

٢- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٥٠.

المطلب الثالث
الصفات الجمالية.

والمقصود من الصفات الجمالية هي «الصفات التي تدلّ على كمالِ الله في وجوده وذلك كالعلم والقدرة، والحياة، والإرادة والاِختيار وما شابه ذلك. وتُسمّى بالصفات الثبوتية أيضاً»[١]. «ويسمونها الصفات الثبوتية والمعنوية»[٢].

وقد عدها بعض المتكلمين بانها سبع: القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، واضاف الماتريدية إلى هذه الصفات السبع صفة التكوين[٣].

ولا شك أن من يعي حقيقة الصفة ومعناها، فسوف يتمثلها في حياته، وهذا ما نشير إليه هنا، وعلى النحو الآتي:

أوّلا: صفة القدرة، وهي اصطلاحاً: « الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة»[٤]. «وكونه تعالى قادرًا بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل»[٥].»وضدها: العجز».

وقد تكلم الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في موضوع القدرة وضرورة اثباتها للخالق وتطرق لبيان سعتها بمواضع متعددة من الصحيفة نقتصر على أبرزها. إذ يقول: (بِقُدْرَتِهِ الَّتي لا تَعْجِزُ عَنْ شَيءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُها شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ)[٦].

«فإن قدرته تعالى عامة لجميع المقدورات (ولا يفوتها شيء) أي لا يتمكن شيء

١- العقيدة الاِسلامية، سبحاني: ١/ ٣٠.

٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١/ ١١٧.

٣- يُنظر: اصول الدين الاِسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان الدوري: ١/ ١٤١.

٤- التعريفات، الجرجاني: ١/ ص٥٥.

٥- المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الأيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ٣/ ٧٩.

٦- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

مـن الانفلات عن قدرته تعالى (وإن لطف) ورقّ»[١].

وقال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصف القدرة:(لك يا إلهي...مَلَكَةُ القُدْرةِ الصَّمَد)[٢].

«فـكل معانـي الصمـد يمكن ان نصـف بها القـدرة... إلا أن الأنسـب حمله على معنـى المصمـت الذي لا جوف لـه، ويكون من باب التمثيل في اسـتحكام القدرة وشـدتها، بحيـث لا يتطرّق إليها خلل أو ضعـف، لأن الشيء إذا كان مصمتا كان منعوتـا بشـدة القوة والاسـتحكام والاضطلاع بما يضعف عنـه غيره لصلابته وعدم رخاوته»[٣].

ويـمضي الإمـام في تركيز هذا المعنى؛ حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لا يَتَـكأَّدُكَ في قُدْرَتِكَ)[٤].

«أي: لا يثقلك فإن قدرتك عظيمة لا يثقل عليها شيء وأنت على كل شيء قدير تقدر على إتيانه وقضائه»[٥].

وأوضـح الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن قدرة الله تعـالى لا تحدها حدود الممكنات وإن صعبت؛ فيقـول: (ذَلَّـتْ لِقُدْرَتِـكَ الصِّعـابُ؛ وَتَسَـبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْـبابُ؛ وَجَـرى بِقُدْرَتِكَ القَضآءُ)[٦].

يقـول مغنية: «من وحي هذا الدعاء يمكن اسـتلهام هـذا المعنى بالتوجيه هنا الى فـارق مفصـلي بين المؤمن، والملحد، وهو أن الملحد إذا تناهت به الشـدة، وأغلقت دونه الأبواب ييأس، ويستسـلم للأمر الواقع؛ لأنه يحمل نفسـاً واهية خالية من الإيمـان بقـدرة إلهية تخـرق نظام الطبيعة، أمـا المؤمن فلا ييـأس، ولا يعترف بحتميـة أي شيء من أشـياء الطبيعة على الإطلاق؛ لأنـه يؤمن بقدرة قادر يقول

١- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣١.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.
٣- رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٣٠١.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٦، ٤٩.
٥- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٤١٦.
٦- الصحيفة السجادية، دعاء: ٧.

للـشيء كن فيكون... ويسـأله النجاة، والخلاص» [١].

ثانيـا: صفة الإرادة، وهي «صفة توجـب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه، وفي الحقيقة: هي ما لا يتعلق دائماً إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمراً لحصوله ووجوده»[٢].

وقد ألمح الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ارادته تعالى حتمية الوقوع ولا راد لها؛ فيقول: (أَنْتَ الَّذي أَرَدْتَ فَكانَ حَتْماً ما أَرَدْتَ) [٣]

كمـا قـرر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ارادتـه تعـالى ارادة عزميـة بقوله:(سُـبْحانَكَ قَوْلُـكَ حُكْمٌ، وَقَضـاؤُكَ حَتْـمٌ وَإِرادَتُـكَ عَزْمٌ، سُـبْحانَكَ لا رادَّ لِمَشـيَّتِكَ) [٤].

و»الإرادة العزميـة هـي إتيانه تعالى بشيء من جملة مخلوقاته بمصلحة وحكمة، كخلق جوارح الانسان وسيلة لصالح اعماله مع استعمال العبد هذه الجوارح في الحلال او الحرام بفعل نفسه وقد امره الله تعالى بالحلال ونهاه عن الحرام»[٥].

وهذا عين ما قرره يعسوب الدين أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ قال: (إنّ لله إرادتين ومشـيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهي وهو يشـاء ويأمر وهو لا يشـاء، أو ما رأيت انّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشـجرة وشـاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشـيئتهما مشـيئة الله تعالى. وأمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل ولم يشأ أن يذبحه، ولو شـاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى)[٦].

ولا بد هنا من الإشـارة إلى أن الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانت له فلسـفة في النظر إلى

١- يُنظر: في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٦٩.

٢- التعريفـات، الجرجانـي: ص٤؛ حاشـية البيجـوري على جوهـرة التوحيـد، الباجـوري: ص١٢٢.

٣- الصحيفة السجادية دعاء: ٤٧.

٤- المصدر نفسه.

٥- رياض السالكين، علي خان: ٢/ ٣١٢.

٦- اصول الكافي، الكليني، كتاب التوحيد، باب المشيئة والارادة، حديث رقم (٤): ١/ ١٥١.

إرادتــه تعالى، وأنَّهــا لم تكن لتجبر البشر على فعل ما بصــورة تنعدم فيها الإرادة الانسانية، وهذا معنى أخلاقي مهم يغفل عنه كثير من الناس، فيصورون أفعالهم اللاأخلاقيــة نوعًــا من الجبر الإلهي؛ فجاء الإمام الســجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ليوضح أنها أمر بين أمريــن، وهــذا ملمح ذكي لا يخفى على ســليل بيت النبوة؛ فلــم يكن الله تعالى ليجبر عبدًا على فعل، وإلا لانتفت فائدة التكليف، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ إنَّكَ كَلَّفْتَني مِــنْ نَفْسي ما أنْتَ أمْلَكُ بِهِ مِنِّــي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أغْلَبُ مِنْ قُدْرَتي)[١].

أي أمرتني وزجرتني، وأنا ســميع مطيع، ولكن الطاعة الكاملة تستدعي القدرة على امتثال ما أمرتني، والفعل خالصاً لوجهك الكريم، وقدرتي، ونفسي، وقصدي، كل ذلك بيدك؛ لأنك السبب الأول لكل وجود وموجود، فإن الله تعالى منح العبد القــدرة، ومنحــه الحرية في اختيار الطاعة أو المعصيــة، إذ لا طاعة ولا ثواب ولا حلال ولا حرام ولا خطأ ولا صواب، بلا حرية واختيار[٢].

وقــد أبرز الإمــام عَلَيْهِ السَّلَامُ الارادة والبعث والفعل حيث قال:(اخْتَرَعَهُمْ على مَشِــيَّتِهِ اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَــلَكَ بِهِمْ طَريقَ إرادَتِهِ وبَعَثَهُمْ في سَــبيلِ محَبّتِهِ) [٣].

إن الإسلام يفترق عن غيره من الأديان بأنه يجرد البشرية كلها من حق التشريع والتحليــل والتحريــم، ويحــصر الشريعة بخالــق الطبيعة، وليــس للنبي منها إلا التبليغ، فالإســلام يترك الامتثال والتنفيذ لحرية الانســان بعــد أن يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ولا يلجئه قهرًا على فعل واجب ولا ترك محرم حيث لا إنسانية بلا حرية، ومعنى هذا أنَّ الإنســان مســير تشريعًا، مخيَّرٌ تنفيذًا، ومســؤولٌ عن سلوكه وتصرفاته»[٤].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.

٢- يُنظر: في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص ١٥١.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ١،

٤- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص ٢٤.

ثالثـا: صفة العلـم، وهي «زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه»[١].او هو «حضـور المعلوم لدى العالم»[٢]. وضدها: «الجهل وما في معناه، كالظن والشـك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو»[٣].

وقد حرص الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ على إثبات صفة العلم في جملة من الأدعية منها قوله:(الحَمْدُ لله...عَدَدَ ما أحاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَميعِ الأشياء)[٤].

يقول السـيد نعمة الله الجزائري: «إن حمد الله تعالى بالعدد الحاصل من ضرب عـدد معلوماتـه الغير متناهيـة في عدد نعمه الغـير متناهية؛ فانظـر إلى صاحب الضرب كيف يكون»[٥].

وهـذا شرح دقيق وتوضيح مفيد لمضمون كلام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فلا يمكن أن نجدد أي عدد حسـابي يصور سـعة علمـه تعالى؛ فإثبات العلم الإلهـي أمر مفروغ منه، والكلام في مدى سعة علمه تعالى، ولذلك يقرر الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه غير متناه؛ لذلك تـراه يقول: (وَيا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الأخْبارِ)[٦].

إذ ما من شيء يخفى عليه سـبحانه سـواءً أكان ظاهرًا، أم باطنًا، ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى خَفايَا الأَعْمالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلا تَنْطَـوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الأُمُورِ، وَلا تَعْزُبُ عَنْكَ غَيِّباتُ السَّرائِرِ)[٧].

وهذا ملحظ مهم وهي وجود الرقابة الدائمة على أفعال العباد، وأن الله تعالى لم

١- التعريفات، الجرجاني: ص٤٩.
٢- الإلهيات، جعفر سبحاني: ١/ ١١٠.
٣- اصـول الديـن الاسلامي، د. رشـدي محمد عليـان و د. قحطان عبد الرحمـان الدوري: ١/ ١٥٩.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.
٥- نور الأنوار، السيد نعمة الله الجزائري: ص ٥٤.
٦- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥.
٧- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٢.

تكـن لتغيب عنه غائبة مهما صغرت وتضاءلـت أو حاولت الاختفاء؛ فالله تعالى عليم وخبير لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحـرك ذرة، ولا تسـكن ولا تضطرب نفـس، ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرة، وهو بمعنى العليم، لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سـمي خبرة وسمي صاحبهـا خبيرا، فهو اخص من مطلق العليم»[١].

ويقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ:)اللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ)[٢].

أي «أطلـب منـك أن تجعل الخير في أمري بسـبب علمك به»[٣].؛ «فإن العالم يعلم أين الخير؛ فيتمكن من جعله في الأمر والسـير عليه فيما أراد»[٤]. فتوجه الانسان للعلم الإلهي الكامل غير المحدود له بالغ الأثر في بناء شـخصيته.

وقـال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَأَنْـتَ لا تَخْفَى عَلَيْكَ خافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّـماءِ إِلا أَتَيْتَ بِها، وَكَفى بِكَ جازِيًا، وَكَفى بِكَ حَسـيبًا)[٥].

«إنما جيء بالخافية مؤنثاً، لأنَّها صفة لـ[عين] محذوفة، أو لـ[صفة] محذوفة، أي: عـين مخفيـة، أو صفـة مخفيـة إلا جئت بتلـك الخافية للمحاسـبة، أو المراد إتيانها في علمك واطلاعك وكفى بك يا رب تجزي على كل عمل وكفى بك محاسباً لأعمال عبادك، فلا تحتاج في الجزاء والحسـاب إلى معاونة أحد أو شيء تسـتعين به من الآلات والأدوات»[٦].

وهكـذا نجد أن البعد الكلامـي ينضوي تحته بعد أخلاقي؛ فمن وعى حقيقة كون

١- رياض السالكين، علي خان: ٦/ ٢٩٠.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٣.

٣- نـور الأنـوار، السـيد نعمـة اللـه الجزائـري: ص٢٦٧؛ شرح الصحيفـة السـجادية، محمد الـشيرازي: ص٢٤٣.

٤- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٤٣،

٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.

٦- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٤١٩،

الله تعالى عالما خبيرا سيعي حينها أن أفعاله وسلوكياته الباطنة والظاهرة يجب ان تكون على وفق مراد الله تعالى، وهذا يتجلى في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْء وَهُوَ بِكُلّ شَيءٍ مُحيطٌ)[١].

يقول علي خان: فـ «عدم عزوب شيء عن علمه تعالى إشارة إلى علمه بكليات الأشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء...» [٢]؛ فالله تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر». «والإحاطة بالشيء علمًا هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيَّته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى[٣]. وإدراك الشيء بكماله ظاهرًا وباطنًا»[٤].

ومثل العلم صفتا السمع والبصر؛ فهي تعطي دلالة على العلم التَّامِّ الأكمل لله سبحانه وتعالى، وهو أمرٌ يدعو الإنسان إلى مراقبة أعماله؛ لأن هناك سميعًا بصيرًا لا تخفى عنه خافية؛ فالله تعالى على حدِّ تعبير الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَأَنْتَ اللهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ السَّميعُ البَصيرُ القَديمُ الخَبيرُ)[٥].

«فإنَّه سبحانه يسمع كلَّ صوتٍ، ويرى كل شيء؛ لكن لا بآلة السمع والبصر، فهو سبحانه منزه عن الجسم وعوارضه»[٦]. «سميع بصير لا بجارحة أو أداة؛ بل يحيط بما يُسمع ويُرى»[٧].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.
٢- رياض السالكين، علي خان: ٦/ ٢٨١.
٣- مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهانى: ص١٣٧، كتاب القاف.
٤- التعريفات، الجرجاني: ص٢.
٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.
٦- شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٥.
٧- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٨٩.

المبحث الثاني
معرفة الرسل والرسالات

المطلب الأول: بعثة الرسل والأنبياء وفوائدها الأخلاقية.

أمَرَ القرآن الكريم بالإيمان بالأنبياء والرسل؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] ولا شك أنهم مصادر الأخلاق الحسنة والإيمان بهم وسيلة للتحقق بها، ينقل الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «... وسما في علوه واستتر عن خلقه ليكون له الحجةَ البالغة، وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين؛ ليهلك من هلَكَ عن بينة ويحيي من حيي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه وعرفوه بربوبيته بعدما أنكروا، ويوحدوه بالإلهية بعد ما عندوا «[2]. فكلٌّ من أخبر به وصدَّقه نبينا محمد من الأنبياء والرسل المتقدمين، والصحُف المُنَزَلة والشرائع المذكورة؛ فإنما علينا التصديق بخبره، ولولا ذلك لما كان إليه طريق العلم؛ فهم رسل الله سبحانه وتعالى وعباده المكرمون، أرسلهم لدعوة الخلق اليه، وان محمداً خاتمهم[3].

وإن من تتبع سيرة الأنبياء ودرسها بروية وإمعان يجزم بأنهم أول من دعا الى دينٍ واحد، وأُمةٍ واحدة، والى الصلاح والإصلاح بشتى أنواعه، وإن دعوتهم

١- سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

٢- علل الشرائع , علة اثبات الانبياء والرسل عليهم السلام: ١/ ١٢٠.

٣- يُنظَر: الرسائل العشرة، شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – ايران، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م: ص ٩٩؛ عقائد الإسلام وطرق التقرب الى الله تعالى، للعلامة محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي (ت: ١١١١هـ) / شرح وتحقيق: الشيخ سالم الكاظمي البغدادي، دار الهداية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م: ص ٤٦؛ عقائد الإمامية الإثني عشرية: ٢/ ١٥٢؛ براهين اصول المعارف الالهية: ص١٥٥.

هـي التي غـيرت وجه التاريخ، ولولاهم لما تقدمت الإنسـانية خطـوةً واحدةً الى الأمام، ولا كان لها تاريخ وحضارة، وأية دعوة أسمى وأكمل من دعوة الإسلام التي تخاطب العقل والفطرة وترتكز على الإقناع والتحرر من الجهل والخرافات وتقليد الآباء والأجداد.[١]

قال المحقق الطوسي «البعثة واجبة؛ لاشتمالها على اللطف في التكاليف العقلية»[٢]، وقال سـبحانه وتعـالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٣]، وروي عـن الصـادق عليـه السـلام حين سـأله رجلٌ فقـال: لأي شيء بعث الله الأنبياء والرسـل الى الناس ؟ فأجابه عليه السـلام بهـذه الآية الكريمة، ثم قـال له «ليكون حجة الله عليهم ألا تسـمع الله عـزَّ وجـل يقول (حكايـةً عن خزنة جهنـم واحتجاجهم على أهل النـار بالأنبياء والرسل :﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝﴾ [٤]» .[٥] إلى غـيره ذلـك من الآيات الكريمة الدالة على حسـن بعثة الأنبياء.

وقـال الإمـام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إنَّا لَمَّا أثبتنـا أن لنا خالقًا صانعًا متعاليًا عنَّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيمًا لم يجز أن يشـاهده خلقه، ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ولا يحاجهم ولا يحاجوه؛ فثبت أن له سـفراء في خلقه يـعبرون عنه الى خلقه وعباده، يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركـه فناؤهـم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه؛ فثبت عند

١- فلسفة التوحيد والنبوة: ص ٧٥.
٢- تجريد العقائد: ص ١٢٧.
٣- سورة النساء، الآية: ١٦٥.
٤- سورة الملك، الآيتين: ٨ ، ٩.
٥- علل الشرائع: ٥/ ١٢١ .

ذلـك أن لـه معبِّرين، وهم الأنبيـاء وصفوته من خلقه، حكماء مـؤدبين بالحكمة، مبعـوثين بهـا، غير مشـاركين للنـاس في أحوالهـم على مشـاركتهم لهـم في الخلق والتركيب)[1].

ويذكر متكلمو الإمامية جملةً من هذه الفوائد، منها:

١. يعتضـد العقـل بالنقل فيما يـدل العقل عليه من الأحـكام: كوحدة الصانع وغيرهـا، وأن يُسـتفاد الحكم مـن البعثة فيما لا يدل العقـل عليه كالشرائع وغيرها من مسـائل الأُصول.

٢. إزالـة الخـوف: أي إزالة الخوف الحاصل للمكلف عنـد تصرفاته؛ إذ قد علم بالدليل العقلي إنه مملوكٌ لغيرهِ، وإن التصرف في ملك الغير بغير ملكه قبيح؛ فلولا البعثة لم يعرف حسن التصرفات؛ فيحصل الخوف بالتصرف وبعدمه.

٣. اسـتفادة الحسـن والقبـح: فإنَّ بعض الأفعال حسـنة وبعضهـا قبيحة، ثم الحسـنة منهـا ما يسـتقل العقل بمعرفة حسـنه، ومنها ما لا يسـتقل وكذا القبيحة، ومع البعثة يحصل معرفة الحسـن والقبح الذين لا يسـتقل العقل بمعرفتهما.

٤. معرفـة النافـع والضـار: إن بعض الأشـياء نافعة لنا مثل كثـير من الأغذية والأدويـة، وبعضها ضارٌ لنا مثل كثير من السـموم والحشـائش، والعقل لا يـدرك ذلك كلـه، وفي البعثة تحصل هـذه الفائدة.

٥. حفـظ النـوع الإنسـاني: إن النوع الإنسـاني خُلِق لا كغيره مـن الحيوانات؛ فإنّـه مدنـي بالطبع يحتاجُ الى أُمورٍ كثيرة في معاشـه لا يتـم نظامه الا بها، وهو عاجز عن فعل الأكثر منها إلا بمشـاركة ومعاونة، والتغلب موجود في

١- علل الشرائع - علة اثبات الانبياء والرسـل عليهم السلام: ٥/ ١٢١؛ والتوحيد، باب الرد على الثنوية والزنادقة، ح١: ٢٤٩؛ خلاصة علم الكلام: ص ٢٦٠.

الطبائـع البشرية بحيث يحصل التنافر المضـاد لحكمة الإجتماع؛ فلا بد من جامعٍ يقهرهم على الاجتماع وهو السـنة والشرع، ولا بُدَّ لسُـنةٍ من شـارِعٍ يسُـنها ويقرر ضوابطها، ولا بد وأن يتميز ذلك الشـخص من غيره من بني نوعـه لعـدم الأولويـة، وذلك المائز لا يجـوز أن يكون ممـا يحصل من بني النوع لوقوع التنافر في التخصيص؛ فلا بُدَّ وأن يتميز من قبل الله سـبحانه وتعـالى بمعجزة ينقـاد البشر الى تصديـق مدعيها ويخوفهم مـن مخالفته، ويعدهم على متابعته بحيث يتم النظام ويسـتقر حفظ النوع الإنسـاني على كماله الممكن له.

١. **معرفـة الصنائـع الخفية:** إن أشـخاص البشر متفاوتـة في إدراك الكمالات وتحصيـل المعـارف واقتنـاء الفضائل؛ فبعضهم مسـتغنٍ عـن معاون لقوة نفسـه وكمال إدراكه وشـدة اسـتعداده للاتصال بالأمور العالية وبعضهم عاجز عن ذلك بالكلية، وبعضهم متوسـط الحال وتتفاوت مراتب الكمال في هذه المرتبة بحسب قربها من أحد الطرفين وبعدها عن الآخر، وفائدة النبي تكميل الناقص من أشـخاص النوع بحسب استعداداتهم المختلفة في الزيادة والنقصـان كمـا إن النوع الإنسـاني محتاجٌ الى الآت وأشـياء نافعة في بقائه كالثيـاب والمسـاكن وغيرها، وذلك ممـا يحتاج في تحصيلـه إلى معرفة عمله والقـوة البشريـة عاجزة عنه وفائدة النبي عليه السـلام في ذلـك تعليم هذه الصنائع النافعة الخفية.

٢. **الأخـلاق:** إن مراتـب الأخلاق وتفاوتها معلومٌ يفتقر فيـه إلى مُكمِّلٍ لتعليم الأخلاق والسياسـات بحيث تنتظم أُمور الإنسان بحسب بلده ومنزله.

٣. **الإخبـار بالثـواب والعقـاب:** إن الأنبيـاء يعرفـون الثـواب والعقاب على الطاعة وتركها، فيحصل للمكلف اللطف؛ إذ إن الإخبار بالثواب على الواجبات

والعقـاب على المنهيات مقـرِّب الى طاعات ومبعد عن المعاصي[١].

١. **تعيين واسـطة بين الحق والخلق:** قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]، وذلـك يتوقـف عـلى تعيـين واسـطة بـين الحـق والخلق يعلمهم هذه العبادة إذ لا ربط ولا نسـبة بين النور والظلمة وكمال الكمال ومنتهى التنقص، فتسـتحيل المشـاهدة والمكالمة إلا بالواسـطة لقوله سـبحانه وتعـالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٣].

٢. **العنايـة الالهيـة:** لا بـد في العنايـة الإلهية لنظام العالم مـن المطر، ورحمة الله تعالى لم تقتصر عن إرسـال الماء مدرارًا لحاجة الخلق، فإنَّ نظام العالم لا يسـتغني عمَّـن يعرفهم موجب صـلاح الدنيا والآخرة، نعـم من لم يهمل إنبات الشـعر عـلى الحاجبين المُزَينة وكذا تقعير الأخمـص في القدمين، كيف أهمـل وجـود رحمةً للعالمين مع أن مـا في ذلك من النفع العاجل والسـلامة في العقبـى والخـير الآجل، ومن لم يترك الجـوارح والحواس حتى جعل لها رئيسًا يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شكَّت فيه، وهو الروح، كيف يترك الخلائق كلَّهم في حيرتهم وشكهم وضلالهم، ولم يقم لهم هاديًا يردّون إليه في ذلك[٤].

كما يمكن إجمال فوائد بعثة الأنبياء، في منفعتين أساسيتين، هما:

١- إنه يهدي الورى إلى معارف الحكم والعلوم الإلهية المكملة للنفوس البشرية، وهي بأجمعها قسمان:

١- ينظر: تجريد العقائد: ١٢٩؛ نور الافهام في علم الكلام: ١/ ٣٠٤ - ٣٠٥ .
٢- سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
٣- سورة الشورى، الآية: ٥١.
٤- عقائد الإمامية الإثني عشرية: ٢ /١٥٤.

أحدهمـا: ما يدرك العقل حسـنه ابتـداءً، ويحكم بذلك اسـتقلالاً مع الغضِّ عن حكـم الشرع به، وذلك كحكمه بوجود الصانع تعـالى ووحدته وامتناع تعدده.

ثانيهمـا: مـالا يدركـه العقـل كذلـك ولا يحكم فيه بـشيء إلا بعـد حكم الشرع بحسـنه أو قبحـه فيتبعه حينئذٍ مؤكِّـدًا حكمه، وذلك باعتبار حكمه الاسـتقلالي بوجوب شـكر المنعم، وإنه في المقام هو الشـارع المقدس المحسـن.

وحينئـذٍ؛ فالنبي المبعوث عليه السـلام في **القسـم الأول** مـن تلك المعارف يكون مؤيدًا ومعاضدًا فيما به العقل حكم اسـتقلالاً.

وفي **القسـم الثانـي** يكون مبتكـرًا في بيان معارفه التي بها يرشـدهم إلى جميع مَـا حسـن مـن أعمالهم وآدابهـم فعلاً وتـركًا، ومـا ينظم أمورهم في معاشـهم ومشاجراتهم وسائر ما يرجع إلى سياسة المدن من الأمن والسعة وحفظ المجامع والمؤتلفات.

٢- تعليمهم الآداب الجميلة ومحامد الصفات الحسـنة المستجلبة للمحبة بينهم؛ فيكون حينئذٍ فيهم مهذب الأخلاق الظاهرة ومصفي السريرة الباطنة، وذلك بلين القول في منطقه وحسـن السيرة في معاشرته وعمله[١].

المطلب الثاني: صفات الرسل والانبياء.

الصفات الخاصة بالرسـل والأنبياء ممَّا لم يختلف فيها المتكلمون وإنما تسابقوا في اظهـار ما هو الافضل والأحسـن والنـكات الدقيقة في اعطـاء أجلى الأوصاف وأسـناها وما هو الاليق منها بحضرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وسـلم)، وقد تنـاول الامام السـجاد هذه الصفـات في الصحيفة السـجادية؛ إذ كانت أقواله في المسألة نبراسا يستضيء به الحادي في ظلام الليل البهيم؛ وهو ما اوجزه في نقاط لقلة الاختلاف وتتميما للفائدة:

١- ينظر: تجريد العقائد: ص ١٢٩.

فهـو أولا: قـرر أن النبي (صلى الله عليه وسـلم) صدع بالحـق وبلغ الأمانة؛ إذ قـال: (اللّهُـمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُـولِكَ كَما بَلَّغَ رِسـالَتَكَ، وَصَـدَعَ بِأَمْرِكَ وَنَصَحَ لِعِبادِكَ)[١].

١. أنـه كان نصوحا للأمة؛ فقـال: «اللهم وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُـولُكَ وَخِيَرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسـالَتَك فَأدّاها؛ وَأَمَرْتَهُ بِالنُّصحِ لأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَها» [٢].

والنصيحـة مـن الأنبيـاء متضمنة لكافة فـروع الدين ولكافة أصولـه من ناحية التعـرف عـلى معنـى العبوديـة الكاملة، بـل هي تسـتغرق كل شيء مـن ناحية معرفة الحق وتفرقته عن الباطل حتى يعلمه الإنسـان. ولا ينفك العلم والحكمة عـن النصيحـة؛ فلا يمكـن أن ينصح لله تعالى إلا بالعلم بمسـائل الـذات الالهية والصفـات، ولا يمكـن أن ينصح بكتـاب الله تعالى إلا بالعلـم بالكتاب وهكذا في كل شيء؛ فالنصيحـة فـرع العلم [٣].

٢. إن القـرآن الكريـم الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله نور يهدي وعلم لا يضل من اتبعه.

«ثم إن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضل الراسخين في العلم كما جاء في الخبر»[٤]. الذين ذكرتهم الآية المباركة قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٥].

«والراسـخون في العلـم هـم الذين علمـوا بالدلائـل القطعية أن اللـه تعالى عالم

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

٢- المصدر نفسه، دعاء: ٦.

٣- يُنظر: البرهان المؤيد، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسـيني (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: عبد الغنـي نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ص١٩.

٤- يُنظر: الكافي، الكليني، باب ان الراسـخين في العلم هم الائمة عليهم السلام، حديث رقم (٢): ١/ ٢١٢.

٥- سورة آل عمران، الآية: ٧.

بالمعلومات التي لا نهاية لها، وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى، وعلموا أنه لا يتكلم بالباطل والعبث، فإذا سمعوا آية ودلّت الدلائل القطعية على أنه لا يجوز أن يكون ظاهرها مراد الله تعالى، بل مراده منه غير ذلك الظاهر، ثم فوضوا تعيين ذلك المراد إلى علمه، وقطعوا بأن ذلك المعنى أي شيء كان فهو الحق والصواب»[١].

اتصاف «الانبياء بالأمانة في جميع شؤونهم الشخصية والاجتماعية والالهية والجماعية والمادية والمعنوية؛ فكانوا يحفظون الأسرار والآيات الالهية، وينقلونها كاملة للناس، وقد اشتهر رسول الإسلام صلى الله عليه وآله بسبب التزامه بالأمانة بلقب (محمد الامين)» [٢].

وذكر الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ صفة الأمانة صريحا للنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله؛ إذ قال: (اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ أمينِكَ عَلى وَحْيِكَ) [٣].

والمراد بكونه أمينا على وحيه تعالى: قوته على ما كلف به من ضبط الوحي في ألواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الإلهية بها عليه، وكمال استعداد نفسه الطاهرة لأسرار الله وعلومه، وحكمه، وحفظه لها، عن ضياعها، وصيانتها عن تدنسها بأذهان غير أهلها، وعدم تطرق تبديل أو زيادة أو نقصان إليها... ولهذا السر كانت العرب تسميه بالأمين قبل مبعثه لما شاهدوه من أمانته، وشهر بهذا الاسم قبل نبوته وبعدها[٤].

اتصاف الأنبياء والرسل بمحاسن الأخلاق.

١- مفاتيح الغيب، الرازي: ٤/ ١١٥.

٢- الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، الأخراج الفني: نصير شكر، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م: ٢/ ١٩٩.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

٤- يُنظر: رياض السالكين، علي خان: ١/ ٤٥٥.

فمن مزايا الأنبياء حسن خلقهم فقد اتسمت طبيعة الانبياء بالرفق واللين والحنان واللطف والعطف ورحاب الصدر، فتسامت دعوتهم الى الإرشاد والهداية عن القسوة والعنف والغلظة والخشونة والفظاظة، فبادروا في دعوتهم الى ان يتصافح الروح والجسد في ظل الارادة والاختيار وعدم الاكراه والجبر. يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في تأكيد تلك السمة عند النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ قال:(اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ..َ صَفِيّكَ مِنْ عِبادِكَ إِمامِ الرَّحْمَةِ)[١].

«والرحمة تعم، وتشمل الاحسان، والعناية، والاهتمام، والتيسير، والتسهيل، وتخفيف العقوبة عن المذنب، أو تركها من الأساس، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله رحمة مهداة للعالمين»[٢].

«الرحمة سرٌّ ذاته في الفكر الرحيم الذي لا ينطلق الا بالأفكار الأصلية التي تفيض بالرحمة على الناس في ثقافتهم الفكرية، وفي القلب الرحيم الذي ينبض بالمحبة، والرأفة والحنان والعاطفة، وفي الكلمات الرحيمة التي تنزل على السمع والقلب رحمة في مضمونها الذي يلامس الروح بدفء معناه، وفي الاسلوب الرحيم الذي يرحم ظروف الانسان النفسية والاجتماعية»[٣].

كفاءة الرسل والانبياء في القيادة.

القِيادةُ لغة: «مصدر القائد. القَودُ نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها»[٤].

اصطلاحاً: «هي القدرة على ادارة المكونات المحيطة بشرية او مادية وفقا

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.
٢- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٤٥.
٣- افاق الروح، فضل الله: ١/ ٦٢.
٤- العين، للفراهيدي: ١/ ٤٠٨، مادة قود؛ لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٣٧٠، مادة قود.

للخطـط المعـدة ومراقبة سـير الأداء وانحرافاتـه، مما يجعلنا نصـل الى تحقيق النجاح وفق نسب معينة، ومعالجة الأخطاء، وتقويم الاعوجاج ان وجد، والقائد هنا هو شـخصية تمتلك مـن المواهب والقدرات ما يؤهلـه لهذه المهمة»[١].

وتطـرق الإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى القيـادة بوصفهـا أبـرز صفـات الرسـل والأنبياء(عليـه الـسلام)؛ إذ قال: (اللّهُمَّ فَصَـلِّ عَلى مُحَمَّدٍ... قائد الـخَيْرِ؛ وَمِفْتاحِ البرَكَةِ)[٢].

فهو قائد الخير، والخير هو هذه القيمة الإنسـانية التي ينبض بها القلب لتتحول الى حركـة الـذات في المعانـي التي تنفتـح على الإنسـان بما ينفعـه في وجوده... ليعيش الإنسـان معـه في كل ما يحقق للفرد والمجموع منه كل شروط سـعادته في الحياة. ولما كان هذا النبي يمثل النموذج الاكمل في معاني وخصاله في نفسـه وحركتـه، كان هـو القائد له في الواقع الانسـاني العام في القـدرة والدعوة وهو مفتـاح البركة، الذي يفتح...كل ما ينتفعـون به في امورهم[٣].

وأوضـح الإمام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ دور الأنبياء القيادي بقولـه: (اللّهُمَّ... في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ أَرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً وَأَقَمْتَ لأَهْلِهِ دَليلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أئمّةِ الهُدى، وَقادَةِ أَهْلِ التُّقى عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ؛ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ)[٤].

«هـؤلاء أئمـة الهدى الذيـن تقدموا الاجيال في خـط الهدى، وقـادة التقى الذين قـادوا الناس الى تقـوى الله في معنى الطاعـة والانقياد»[٥].

١- القيادة في ضوء القران الكريم، أ. م. د. عبد الوهاب أسـماعيل الاعظمي بحث مقدم الى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، قسم الشريعة: ص ٥.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

٣- يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ٦٢.

٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤.

٥- افاق الروح، فضل الله: ١/ ٩٨.

لا يقال هذه الصفات ليست واردة الا في بعضهم فلا تدل على ثبوتها لجميعهم، لأنا نقول: ما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لغيرهم انما الفارق بالمرتبة[١].

المعجزة

تتأتى أهمية الحديث عن المعجزة في هذا الموضوع الذي نحن بصدد التأسيس له هنا هو أن المعجزة تمثل برهان صدق الرسل والرسالات، ومن ثم هي مصدر الأخلاق التي كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله منبعًا ومؤسسا لها، ولما كان الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ امتداد لخط الرسالة من حيث التزام الطريق كان تحقيق مفهوم المعجزة أمرًا ضروريًّا، حيث يتوقف إثبات نبوة الأنبياء على إظهارهم لمعجزةٍ خارقة للعادة مع عدم المعارضة، وقد اتفق الإمامية في إثباتهم المعجزة للأنبياء مع اتفاقهم في شروط تحقق هذه المعجزة لمدعي النبوة، وذلك يظهر جلياً في تعريف علمائهم للمعجزة وما دلت عليه.

فالنبي لا بُدَّ له من إظهار معجزة تدلُّ على صدقه، فإذا أتى بها وبان لقومه وجه الإعجاز فيها لزمهم تصديقه وطاعته عند ادعائه النبوة، ولم يكن لهم مطالبته بمعجزة أُخرى، فإن طالبوه بأُخرى فإن شاء الله تعالى أظهر الأُخرى توكيداً للحجةِ عليهم، وإن شاء عاقبهم على ترك الإيمان بمن قد دلَّت المعجزة على صدقه، والمعجزة الواحدة كافيةٌ في الدلالةِ على صدقه، ومن لم يؤمن به بعدها استحق العقاب.

يقول في ذلك السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى: « اعلم إن لفظة «معجز» في التعارف ما دَلَّ على صدق من ظهر عليه واختص به، وإنما يدل على ذلك بشرائط:

١- يُنظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري: ص٢٠٢.

الأول أن يكون من فعله سبحانه وتعالى أو جاريًا مجرى فعله.

الثاني أن ينتقض به العادة المختصة بمن ظهر المُعجَز فيه.

و**الثالث** أن يختص بالمدعي على طريقة التصديق لدعواه «[١].

والطريق الى العلم بأنه من فعل الله سبحانه وتعالى، هو بأن يكون من جنس لا يقدر عليه العباد كالحياة والجسم، أو يقع على وجه مخصوص لا يقدر على إيقاعه على العباد، كنقل الجبال وفلق البحر والكلام الخارق للعادة بفصاحته[٢].

وأُعتُبِر كونه من فعل الله تعالى؛ لأن المدعي إذ ادعى أن الله يصدقه بما يفعله فيجب أن يكون الفعل الذي قام مقام التصديق من فعل من طلب منه التصديق، وإلا لم يكن دالاً عليه، وفعل المدعي كفعل غيره من العباد؛ لأنه لا يدل على التصديق وإنما يدل فعل من ادعى عليه التصديق[٣].

كما يُعَرَّف المُعجَز بأنه أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، أما: «أمر»؛ فلأن المعجز قد يكون إتياناً بغير المعتاد، وقد يكون منعاً من المعتاد، و«خارق للعادة» ليتميز به المدعي عن غيره، و«مقرون بالتحدي» لئلا يتخذ الكاذب معجزة من مضى حجةً لنفسه، وليتميز عن الإرهاص[٤] والكرامات، و

١- الذخيرة في علم الكلام: ٣٢٨؛ يُنظر: عصرة المنجود في علم الكلام، العلامة زين الدين بن علي بن محمد بن يونس العاملي البياضي (ت: ٨٧٧هـ)، تحقيق: حسين التنكابيني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٨هـ: ص ٢٢٣.

٢- الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٨.

٣- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٥١.

٤- الإرهاص: إحداث معجزات تدل على بعثة نبي قبل بعثته وكأنه تأسيس لقاعدة نبوته أو هو ما يظهر من الخوارق عن النبي قبل ظهوره كالنور الذي كان في جبين نبينا وقيل هو ما يصدر عن النبي قبل النبوة من امر خارق للعادة. يُنظر: التعريفات: ص ٧، باب الألف؛ تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي: ص٣٥٠؛ تجريد العقائد: ص ١٣٠؛ شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، د. ط، د. ت: ٥/ ١٣.

«مع عدم المعارضة» ليتميز عن السحر والشعبذة[١].

فما كان دالاً على البعثة وحدث قبلها يسمى» إرهاصاً « كتضليل الغمامة لنبينا صلى الله عليه وسلم، وتسليم الأحجار له عليه الصلاة والسلام قبلها، وسقوط أربع وعشرين شرفة من إيوان كسرى ليلة ولادته وخمود نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ونحو ذلك، إذ الإرهاص بمعنى الانتظار، فكأنه ينتظر البعثة، وما كان غير منتظر مقترن بالدعوى المذكورة يُسمى «كرامة « كما كانت لمريم عليها السلام وكذلك إطاعة الكلاب للنبي سليمان عليه السلام)) ورقدة أهل الكهف وغير ذلك[٢].

أما المعجزة: «فهي ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى على يد مدعي النبوة «[٣].

وقيد ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد؛ لأن الثبوت والنفي سواْءٌ في الإعجاز، فإنه لا فرق بين قلب العصا حية، وبين منع القادر عن رفع أضعاف الأشياء.

وشرط خرق العادة لأن فعل المعتاد أو نفيه لا يدل على الصدق، ومطابقة الدعوى له؛ لأن من يدعي النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم إراءة الأعمى لا يكون صادقاً[٤].

وإن معجزة كل نبي من الجنس الذي تعاطاه قومه ليكون أقرب الى معرفة

١- يُنظر: الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٩؛ تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي: ص ٣٥٠؛ قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٢٧؛ معارج الفهم في شرح النظم، العلامة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ط١، ١٤٣٠هـ: ص ٤٣٦؛ الدر الثمين: ص ٢٠.

٢- البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ٣/٢٧.

٣- يُنظر: تجريد العقائد: ص ١٣٠؛ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٧؛ الحاشية على الهيات الشرح الجديد: ص ١٧٤.

٤- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٨؛ يُنظر: قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٢٧.

صدقـه، وفي ذلك قول الإمام الرضا (عليه السـلام): (إن الله سـبحانه وتعالى لما بعث موسى (عليه السـلام) كان الأغلب على أهل عصره السـحر، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن في وسـع القوم مثله، وبما أبطل به سـحرهم وأثبت به الحجةَ عليهم، وإن الله سبحانه وتعالى بعث عيسى (عليه السلام) في وقتٍ ظهرت فيـه الزمانـات وإحتـاج الناس الى الطـب، فأتاهم من عند الله تعـالى بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وأثبت به الحجةَ عليهم، وإن اللهسـبحانه وتعالى بعثَ محمداً ٦في وقتٍ كان الأغلب على أهـل عصره الخطب والكلام فأتاهم من كتـاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه ما أبطلَ بـه قولهم وأثبت به الحجةَ عليهم)[١].

ومن خلال التعريفات للمعجزة يظهر شروطها وقيودها لأجل تحققها وتصديق مدَّعيها، وهي:

١. أن يعجـز عـن مثلـه أو عمَّـا يقاربه الأُمة المبعـوث اليها وأن يكـون خارقاً للعادة؛ لأنه إذا لم يكن كذلك لم نعلم أنه مفعولٌ لتصديق المدعي وجوَّزنا أن يكـون فعلٌ بمجرى العادة، أمـا الطريق الى معرفة كونه خارقاً للعادة، فهو أن العادات معلومة مسـتقرة بين العقلاء، وطريق علمها المشـاهدة أو الأخبار.

٢. إن يكون من قبل الله سبحانه وتعالى أو بأمره.

٣. إن يكون في زمان التكليف؛ لأن العادة تنتقض عند أشراط الساعة.

٤. اختصاص المعجز بالمدعي، والطريق الى العلم باختصاصه أن يُعلم مطابقته لدعواه.

إن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة أو جارياً مجرى ذلك، وإن لا يدعي النبوة غيره.[٢]

١- علل الشرائع: ص ١٢٢؛ يُنظر: عصرة المنجود في علم الكلام: ص ١٢٤.

٢-((يُنظـر: الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٨، كشـف المـراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٨؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٥٠.

«إن معاقبة المُعجز للدعوى شرط في إبتداء النبوة لا غير؛ لأن النبي أخبر بغائبات بعد ثبوت نبوته متأخرة عن دعوته، ويكفي خرق العادة دون آخر، كما لو قال: «معجزتي نزول الثلج في قطر لم يحدث فيه قبل ذلك»، فهذا معجز وإن أُعتيد في غيره، وقد يكون نفس الدعوى معجزاً كنطق النبي عيسى (عليه السلام) في المهد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[١][٢].

إذاً، فالمعجزة أمر واقعي خارج عن العادة بسبب كونه بلا توسط، وكونه مما لا يتمكن الخلق عن تحصيلها بالتكسب والتعلم ونحو ذلك – كما في الحوادث العادية المسببة عن سبب تلك الأسباب جلياً كان السبب أو خفياً – موجباً للإشتباه بخارق العادة في أمثال الشعبذة، مع كون ذلك الأمر الخارق للعادة مقترناً بادعاء نحو النبوة الممكنة مطابقاً لها، فيمتاز عن الإرهاص والكرامة والسحر مفهوماً ومصداقاً[٣].

وقد حفلت أدعية الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بمفاهيم متنوعة في مزايا وخصائص المعجزة فلم تكن نمطًا واحدًا؛ بل عدة انماط فمن ذلك:

أولا: دلائل الله لا تنقطع

حيث يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ... في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ أَرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً، وَأَقَمْتَ لأَهْلِهِ دَليلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أئمّةِ الهُدى، وَقادَةِ أَهْلِ التُّقى عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ؛ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ)[٤].

«ان لنفسيات المؤمنين بمدعي النبوة وحواريه، دلالة خاصة على صدقه فيما يدعيه، وذلك ان اقرباء المدعي وبطانته اذا امنوا به، واتبعوا دعوته، وبلغوا

١- سورة مريم، الآية: ٣٠.
٢- عصرة المنجود في علم الكلام: ص ١٢٤.
٣- البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ٣/ ٢٨.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤.

فيها مراتب عالية من التقوى والورع، كان هذا دالاً على صدق المدعي في ظاهره وباطنه، وعدم التوائه وكذبه، لأن الباطن لا يمكن ان يخفى عن الاقرباء والبطانة»[١].

ولم يدع الامام السجاد (عليه السلام) لأتباع الرسل فحسب، بل انه دعا حتى لأزواجهم، ولذرياتهم، قال(عليه السلام): (اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التّابِعينَ مِنْ يَوْمِنا هذا إلى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَعَلى أزْواجِهِمْ، وَعَلَى ذُرِّياتِهِمْ) [٢].

قد افرد الامام دعاءً خاصاً بأتباع الرسل نقتصر منه على بعض الفقرات التي هي محل الموضوع حيث ذكر: (اللّهُمَّ وَأتْباعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أهْلِ الأرض بِالغَيْبِ عِنْدَ مُعارَضَةِ المُعانِدينَ لَهُمْ بِالتَّكْذيبِ وَالاشْتِياقِ إلى المُرْسَلينَ بِحَقائِقِ الإيمانِ)[٣].

«الفرد مهما سما في مواهبه، وأخلص في مقاصده؛ فأنه لا يستطيع ان يقوم بأي دور للتأريخ الا اذا اتيح له انصار، واعوان يثقون به، ويسارعون الى طاعته، ويخوضون معه كل المعارك، ويفتدونه بالنفس، والنفيس؛ لأنه الحصن الحصين لدينهم، وعقيدتهم، والقوي الامين على اهدافهم، ومصالحهم»[٤].

اتباع الرسل الذين وقفوا معهم في خط الايمان، واتبعوهم على نهج الهدى المنفتح على وحيك...الذين صدقوهم عندما كذبهم الناس، وامنوا بهم عندما عارضهم المعاندون، ايمان المؤمن بالغيب، اننا نتابع روح الايمان في حرارة الشوق التي تلهب مشاعرهم الى دعوات المرسلين الذين يفتحون للعقل افاق التفكير، ويمهدون للفكر سُبُل الاخذ بأسباب السلم، وهم الادلاء على ما يصلح أمور الحياة والناس[٥].

١- الإلهيات، جعفر سبحاني: ٣/ ١١٩.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤.
٣- المصدر نفسه.
٤- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٥٠، ٥١.
٥- يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ١٠٤.

ثانيا: اعجاز القرآن.

يقول الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَني عَلى خَتْمِ كِتابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَهُ نُوراً... نَهْتَدي مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ وَالجَهالَةِ بِاتِّباعِهِ)[١].

«ان الله تعالى انزل القران الكريم نورا يهدي به الضال، ويرشد به الحائر، ويوضح به القصد» [٢].

وفيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[٣]. قيل لأنه سبب وقوع نور الايمان في القلب[٤].

ويتابع الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:(جَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلى كُلِّ كِتابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلى كُلِّ حَديثٍ قَصَصْتَهُ) [٥].

«جعل القران الحكيم مهيمنا ومشرفا على جميع كتبه التي انزلها على انبياءه (عليهم السلام)، فهو يكشف عما حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال...وفضله على كل كتاب وحديث عُرض فيه لقصص الانبياء وشؤونهم فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العِبر منهم»[٦].

وفي الدعاء قبس من مضمون قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٧].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.
٢- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٥.
٣- سورة النساء، الآية: ١٧٤.
٤- رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٠٦.
٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.
٦- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٥.
٧- سورة المائدة، الآية: ٨٤.

وقوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هذا القرآن وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغافلين﴾[٢].

«وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرع وغير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء والترغيب والترهيب»[٣].

ثم يوضح الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ معنى آخر:(فُرْقاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ، وَقُرآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرائِعِ أَحْكامِكَ، وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ)[٤].

«إن القران الكريم كان منهجًا ودستورًا عامًّا للحياة، فقد فرّق بين الحلال والحرام، وأعرب عن شرائع الاحكام، وفصل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس ولا غموض»[٥].

وفيه إشارة الى قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[٦].

يواصل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في اعطاء معنى اخر يتميز عن المعاني الاخرى في هذا السياق: (وَشِفاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْديقِ إلى اسْتِماعِهِ)[٧].

«فجعله الله تعالى شفاء من الامراض والعاهات النفسية وذلك لمن امن وصدق به»[٨].

١- سورة الزمر، الآية: ٢٣.

٢- سورة يوسف، الآية: ٣.

٣- تفسير مجمع البيان، لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: ١١٥٤هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت، د. ط، د. ت: ٨/ ٣٤٩.

٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

٥- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٦.

٦- سورة فصلت، الآية: ٣.

٧- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

٨- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٦.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مِيزانَ قِسْطٍ لا يَحيفُ عَنِ الحَقِّ لِسانُهُ) [١].

والمعنى بالقران تقاس جميع العقائد، والآراء، والاقوال، والافعال [٢].

قد يقال: ان دلالة المعجزة على صدق دعوى النبوة دلالة إقناعيه لا برهانية.

الجواب: «إنّ بَينَ المعجزة وبين صدق دعوى النُبوّة علاقةً منطقيّةً؛ لأنه إذا كان الآتي بالمعجزة صادقاً في دعواه فإنّ من الطبيعيّ أنْ يُثْبِتَ مطلبَهُ. وإذا كان كاذباً في دعواه النبوة- افتراضاً- لم يكن لائقاً بالله الحكيم الذي يَهتَمّ بهداية عبادِه أن يُمكّنَ الكاذبَ في ادّعاء النبوّة من الاتيان بالمعجزة، لأنّ الناس سَيُؤمنون به إذا رأوا قدرته على الاتيان بالعَمَل الخارق للعادة، وسيَعملون بأقوالِه فيكونُ ذلك إضلالاً للناس إذا كان المُدّعي للنبوّة كاذباً، ولا شكّ أنّ هذا يتنافى مع عَدلِ الله وحكمته» [٣].

والإمام السجَّاد «عليه السلام « أشار إلى هذا المعنى بقوله: (وَنُورَ هُدىً لا يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدَينَ بُرْهانُهُ) [٤].

«لما شبه ع البرهان بالسراج في الإضاءة والإيضاح نفى عنه الطفو، أو الإطفاء... والمعنى: إن برهان نور هدى القران لا يزال واضحًا بيِّنًا للشاهدين المحتجين به والمبرهنين على مطالبهم الحقة بألفاظه ومعانيه لا يبطل احتجاجهم به أبدًا كما يفيد الفعل المضارع الدال على الاستمرارية»[٥].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

٢- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٤٤.

٣- العقيدة الإسلامية، سبحاني: ١/ ١٢٢.

٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

٥- رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٠٦.

المبحث الثالث
المعاد

المعـاد في اللغـة: من العَوْد، وهو تثنية الأمر، عَوداً عن بدءٍ، بدأ ثم عاد، والعَودة مـرة واحـدة، كما يقـول مَلَك الموت لأهل الميت: إنَّ لي فيكـم عودة حتى لا يبقى منكم أحد، وتقول عادَ فلانٌ معروفهُ، إذا أحسَـن ثم زاد.

والحـج معـاد الحاج إذا ثنوا يقولون في الدعاء: «اللهـم ارزقنا الى بيتك معاداً أو عَـوداً « وقوله تعـالى: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[١]، يعني مكة[٢].

وفي الاصطـلاح، المعـاد: هو الوجود الثاني للأجسـام، وإعادتها للحسـاب بعد فنائهـا، وقد أجمع كافـة أصحاب الشرائع من اليهود والنصارى وسـائر الملليين فضلاً عن إجماع المسلمين عامة على أنه لا بُدَّ في عدل الحكيم تعالى من وقوعه بعد مصافقـة الـكل على إمكانه، ولم يخالف في ذلـك أهل الملل كلها إلَّا بعض الملاحدة من متقدمي الفلاسفة[٣].

فهـو مما اتفقت على وجـوده الشرائع، وقامت عليه البراهين عنـد العلماء، وإنما اختلفـت الشرائع في صفة وجوده، ولم تختلف في صفة وجوده وإنما اختلفت في الشاهدات عليها التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة؛ وذلك إن من الشرائع مـن جعلـه روحانيـاً (أي للنفوس)، ومنها مـن جعله للأجسـام والنفوس معاً، والاتفـاق في هذه المسـألة مبنيٌ على اتفـاق الوحي في ذلك واتفـاق قيام البراهين الضروريـة عند الجميع على ذلك[٤].

١- سورة القصص، من الآية: ٨٥.

٢- العين، للفراهيدي: ٤/ ٢٤٩.

٣- يُنظـر: نـور الأفهـام في علم الـكلام: ٢/ ٢٠٩، ٢٢٤؛ شرح الباب الحـادي عشر: ص ٢٠٧؛ عون المريد لشرح جوهـرة التوحيد: ص ١٠٣٧.

٤- مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشـد (ت: ٥٩٥هـ)، تقديم وتحقيق: محمود قاسـم، مكتبة الأنجلـو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٩م: ص ٢٤٠.

فـ «هـل تُبعَث الأبـدان مـع الأرواح! أم تُبعَث الأرواح فقط ؟؛ فهـذا هو البحث المشـهور في المعاد، والواقـع أن المعاد يُطلَق عـلى معانٍ ثلاثة:

أحدها: المعنى المصدري من العَوْد، أي الرجوع الى مكان.

وثانيها: مكان العَوْد.

أمَّا ثالثها: فزمانه، ومآل الكل واحد»[١].

المعـاد الجسـماني: يعنـي أن الله تعالى يعيـد الأبدان بعد موتهـا ويرجعها الى هيئتها الأولى.

والمعـاد الروحاني: يُـراد به بقاء الروح بعد مفارقة البدن سـعيدةً متنعمة، أو معذَبةً شـقية بما اكتسبته في الدنيا[٢].

وقـد اثبـتَ المعاد الحكمـاء والمليون، إلَّا إنه عنـد الحكماء روحانـي فقط، وعند جمهور المسـلمين جسماني فقط بناءً على ان الروح جسم لطيف، وعند المحققين منهم كالغزالي والحليمي والراغب والقاضي وأبي زيد روحاني وجسماني ذهاباً الى تجـرد النفـس، وعليـه أكثر الشـيعة والكرامية، وليس بتناسـخ؛ لأنه عَودٌ في الدنيا الى بدنٍ ما، وهذا عَودٌ في الآخرة الى بدنٍ من الأجزاء الأصلية للبدن الأول[٣]، أمـا الإماميـة فقد اتفقوا على المعاد الجسـماني؛ أما المعاد الروحاني فقد قالت به الإمامية وعدد من متكلمي الأشـاعرة، منهم الغزالي والقاضي الجويني وآخرون.

المطلب الأول: قول الإمامية وأدلتهم في إثبات المعاد الجسماني.

المعـاد جسـماني وروحانـي، وقد أثبـت المليون المعـاد الروحاني والجسـماني، واتفـق المسـلمون عـلى أن منكر المعاد خـارجٌ عن ربقة الإسـلام[٤].

١- آيات العقائد: ص ٤٤٧.

٢- يُنظر: نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩، ٢٢٤.

٣- يُنظر: شرح المقاصد: ٥/٨٨؛ شرح الباب الحادي عشر: ص ٢٠٦.

٤- يُنظر: نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩؛ شرح الباب الحادي عشر: ص ٢٠٧.

لم يخالف في المعاد اهل الملل كلها إلا بعض الملاحدة من متقدمي الفلاسفة، مع اختلاف بينهم في ذلك، فهم بين قائلٍ بالامتناع الذاتي، بمعنى استحالة خلق غير هذه النشأة الدنيوية، وعدم امكان ذلك بنفسه أصلاً ورأساً، وبين قائل بذلك أيضاً، لكن لا من جهة استحالته بذاته، أو من جهة قصور القدرة الكاملة عن ذلك والعياذ بالله، بل من جهة استحالة انتهاء هذا العالم الدنيوي وقبح إعدامه أو تبديله بعالم آخر، بعد التسالم على استحالة صدور القبيح منه تعالى[١].

واختلف الناس في المكلَف، ما هو! على مذاهب منها: قول من يعتقد أن المكلف هو النفس المُجردة، وهو مذهب الأوائل والنصارى والتناسخية، والغزالي من الأشاعرة وابن الهيثم من الكرامية وجماعة من الإمامية والصوفية، ومنها قول جماعة من المحققين أنَّ المكلف هو أجزاء أصلية في هذا البدن لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان وإنما تقعان في الأجزاء المُضافة اليها؛ على ذلك، فالواجب في المعاد هو إعادة تلك الأجزاء الأصلية، أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية، أما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا يجب إعادتها بعينها[٢]، وهو قول الشيخ الطوسي « ولا يجب إعادة فواضل المكلف»[٣].

وغرضه رحمه الله بهذا الكلام الجواب عن اعتراض الفلاسفة على المعاد الجسماني وتقرير قولهم إن إنساناً لو أكلَ آخر واغتذى بأجزائه فإن أُعيدت الى الثاني عُدِم الأول أيضاً، وأيضاً ما إن يعيد الله تعالى جميع الأجزاء البدنية الحاصلة من أول العمر الى آخره أو القدر الحاصل له عند موته، والقسمان باطلان.

أما(**الأول**)؛ فلأن البدن دائماً في التحلل والإستخلاف، فلو أُعيد البدن مع جميع

١- آيات العقائد: ص ٤٤٨.

٢- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٨٠.

٣- تجريد العقائد: ص ١٥٣؛ يُنظر: الحاشية على الهيات الشرح الجديد: ص ٤٦٣.

الأجزاء منه لزِمَ عِظمه في الغاية، وإنه قد يتحلل منه أجزاء تصير أجساماً غذائية، ثم يأكلها ذلك الإنسان بعينه حتى يصير أجزاء من عضو آخر غير العضو الذي كانت أجزاء له أولاً، فإذا أُعيد أجزاء كل عضوٍ الى عضوه لزِم جعل ذلك الجزء جزءاً من العضوين، وهو مُحال.

و(**الثاني**)؛ فلأنه قد يطيع العبد حال تركبه من أجزاء ثم يتحلل تلك الأجزاء ويعصي في أجزاء أُخرى، فإذا اعيد تلك الأجزاء بعينها وأثابها على الطاعة لزِم إيصال الحق الى غير مستحقه، وتقرير الجواب واحد، وهو أن لكل مكلَّف أجزاء أصلية لا يمكن أن يصير جزءًا من غيرها، بل يكون فواضل من غيره لو اغتذى بها، فإذا أعيدت جُعِلت أجزاء اصلية له أولاً في تلك الأجزاء، وهي التي تُعاد، وهي باقية من أول العمر إلى آخره[1].

١- يُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ص ٣٨١؛ الياقوت في علم الكلام: ص٧١؛ نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨.

المطلب الثاني
آثار الاعتقاد بالمعاد.

ضرورة تقويم السلوك.

يقـول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُـمَّ وَصَلِّ عَلى أَوْلِيائِهِمُ(اولياء اهل البيـت)... وَاجْعَلْنا مَعَهُمْ في دارِ السَّلام) [١].

إنّ الإيمان بالمعاد، يُقوِّم سـلوك الفرد على أسـاس الشـعور بوجود المراقب على كل قول أو فعل، وهو يعلم السرّ وأخفى، وإنّه سيحاسبه على كلّ كبيرة وصغيرة فعلها، ولهذا يبقى المؤمن شـاعرًا بالمسـؤولية، خائفًا من عقاب الله وعذابه. وفي المقابل يرجو ما وعده من جزيل الإحسـان.

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[٢].

وقال رسول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)[٣].

وقد أشـبع الامام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعيته بهـذه المفاهيم لما لها مـن الأثر البالغ في تصحيح سـلوك الإنسـان؛ فإنَّ هـذا الاعتقاد يكـون محركًا إلى الاسـتقامة وعمل الـخيرات، رجـاءً في ثواب الآخرة، ورادعًـا يحدّ من الأهواء والشـهوات و ارتكاب المعـاصي، خشـيةً ورهبةً مـن عقاب الآخرة، يقـول الإمام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:(اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الوَعيدِ؛ وَشَوْقَ ثَوابِ الْموعُودِ حَتّى أَجِدَ

١- المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

٢- سورة الاعراف، الآية: ٨- ٩.

٣- صحيـح مسـلم، مسـلم، كتاب صفة القيامـة والجنة والنار، باب جَـزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَـنَاتِهِ فِي الدُّنْيَـا وَالآخِـرَةِ وَتَعْجِيـلِ حَسَـنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَـا. باب ١٦، حديث رقـم (٥٦): ٤/ ٢١٦٢.

لَـذَّةَ ما أدْعُـوكَ لَهُ، وَكآبَةَ ما أسْـتَجيرُ بِكَ مِنْهُ)[١].

فهـو انفتـاح على الآخـرة من خلال وعد اللـه للمتقين بالجنـة ووعيده للعاصين بالنار، لتعيش القضية في عمق الإحساس في الخوف من النار والشوق إلى الجنة... وبذلك يستشـعر الإنسان لذَّةً في طلباته الأخروية[٢].

وعلى نفس هذه الوتيرة، يقول «ع»: (وَأَخِفْنِي مَقامَكَ، وَشَوِّقْنِي لِقاءَكَ)[٣].

أي: اجعلنـي أخـاف من مقامـك، والمراد الحسـاب كما قال تعـالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٤]. والأصل فيه مقام الحاكم للمحاكمة.(وشوقني لقاءك) بأن أشـتاق إلى الآخرة التي فيها لقاء ثوابك[٥].

ويقـول الإمام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اجْعَـلْ هَيْبتي في وَعيـدِكَ، وَحَذَرِي مِـنْ إعْذارِكَ وَإنْذارِكَ)[٦].

«الاعـذار ابداء العذر ومحو الاسـاءة والانذار التخويـف والمعنى انه يكون خوفي مـن اعـذارك لي بأن لا تفعله بل لا تقبل مني الاعذار يعني اكون في مقام الخوف والحـذر ولا اعتمـد عـلى انـك تقبل عـذري فأتجرأ عـلى معاصيك نظـرا الى ذلك الاعتماد»[٧].

١- تذكير الانسان بمحكمة العدل الالهي.

كمـا أن «الاعتقاد بالمعاد له دور كبير في شـتى الشـؤون الحياتية للإنسـان، ولا سـيما على صعيـد تعيين مصيره، فهو نضـير الاعتقاد بالتوحيـد، والنبوة...فهو

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.
٢- افاق الروح، فضل الله: ١/ ٥٧٣.
٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.
٤- سورة الرحمن، الآية: ٤٦.
٥- شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص٣٨٧.
٦- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.
٧- نور الأنوار، السيد نعمة الله الجزائري: ص ٣٣٧.

يجعـل الانسـان مؤمن بهدف نبيـل غير محدد باطار المـادة وهوية خالدة تفوق اطـر الحيـاة الفانية كما انـه ذو تأثير لا ينكر على القيـم والاصول المثلى»[١].

ذكـر الإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يوم المعاد هـو يوم فصل الخصومـات وانتصارا للمظلومين وهو يوم استيفاء الحقوق حيث قال: (اللّهُمَّ وَإنْ كانَتِ الخِيَرَةُ لي عِنْدَكَ في تَـأخيرِ الأخْـذِ لي وَتَـرْكِ الانْتِقامِ ممَّـنْ ظَلَمَني إلى يَوْمِ الفَصْـلِ وَمَجْمَعِ الخَصْمِ؛ فَصَـلِّ عَلى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ؛ وَأيِّدْني مِنْكَ بِنِيَّـةٍ صادِقَةٍ وَصَبْرٍ دائِمٍ؛ وَأعِذْني مِنْ سُـوءِ الرَّغْبَـةِ وَهَلَـعِ أهْلِ الحِرْصِ وَصَوِّرْ في قَلْبي مِثالَ مَا ادَّخَرْتَ لي مِنْ ثَوابِكَ؛ وَأعْدَدْتَ لِخَصْمـي مِـنْ جَزائِكَ وَعِقابِكَ وَاجْعَلْ ذلِكَ سَـبَباً لِقَناعَتي بِمـا قَضَيْتَ، وَثِقَتي بِما تَخَيَّرتَ) [٢].

«المعنـى: اجعـل صورة ما أعددتـه لي وقت الحاجة إليه مـن ثوابك وجزائك على الصبر على مظلمتي، وهيّأته لظالمي من عقابك وانتقامك، حاصلة في عقلي، وصيّر ذلـك سـببًا لحصول رضـاي بالـذي قضيته وحكمت بـه لي، واعتمـادي على ما اخترته لي من تأخير الأخذ لي وترك الانتقام ممّن ظلمني، إلى يوم الفصل ومجمع الخصم»[٣].

الخلاصـة: إن الإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يؤكّـد أن خير مـا يحملـه المـرء إلى آخرتـه هـو التقـوى، والنيَّـة الصادقـة والقناعـة والثقة بأنَّ النـاس مدينون بمـا فعلوا، ومُرتَهنون بما كسـبوا، يوم يعرضون على ربهم للحسـاب، وذلك يمنع من انتشار الفسـاد والخيانة، والكذب، ويسـهم في إرساء أُسـس الصلاح بين الناس والصدق والاسـتقرار الاجتماعي.

١- الكلام الاسلامي المعاصر، د.عبد الحسين خسروبناه: ٣/ ٢٦٤.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٤.

٣- رياض السالكين، علي خان: ٣/ ٧٠.

٢- تحقيق العدالة الالهية.

من المعلوم أن هذه الحياة الدنيا... ونسبتها إلى الكامل والناقص والمؤمن والكافر على السواء فمن أجاد العمل ووافقته الأسباب المادية فاز بطيب العيش ومن كان على خلاف ذلك لزمه الشقاء وضنك المعيشة. فلو كانت الحياة مقصورة على هذه الحياة الدنيوية... كان ذلك منافيًا للعناية الإلهية بإيصال كل ذي حق حقه وإعطاء المقتضيات ما تقتضيه، وإن شئت؛ فقل: تسوية بين الفريقين وإلغاء ما يقتضيه صلاح هذا وفساد ذلك خلاف عدله تعالى[١].

بعبارة أخرى: الناس على صنفين:

الاول: سلكوا طريق امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه.

الثاني: سلكوا طريق المعصية والفساد.

فلا يخلو الأمر من أحد وجوه:

فإما أن يهملهم المولى جلَّ وعلا، أو يسوي بينهم، أو يفرق، والتفرقة على نحوين: إما يثيب العاصي ويعاقب الممتثل أو يثيب الممتثل، ويعاقب العاصي؛ فالأول عبث، والثاني والنحو الأول من الثالث خلاف العدل؛ فتعين النحو الثاني من الوجه الثالث، وهو مقتضى العدل الإلهي؛ لكنه غير متحقق في هذه الدنيا؛ فلا بد ان تكون نشأة اخرى[٢].

وهذا الدليل هو الآخر له ما يدعمه من القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى:﴿أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كالمفسدين فى الأرض أَمْ نَجْعَلُ المتقين كالفجار﴾[٣].

١- يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت: ١٧/ ١٨١.

٢- يُنظر: بداية المعرفة، العاملي: ص٢٠٠.

٣- سورة ص، الآية: ص ٢٨.

«إن من سـلط الظالم على المظلوم ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل أو لكونه راضياً بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى محال، فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين، ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا وجب أن يحصـل في دار الأخرى بعد دار الدنيا»[١].

إن المعاد وإثابة النفوس المطيعة وعقوبة النفوس العاصية ممَّا يعلم بالعقل كما يعلم بالسمع كما دلَّ عليه القرآن في غير موضع[٢].

وقد زخرت الصحيفة السجادية، بالمعانٍ اللطيفة، والمعارف المهمّة، تزيد القارئ قربـاً إلى اللـه، وصلابة في الاعتقاد بالمعاد واليوم الاخر نذكر منها أهم ما تطرق إليه الإمام السجاد ع؛ حيث قال: (وَهَبْ لَنا يَا إلهي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجَاً بِالقُدْرَةِ الَّتِي بِها تُحْيِي أَمْوَاتَ العِبادِ، وَبِهَا تَنْشُرُ مَيْتَ البِلادِ) [٣].

«بعد اثبات ان الله عز وجل ذو قدرة مطلقة وغير متناهية على اسـاس اسـمائه الحسـنى وصفاته الجلالية بحيث تعم قدرته عالم المكنات بمادياته ومجرداته، بطبيعـة الحـال يمكن اثبات كل ما يترتب على هـذه العمومية من قضايا، لذا بما ان عالـم الحـشر والحياة بعـد الممات جزء من عالم المكنات فهو مشـمول ايضا بهذه القاعدة»[٤].

ولا يخفـى ان الاشـارة الى مفـاد هـذا المضمـون قد تقـدم ضمنا في تنـاول الآيات القرآنيـة لأثبـات المعـاد من خلال قدرته تعـالى، وعلى غرار فحوى هـذا الخطاب، يقـول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَإذا انْقَضَـتْ أيّامُ حَياتِنا، وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أعْمارِنا؛ وَاسْـتَحْضَرَتْنا

١- مفاتيح الغيب، الرازي: ٧/ ٧٤.

٢- يُنظر: رفع الاسـتار لإبطال أدلة فناء النار، محمد بن إسـماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني(ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ:ص١٢١.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

٤- الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ٣/ ٢٦٤.

دَعْوَتُـكَ الَّتي لا بُدَّ مِنْها وَمِـنْ إجابَتِها)[١].

إنَّ حتميَّـة الإجابـة متفـرعٌ عن قدرة الله تعـالى وقاهريّته؛ فالدعوة محسـومة، وكذلك الإجابة محسـومةٌ التي لا مجال فيها، لأنَّهَا سُـنَّةُ الله تعالى على الإنسـان.

وفي صورة أخرى يرسمها الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ عن المعاد بقوله:(يا رَحْمنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُما)[٢]. وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَوْلايَ وَارْحَمْني في حَشْرِي وَنَشْرِي، وَاجْعَلْ في ذلِكَ اليَوْمِ مَعَ أَوْلِيائِكَ مَوْقِفي وَفي أَحِبّائِكَ مَصْدَرِي، وَفي جِوارِكَ مَسْكَني يا رَبَّ العالَمِينَ)[٣].

«اختـلاف العبارات باختـلاف الاعتبارات فعند اعتبار الرحمـن أبلغ من الرحيم لدلالة زيادة المباني على زيادة المعاني، واعتبار الأبلغيّة فيه باعتبار الكميّة نظرا إلى كثرة أفراد المرحومين، عبّر برحمن الدنيا ورحيم الآخرة لشمول رحمة الدنيا للمؤمـن والكافر، واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن»[٤].

إحـدى أهمِّ مظاهر المعـاد هي الرحمة الالهية؛ حيث اسـتحصال الأجور من الله تعالى للممتثلـين لأوامره بجزيل العطاء.

«لولا الحياة الاخروية لما تمكن الصالحون من جني ثمار اعمالهم الصالحة التي بـدرت منهم في الحيـاة الدنيا بإرادتهم واختيارهم، لـذا ان انتفت الحياة الاخرة سـوف يُقدح برحمة الله التي وسـعت كل شيء والتي هي من الصفات الكمالية، لذا يمكن اثبات تحقق المعاد على اسـاس مقتضى الرحمة الالهية»[٥].

وإلى المدرك هذا المعنى، يقول الإمام السجاد « ع»: (وَلَوْ كافَأْتَ المُطيعَ عَلى ما أَنْتَ

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ١١.

٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٤.

٣- المصدر نفسه، دعاء: ٥٣.

٤- رياض السالكين، علي خان: ٧/ ٤١٩.

٥- الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروبناه: ٣/ ٣٠٦.

تَوَلَّيْتَهُ لأَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ ثَوابَكَ، وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ، وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جازَيْتَهُ عَلَى المُـدَّةِ القَصيرةِ الفانِيَةِ بِالمُدَّةِ الطَّويلَةِ الخَالِدَةِ، وَعَلى الغايَةِ القَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ بِالغايَةِ المَديدَةِ الباقِيَةِ) [١].

«مـا من شـك أنَّ القائم الدائم أفضل وأعظـم من الرَّاحل الزَّائل، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٢]»[٣].

وفي مقطوعة رائعة ينقلنا الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لمعنى آخر؛ فيقول: (ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ في الحَياةِ أَجَلاً مَوْقُوتًا، وَنَصَبَ لَهُ أَمَدًا مَحْدُودًا، يَتَخَطَّى إِلَيْهِ بِأَيّامِ عُمُرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوامِ دَهْرِهِ، حَتَّى إذا بَلَغَ أَقْصى أَثَرِهِ؛ وَاسْتَوعَبَ حِسابَ عُمُرِهِ، قَبَضَهُ إلى ما نَدَبَهُ إليه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذين أَسـاءُوا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذين أَحْسَنُوا بِالحُسْنى، عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ، وَتَظاهَرَتْ آلاؤُهُ) [٤].

«كانـت الحيـاة الدنيا للعمل، وتبقى الحياة الاخرة للجزاء، لتنطلق المسـألة معها في نطـاق التكامل بـين المقدمة والنتيجة، ليحصل المحسـنون على الثواب الجزيل من خلال احسـانهم، وليُعاقب المسـيئون بالعقاب الشـديد جزاء أساءتهم، فذلك هو العدل الذي يحركه في اعمال عباده، في مواجهتهم للمسـؤولية العملية في كل حركة حياتهم»[٥].

ويمكـنُ مـن خلال التَّصريح بالعدل المذكور في هـذه المقطوعة البرهنة على المعاد وهو ما تقدَّم بيانُهُ في الاسـتدلال على المعاد عقلاً؛ بل يمكن إفادة مفهوم الحكمة مـن هذه المقطوعة أيضًا، وأن المعاد له غرض، وليس عبثًا، حيث إنَّ الإنسـان لم

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٧.
٢- سورة النحل، الآية: ٩٦.
٣- في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٢٧.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ١.
٥- افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٥.

يُترك سدىً؛ بل يصل الإنسان إلى نهاية هو رسمها من خلال أعماله.

«والعدل الحكيم يقتضي بصريح العقل أن يفرّق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم... ولمَّا كانت هذه الدّار ليست محلاً لهذه التّفرقة؛ بل هي دار الاكتساب والابتلاء كما نرى أزهد النّاس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليّات وأفسقهم وأجهلهم في أتمّ اللّذات والمسرّات وجب بمقتضى عدله وحكمته أن تكون دار أخرى ينتقل إليها الفريقان وهي دار الجزاء فيجزي كلا بما عملوا ولا يظلم ربّك أحدا»[١].

يقول الإمام السجاد «ع»: (فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِها، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوَةِ خَذَلْتَهُ لَها)[٢].

ونستطيع استخراج مفهوم آخر لأثبات المعاد من الصحيفة السجادية من خلال وعد الله تعالى؛ حيث ذكر الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلى نَفْسِهِ بِتَفَضُّلِهِ حُسْنَ الجَزآءِ)[٣].

وفيه وعد للصالحين والممتثلين أوامره بالتفضل عليهم بالجزاء الحسن وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثواب﴾[٤].

«يكون ذلك الثواب في غاية الشرف؛ لأنه تعالى لمَّا كان قادرًا على كُلِّ المقدورات، عالمًا بكُلِّ المعلومات، غنياً عن الحاجات، كان لا محالة في غاية الكرم والجود والاحسان، فكان عنده حسن الثواب»[٥].

وقال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَسَمَّيْتَ دُعاءَكَ عِبادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْباراً وَتَوَعَّدْتَ

١- رياض السالكين، علي خان: ١/ ٣٠٠.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٦.
٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.
٤- سورة ال عمران، الآية: ١٩٥.
٥- مفاتيح الغيب، الرازي: ٥/ ٢٦.

عَلى تَرْكِهِ دُخُـولَ جَهَنَّمَ داخِرينَ) [١].

«إنّ العبـادة إظهـار غايـة التذلّل ولا أعظـم في ذلك من الدعاء والسـؤال المحقّق للحاجة والافتقار والخضوع والانكسـار وإنّما سـمّى تركه اسـتكبارا لما فيه من التعظّم وعدم الإذعان له بالفاقة إليه عزّ وجلّ، كان التارك له أظهر من نفسه ما ليس له وهو الغنى عن ربّه سـبحانه وهذا حقيقة الاسـتكبار المذموم»[٢].

وفيه وعد للمسـتكبرين والعاصين اوامره بالدخول في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[٣].

يقـول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُـمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الوَعيدِ؛ وَشَـوْقَ ثَـوابِ الْمَوْعُودِ حَتّى أَجِـدَ لَذَّةَ ما أَدْعُوكَ لَهُ) [٤].

ويقـول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نارٍ تَغَلَّظْتَ بِها عَلى مَنْ عَصاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِها مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضاكَ) [٥].

وإلى فحوى هذا الدليل يمكن استفادته من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾[٦].

إذن هذا الدليل مرتكز على مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب والمسيئين بالعقاب في المعاد.

المقدمة الثانية: إن الله لا يخلف الوعد أبدًا

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.
٢- رياض السالكين، علي خان: ٦/ ١٤٦، ١٤٧.
٣- سورة ابراهيم، الآية: ٤٦- ٥٠.
٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.
٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.
٦- سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

إذن المعاد متحقق لا محالة[١].

«إن الله تعالى وعد بالثواب وتوعد بالعقاب مع مشاهدة الموت للمكلفين، فوجب القول بعودهم ليحصل الوفاء بوعده ووعيده»[٢].

ويمكن استفادة حقيقة المعاد من خلال جملة من ادعية الصحيفة السجادية حيث ذكر الامام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ... إِلَّا رَحِمْتَ هذِهِ النَّفْسَ الجَزُوعَةَ وَهذِهِ الرِّمَّةَ الهلُوعَةَ الَّتي لا تَسْتَطِيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ حَرَّ نارِكَ؟)[٣].

من خلال هذه الفقرة نستطيع القول بأن المعاد جسماني وروحاني معًا؛ حيث ذكر النار وهي في يوم القيامة، وذكر النفس و الرمة معًا، والرمة: العظام المندرسة البالية[٤].

ويقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَنَجِّنا بِهِ –بالقرآن– مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ القِيامَةِ وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الحَسْرَةِ والنَّدامَةِ) [٥].

يمكن القول بأن بياض الوجه وسوادها إشارة إلى الجسد، والحسرة والندامة إشارة إلى النفس؛ فتكون النتيجة أن المعاد جسماني وروحاني معًا.

٣- الموت سنّة الهية.

ممَّا تقدَّم يمكن القول بأن الموت هو نهاية هذه الحياة و بداية الحياة الاخرى، وان الموت سنّة الهية شمولية، بحيث يطرأ على كل نفس في هذه الحياة الدنيا، وهو صريح قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الموت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٦]؛ بل يصرح

١- يُنظر: بداية المعارف الالهية، السيد محسن الخرازي: ٢/ ٢٦٩.
٢- كشف المراد، العلامة الحلي: ص٥٤٩.
٣- الصحيفة السجادية، دعاء:٤٢.
٤- شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص ٤٢٠.
٥- الصحيفة السجادية، دعاء:٥٠.
٦- سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

بعدم وجود أي استثناء من هذه السنّة حتى للنبي الأكرم ع، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[١].

قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَيهَا النَّاس أذكروا الله، جَاءَت الراجفة، تتبعها الرادفة، جَاءَ الْمَوْت بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْت بِمَا فِيهِ) [٢].

وقد أعرب الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حتمية الموت في جملة من أدعيته في الصحيفة السجادية حيث قال:(سُبْحانَكَ قَضَيْتَ عَلى جَمِيعِ خَلْقِكَ المَوتَ: مَنْ وَحَّدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلُّ ذائِقُ المَوْتِ، وَكُلٌّ صائِرٌ إِلَيْكَ) [٣].

«إن الله تعالى بسط الموت على جميع خلقه، فكلهم صائرون اليه، ليجزي الذين احسنوا بالحسنى، ويجزي الكافرين بما كسبت أيديهم»[٤].

ويقول «ع «:(وَإذا انْقَضَتْ أيّامُ حَياتِنا، وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أعْمارِنا؛ وَاسْتَحْضَرتْنا دَعْوَتُكَ الَّتي لا بُدَّ مِنْها وَمِنْ إجابَتِها) [٥].

عندما تنقضي أيام حياتنا، وتتقطع مدد أعمارنا، وتأتي الساعة الأخيرة، وتنطلق الدعوة من الله إلى أن ننتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة... وهي الدعوة الحاسمة النـي لا مجال للعباد إلا من إجابتها، لأنَّها سنّة الله في الكون، الذي قضى على جميع عباده بالموت، وكلهم صائر إليه[٦].

١- سورة الزمر، الآية: ٣٠.

٢- سنن الترمذي، الترمذي، باب اذكروا الله. (١٩)، حديث رقم (٢٤٥٧): ٤/ ٦٣٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، واخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٢.

٤- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص٣٢١.

٥- الصحيفة السجادية، دعاء: ١١.

٦- افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٩٥.

إن جهل الإنسان بمكان وزمن وفاته هو مقتضى الحكمة الالهية وذلك لوجهين:

١- إن الباعث إلى العمل في الحياة، هو الأمل فيها، ولولاه لما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجرة.

يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنا طُولَ الأَمَلِ، وَقَصِّرهُ عَنَّا بِصِدْقِ العَمَلِ) [١].

٢- لو علم الإنسان ذلك لترك التمرد والتجري، فلا يعد ذلك كمالاً روحيًّا، بخلاف ما لو ترك المعصية، وهو يرجو العيش طويلاً؛ فأنه يكشف عن كمال روحي[٢].

وقد صرَّح القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن الموت يأتي فجأة:

قال تعالى:﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[٣].

«حتى أتانا اليقين: أي الموت»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [٥].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):(مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٦].

وأشار الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا المعنى بقوله:(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ...ميتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ)[٧].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٠.

٢- يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٢٣١.

٣- سورة المدثر، الآية: ٤٥- ٤٧.

٤- مفاتيح الغيب، الرازي: ١١/ ١٧٠.

٥- سورة ق، الآية: ١٩.

٦- صحيح البخارى، البخاري، كتاب تفسير القران (٦٥)، سورة الانعام: باب (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) حديث رقم (٤٦٢٧): ١/ ٨١٦.

٧- الصحيفة السجادية، دعاء: ٨.

قـدر لنـا الموت بوصفه نهايةٍ حتميةٍ لحياتنا، وجعل لها اجلاً محدودًا لا يتقدم ولا يتأخـر، ولكـن أخفـي عنَّا ممَّا جعلنـا ننتظره في كل وقت، وطلبت يـا رب إلينا ان نسـتعد له...غير انا قد نغفل فننسى الموت وننسى الاستعداد لما بعده، فيفاجئنا على غير استعداد[١].

وفي سـنى هذا السـياق يقدم الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ صورة واضحة يقول:(وَهَوِّنْ بِالقُرآنِ عِنْدَ المَوْتِ عَلى أَنْفُسِـنا كَرْبَ السِّـياقِ وَجَهْدَ الأَنينِ، وَتَرادُفَ الحَشـارِجِ إذا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَراقِيَ وَقيلَ مَنْ راقٍ؟ وَتَجَلّى مَلَكُ المَوْتِ لِقَبْضِها مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ وَرَماها عَنْ قَوْسِ المَنايا بِأَسْـهُمِ وَحْشَـةِ الفِراقِ وَدافَ لَها مِنْ ذُعافِ المَوْتِ كَأْسـاً مَسْمُوْمَةَ المَذاقِ) [٢].

والحشـارج: جمـع حشرجة، وهـي الصوت الذي يـردّده المريـض في حلقه عند الموت. والحجب: جمع حجاب وهو السّـتر. والغيوب: جمع غيب، اسـتعمل فيما غاب عن العلم والعقل، وفيما غاب عن الذكر أيضا. ولمّا كان ملك الموت غائبا عن أكثـر الناس بجميع هذه المعانـي جاء به بلفظ الجمع[٣].

العفو والمغفرة.

ومفـاد المفردتين هو أن ينسـب إلى الله تعـالى العفو؛ فكأنه تعالى لا يهمل العبد؛ فيلقي ما عنده من الذنب ويتركه بلا ذنب، والمغفرة متشـعبة عليه وفقاً لاعتبار قوله تعـالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾[٤]. وقال أيضاً: ﴿وكان الله عفوا غفورا﴾ [٥].

١- يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٥٣.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.
٣- يُنظر: رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٧١ - ٤٧٣.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
٥- سورة النساء، الآية: ٩٩.

يتبـين ان العفـو والمغفرة وان كانا مختلفين من حيث اللفـظ إلا إنهما متقاربان مـن حيث المعنـى، وبينهما من الفـرق أن العفو ترك المؤاخـذة بالذنب والمغفرة تقتضي مع ذلك السـتر والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام متفرّعًا أحدهما على الآخر بحسـب العناية الإلهية[١].

«إن العفـو أن يسـقط عنه العقاب، والمغفرة أن يسـتر عليه جرمـه صوناً له من عـذاب التخجيـل والفضيحة، كأن العبد يقول: أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاسـتره علي فإن الخلاص من العذاب إنمـا يطيب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة، والأول: هو العذاب الجسماني، والثاني: هو العذاب الروحاني، فلمـا تخلـص منهما أقبل على طلب الثواب، وهو أيضاً قسـمان: ثواب جسـماني وهـو نعيـم الجنة ولذاتها وطيباتهـا، وثواب روحاني وغايتـه أن يتجلى له نور جلال الله تعالى»[٢].

ويرسم الإمام السجاد «ع « صورة في اغلب مقاطع الصحيفة في غاية الروعة عن العفو والمغفرة؛ فيقول عن المغفرة مستشـهدًا بآيةٍ من الذكر الحكيم:(اللّهُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِيما أَنْزَلْتَ مِنْ كِتابِكَ، وَبَشَّرْتَ بِهِ عِبادَكَ أَنْ قُلْتَ:﴿يَاعِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوامِنْ رَحْمَةِالله، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣]. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَـا قَـدْ عَلِمْـتَ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ بِـهِ مِنِّي، فَيا سَـوْأتا مِمَّا أَحْصاهُ عَـلَيَّ كِتابُكَ، فَلَوْلا المَواقِفُ الَّتِي أُؤَمِّلُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذي شَـمَلَ كُلَّ شَيْءٍ لأَلْقَيْتُ بِيَدي)[٤].

ربّمـا يتوهـم أن تشريـع العفو والمغفـرة إغـراءٌ بالمعصية وتحريـض على ترك

١- يُنظـر: ماذا بعد الموت، محمد حسين الطباطبائي(ت: ١٩٨١م)، مؤسسـة المحبين، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ:ص١٥٥-١٥٧.

٢- مفاتيح الغيب، الرازي: ٤/ ٨٩.

٣- سورة الزمر، الآية: ٥٣.

٤- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.

الطاعة. ولكنه توهم ساقط من أصله، فانه لو كان باب العفو والمغفرة موصداً في وجه العصاة واعتقد المجرم بان العصيان مرة واحدة، يدخله في عذاب الله، فلا شك انه سيتمادى في اقتراف السيئات، معتقداً بانه لا تأثير فيما لو غير حاله الى الاحسن، اما لو علم بأن باب العفو والمغفرة مفتوحاً فهذا يعطيه الامل بترك الذنب وفعل الطاعة[١].

بناءً على هذا فأن العفو الالهي هو الذي يقينا من الوقوع في حالة اليأس والقنوط، يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ إنْ تَشَأ تَعْفُ عَنّا فَبِفَضْلِكَ؛ وَإنْ تَشَأ تُعَذِّبْنا فَبِعَدْلِكَ، فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ؛ وَأجِرْنا مِنْ عَذابِكَ بِتَجاوُزِكَ؛ فإنه لا طاقَةَ لَنا بِعَدْلِكَ، وَلا نَجاةَ لأحَدٍ مِنا دُونَ عَفْوِكَ) [٢].

«ومن المقطوع به الذي ليس فيه أدنى شك أن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يخالف الله طرفة عين، ولم يقترف أيَّ ذنب، وإنَّما كان في الرعيل الأول من هذه الأمة في هديه وورعه وتقواه، وإنَّما كان يدعو الله تعالى بهذه الكلمات وأمثالها؛ ليرشد الأمة إلى طريق الخير والصواب، ويدعوها إلى التوبة؛ لأنها تطهر الإنسان ممَّا اقترفه في حياته من آثام وذنوب، وينال من الله المغفرة والرضوان» [٣].

١- يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٣٢٣.
٢- الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.
٣- عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٥٧.

أسباب العفو والمغفرة:التوبة:

يقـول الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:(أَنْتَ الَّـذي فَتَحْتَ لِعبادِكَ باباً إلى عَفْوِكَ، وَسَـمَّيْتَهُ التَّوْبَـةَ، وَجَعَلْـتَ عَلَى ذَلِـكَ البابِ دَلـيلاً مِنْ وَحْيِكَ لِـئَلاّ يَضِلُّوا عَنْـهُ، فَقُلْتَ تَبارَكَ اسْـمُكَ: تُوبوُا إلى اللهِ تَوْبَـةً نَصُوحاً) [١].

والتوبـة لغـةً: «(توب) التاء والواو والباء كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على الرُّجوع. يقال تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتوب إلى الله تَوبةً ومَتَاباً، فهو تائب. والتَّوْبُ: التَّوبة»[٢].

اصطلاحـاً: «إنهـا عبارة عـن الندم مما ارتكـب فيما مضى من المعـاصي والعزم على تركهـا في الاتـي، أو تقول: إنها عبارة عـن تنزيه القلب عن الرذائل وما يوجب البعـد عـن المولى عز وجل، والرجوع إلى ما يوجب القـرب وتدارك ما فات منه من الكمـال»[٣].أو «هي عبارة عن ندم يـورث عزماً وقصداً»[٤].

والآيات الشريفة الدالة على التوبة والتي تحث عليها كثيرة جداً في القران ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[٥].

وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [٦].

وقد اشـار الامام السـجاد ع إلى الآيتين في قوله: (وَقَدْ قُلْتَ يا إلهي في مُحْكَمِ كِتابِكَ، أَنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ، وَتُحِبُّ التَّوّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَما وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَنْ سَيِّئاتِي كَما ضَمِنْتَ)[٧]

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.

٢- معجـم مقاييـس اللغـة، أحمـد بن فارس بـن زكرياء القزوينـي الرازي، أبـو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١/ ٣٥٧، بـاب التـاء والـواو وما يثلثهما؛ يُنظر: لسـان العـرب، ابن منظـور: ١/ ٢٣٣، مادة توب.

٣- القواعـد الفقهية، محمد حسـن البجنـوردي (ت: ١٣٥٩)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسين، نشر الهادي، قم، د. ط، ١٤١٩هـ: ٧/ ٣٢٦.

٤- إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٤.

٥- سورة غافر، الآية: ٣.

٦- سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٧- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١. (وقد افرد هذا الدعاء لطلب التوبة).

أركان التوبة:

تبين مما تقدم فان حد التوبة يحتوي على ركنين اساسيين:

الركن الاول: الندم ازاء ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام.

يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَتُوبُ إليك في مَقامي، هذا تَوْبَةَ نادِمٍ عَلَى ما فَرَطَ مِنْهُ) [١].

الركن الثاني: العزم على عدم العود

قال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ إِنّي أَتُوبُ إِلَيْكَ في مَقامِي هَذا مِنْ كَبائِرِ ذُنُوبِي وَصَغائِرِها، وَبَواطِنِ سَيِّئاتِي وَظَواهِرِها، وَسَوالِفِ زَلّاتِي وَحَوادِثِها، تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ في خَطِيئَةٍ... وَلَكَ يا رَبِّ شُرْطِيَ أَلاّ أَعُودَ في مَكْرُوهِكَ، وَضَمانِي أَنْ لا أَرْجِعَ في مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ) [٢].

وقد جمع الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ الركنين بقوله: (اللّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ) [٣].

مجال التوبة:

«لا تقتصر التوبة على ارتكاب الذنوب والمعاصي والآثام، بل ينبغي التوبة من جميع ما يخالف ارادة الله او الانحراف عن محبته تعالى من قبيل خطرات القلب كالأهواء والميول والاماني والرغبات المذمومة، ومن قبيل خائنة العين وزلات اللسان»[٤].

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.

٢- المصدر نفسه: دعاء: ٣١.

٣- المصدر نفسه.

٤- معارف الصحيفة السجادية، الشيخ علاء الحسون: ص٩٣.

يقـول الامـام ع: (اللّهُـمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِـنْ كُلِّ ما خَالَفَ إِرَادَتَـكَ، أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِـكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِـي وَلَحَظاتِ عَيْنِي، وَحِكايَاتِ لِسَـانِي) [١].

زمان التوبة:

ومن الأهمية بمكان الإجابة عن هذا السؤال وهو: متى يتوب الانسان؟

وللإجابـة عن هذا السـؤال يقول رَسُـولُ اللَّـهِ (صلى الله عليه وسـلم): مَنْ تَابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِسَـنَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ سَـنَةٌ كَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَـهْرٍ تَابَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ ثُـمَّ قَالَ شَـهْرٌ كَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْـلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَـةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ثُمَّ قَالَ جُمُعَـةٌ كَـثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْـلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَـالَ يَوْمٌ كَثِيرٌ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَـابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَـاعَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَـابَ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ بِالْمَوْتِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)[٢].

بيد انه قد تقدم ان الموت مجهول وقته عند الانسان، ويأتي بشكل مفاجئ، فينبغي التعجيل بالتوبة، لخوف الفوت.

يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَإِنَّما يَعْجَلُ مَنْ يَخافُ الفَوْتَ) [٣].

«فـأن العجلـة إمـا من الخوف أو مـن الاحتيـاج، وكلاهما منفيان بالنسـبة إليه تعالى، وثابتان للإنسـان»[٤].

وقـال الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (بَـلْ أَقُولُ: مَقـالَ العَبْـدِ... إذا رَأى مُدَّةَ العَمَلِ قَـدْ انْقَضَتْ؛

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.(وقد افرد هذا الدعاء لطلب التوبة).

٢- الـكافي، الكلينـي، بـاب فيمـا اعطى الله عز وجـل آدم عليه السلام وقت التوبـة، حديث رقم (٢): ٢/ ٤٤٠؛ بغية الباحث عن زوائد مسـند الحارث بن أبي أسـامة (ت: ٢٨٢هـ)، نور الدين الهيثمـي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: د. حـسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السـنة والسيرة النبويـة، المدينة المنـورة، د. ط، ١٤١٣هـ: ١/ ٢٢١.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

٤- يُنظر: شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص٤٠٣.

وَغايَـةَ العُمْـرِ قَدِ انْتَهَـتْ وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لا محيصَ لَـهُ مِنْكَ، وَلا مَهْرَبَ لَـهُ عَنْكَ؛ تَلَقّاكَ بِالإِنابَـةِ؛ وَأَخْلَصَ لَـكَ التَوْبَةَ) [١].

ويقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَسَعْياً إِلَى التَّوْبَةِ الماحِيَةِ وَالطَّرِيقِ المَحْمُودَةِ، وَقَرِّبِ الوَقْتَ فِيهِ، وَلا تَسُمْنَا الغَفْلَةَ عَنْكَ، إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَمِنَ الذُّنُوبِ تائِبُونَ) [٢].

نكتفـي بهـذا القدر من الحديث عن التوبة خوفاً مـن الاطالة والا فأن الذي يقرأ الصحيفة لا يكاد يرى دعاء يخلو من التوبة في شتى المواضيع كآثارها، وموانعها ودوامها، وآدابها...وغيرها من المواضيع التي تحتاج بحثا منفصلاً.

الشفاعة:

يقول الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اللّهُمَّ لا خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ، وَلا شَـفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ) [٣].

والشـفاعة لغةً: «شـفع: الشَّـفع: ما كان من العـدد أزواجاً. تقـول: كان وتراً فشـفعته بالآخْـر حتى صار شفعاً»[٤].والشـفاعة: «الانضمـام إلى آخر ناصرا له وسـائلا عنه وأكثر ما يسـتعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى» [٥].

اصطلاحـاً: يـكاد ينطبق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي للشـفاعة حيث

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.

٢- المصدر نفسه، دعاء: ٣٤.

٣- الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.

٤- العين، الفراهيدي: ١/ ٦٠، مادة شـفع؛ يُنظر: لسـان العرب، ابـن منظور: ٨/ ١٨٣، مادة شفع.

٥- المفـردات في غريـب القـرآن، أبو القاسـم الحسين بـن محمد المعروف بالراغـب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ:١/٢٤٧.

عُرفت الشـفاعة بانها: «من الشـفع مقابل الوتر كأن الشـفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصـة التي مع المستشـفع فيصير به زوجا بعد مـا كان فردا فيقوى على نيل ما يريده، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها من الأمور التي نسـتعملها لإنجاح المقاصد»[١].

والشـفاعة من الامور الثابتة في القران الكريم بحقه تعالى وحق غيره من عباده لكنها بإذنه سـبحانه في آيات كثيرة في القران الكريم ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٣].

وقـد ذكـرت الشـفاعة في العديد من الاحاديـث النبوية المطهرة قال رَسُـولُ اللَّهِ (صـلى الله عليه وسـلم): (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّـفَاعَةِ) [٤].

مبررات الشفاعة:

ربَّما يقال: إذا كان المنقذ الوحيد للإنسان يوم القيامة هو عمله الصالح والأخلاق الحميدة؛ فلماذا جعلت الشفاعة وسيلة للعفو والمغفرة؟.

والجواب عن ذلك: أن لتشريع الشفاعة مبررات عديدة نذكر منها اثنين:

المبرر الاول: الحاجة الى رحمة الله الواسعة حتى مع العمل.

المبرر الثاني: الآثار التربوية المترتبة على الشفاعة[٥].

وأشـار الإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هـذه المبررات في الجملـة مـن خلال ادعيته في

١- الميزان في تفسير القرآن، الطبطبائي: ١/ ١٤٩.

٢- سورة السجدة، الآية: ٤.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

٤- صحيـح البخـارى، كتاب الرقاق (٨١)، باب صفة الجنة والنار (٨١)، حديث رقم (٦٥٥٨): ص١١٦٣.

٥- يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٢٤٥- ٣٤٦.

الصحيفة السجادية، أمَّا الإشارة إلى المبرِّر الأول، فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَإِنِّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلا شَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلاَّ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلامُكَ)[١].

وإلى المبرِّر الثاني بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حالِي فَيَنالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِها نَجاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزَتِي بِرِضاكَ) [٢].

«جعل الله الشفاعة وسيلة يحظى بها الشفيع المقام والمنزلة عند الله، وينال بها المشفوع العفو والمغفرة. واما الذي لا شفيع له وهو نادم خائف ازاء ارتكابه لسوء الاعمال وذميم الافعال، فعليه ان يدعو الله تعالى» [٣].

الاستعداد ليوم الحساب

إنَّ البشرية كُلَّهَا من سيدنا آدم (عليه السلام) وإلى قيام الساعة ستقف أمام خالقها جلّ وعلا، يوم العرض، ليتسلم كُلّ واحد نتيجة ما عمل في حياته الدنيا.

وهذا اليوم هو اليوم الآخر الذي هو حقٌّ وثابتٌ، وركن من أركان عقيدتنا، قال طاووس اليماني: قلت لعلي بن الحسين زين العابدين ع: أبوك الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمك فاطمة الزهراء عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فالتفت إلى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبدا حبشيًّا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدا قرشيًّا؛ أما سمعت قوله تعالى: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) والله لا ينفعك غدًا إلا تقدمة تقدمها من

١- الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

٢- المصدر نفسه، دعاء: ٣١.

٣- معارف الصحيفة السجادية، الشيخ علاء الحسون: ص١٩١.

عمل صالح[١].

وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [٣].

ولأهمية هذا اليوم وما فيه من الأهوال والمصاعب التي تشيب لها الولدان وتذهل بها المرضعات، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [٥].

سنتناوله من خلال ما يأتي:

أولاً: الوصف القرآني ليوم الحساب.

١- إنه يوم طويل

- قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٦].

أي: (يفرغ فيه من القضاء بين خلقه، كان قدر ذلك اليوم الذي فرغ فيه القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة)[٧].

١- مناقب ابن شهر آشوب، ٣/٢٩١.
٢- سورة النبأ، الآية: ٣٩.
٣- سورة النبأ، الآية: ٤٠.
٤- سورة المزمل، الآية: ١٧.
٥- سورة الحج، الآية: ٢.
٦- سورة المعارج، الآية: ٤.
٧- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/٢٥١.

• وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [١].
(عن ابن عباس، قال: مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة)[٢].

٢- إنه يوم عظيم

• قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٣].

• وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٤].

• وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[٥].

٣- إنه يوم تشخص فيه الأبصار.

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٦].

٤- إنه يوم عقيم

• قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[٧].

ورد في تفسير(يوم عقيم)، قيل: (إن اليوم عند العرب إنما سمي يوماً بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوماً. فيوم القيامة يوم لا ليل بعده، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة، فلذلك اليوم هو آخر الأيام، ولذلك سماه الله جل ثناؤه (اليوم الآخر) ونعته بالعقيم. ووصفه بأنه يوم عقيم، لأنه

١- سورة الحج، الآية: ٤٧.
٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: ١٨/ ٦٥٨،٦٥٩.
٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥.
٤- سورة الشعراء، الآية: ١٣٥.
٥- سورة المطففين، الآيات: ٤، ٥، ٦.
٦- سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
٧- سورة الحج، الآية: ٥٥.

لا ليل بعده)[١].

٥- إنه يوم الآزفة

• قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [٢].

ورد في تفسيرها: (عن مجاهد، في قوله تعالى: (يوم الآزفة) قال: يوم القيامة)[٣].

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١/ ٢٧٢.
٢- سورة غافر، الآية: ١٨.
٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١/ ٢٧٢.

الفصل الثالث
النفس، ومعالم التزكية في نهج الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

توطئة

ذكر العلماء معاني عدة للنفس، فهي بمعنى:

١. الرُّوح: كقولك خرجت نفس فلأن أي روحه[١][(١)]، وشاهدها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢][(٢)]، والنفس هي التي تزول بزوال الحياة.

٢. عين الشيء، ذاته، حقيقته: قتل فلأن نفسه، وأهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته والجمع من ذلك أنفس ونفوس[٣][(٣)].

٣. الدم: وكذلك تأتي النفس بمعنى الدم؛ لأنَّ النفس تخرج بخروجه[٤][(٤)].

٤. الأخ: وتأتي أيضًا بمعنى الأخ [٥][(٥)] وشاهده قوله تعالى: - ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾[٦][(٦)].

٥. الجسد: وقد استعملت كلمة النفس أيضًا بمعنى الجسد، وذلك في تعداد البشر؛ إذ يقولون ثلاثة أنفس؛ فيذكرون المعدود بقرينة إلحاق التاء بالعدد بلحاظ كون معناه الجسد أو الإنسان، ولو أراد به النفس بمعنى النفس الإنسانية، لقالوا ثلاث أنفس، ولعل استعمال النفس في الجسد استعمال مجازي بعلاقة الحال والمحل[٧][(١)].

وكلمة النفس بهذه المعاني تجمع على نفوس وأنفس، وشاهدها قوله تعالى:

١-(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٤/٢٣٣.

٢-(٢) سورة الزمر، من الآية: ٤٢.

٣-(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١٤/٢٣٣.

٤-(٤) المصدر نفسه: ١٤/٢٣٣.

٥-(٥) لسان العرب: ١٤/٢٣٣.

٦-(٦) سورة النور، من الآية: ٦١.

٧-(١) من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس وآداب العشرة، الشيخ احمد البهادلي: ١/١٥.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

أما معناها عند غير أهل اللغة فعلى النحو الآتي:

١- قدماء الفلاسفة يتعاملون مع كلمتي الروح والنفس تعامل المترادفتين؛ فيستعملونها بالمعنى الذي عرفوه بـ(الجوهر الشفاف السجين في الجسم).

٢- قدماء علماء النفس يريدون بها روح الكائن الحي؛ فعرفوا علم النفس بـ(علم الروح).

٣- علماء الأخلاق هم كغيرهم في معنى النفس، يقول الشيخ النراقي: بـ(أنها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته، وهو حقيقة الإنسان وذاته والأعضاء والقوى وآلاته التي يتوقف فعله عليها وله أسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات فيسمى روحاً لتوقف حياة البدن عليه، وعقلاً لإدراكه المعقولات وقلبًا لتقلبه في الخواطر)[١].

- **أقسام النفس**

النفس الإنسانية هي أعظم مخلوقات الله تعالى، وهي من أجلى آياته تعالى تجلت فيها عَظمة خلق الله حتى برز الله تعالى آياته فيها بقوله: -﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٢].

ويقسم علماء النفس والأخلاق النفس على ثلاثة أنواع وذلك حسبما أشار إليها القرآن الكريم: -

١- النفس الأمارة بالسوء:

النفس تتأثر بمحيطين محيط العالم الخارجي ومحيط العالم الداخلي؛ ففي

١-() جامع السعادات، النراقي، محمد مهدي، مطبعة الآداب، النجف، ط٢، ١٩٦٧م - ١٦/١.
٢- سورة فصلت، من الآية: ٥٣.

محيـط عالـم النفس الداخلي هناك وقائع كبرى تحـدث كل يوم في أعماق النفس البشريـة والكثـير من الناس عنها غافلون، ولا يشـعرون بالحـرب التي تقع بين جنـود العقـل وجنود الهـوى داخل قلوبهم، وهم لذلك في غفلـة من أمرهم ومن معرفة أنفسـهم على حقيقتها وإدراك ما حولها، ولعل ما يزيد من هذا الغموض هو تقمص الهوى لرداء العقل والصلاح، فالنفس لهذا السـبب لا تشـعر بوجود التناقض الداخلي والصراع الأبدي الذي يسـتمر مع الإنسـان حتى آخر يوم من حياته[١].

وطبيعـة النفـس بمـا تنطوي عليه مـن رغبات وشـهوات تدفع بالإنسـان نحو المفاسد والانحرافات من أجل تحصيل الملذات واشباع الرغبات، وإذا ما سيطرت الشـهوات عـلى النفـس، ولم تكـن للإنسـان إرادة رادعة، ولا مقاومـة حصينة؛ فسـتهوي به شـهواته إلى مكان سـحيق على حساب مسـتقبله، ومختلف جوانب مصلحتـه الدنيوية والأخروية.

وسميت النفس بالأمارة بالسوء؛ لأنَّهَا تدفع بصاحبها إلى إتباع الهوى وارتكاب المنكـر والانقيـاد المطلق لقوتي الشـهوة البهيميـة والغضبية؛ فهـي دائمًا تنحو منحى إشباع رغباتها المختلفة؛ كشهوة الجنس والبطن وشهوة التسلط والانتقام والظهور[٢][(١)].

والإنسـان أنانيٌّ بطبعه؛ لذلك فمن الطبيعي أن ينقاد إلى غرائزه وشـهواته؛ لأن في تربته تحقيقاً للأنانية، وحتى العقائد السماوية لم تلغِ دور الغرائز في الحياة وتأثيرها على شـخصية الإنسـان، وهذه العقائد حينما شـوقت الإنسـان إلى فعل

١- موسـوعة أهـل البيـت الكونية (النفس وأحوالهـا)، محمد طاهر القزويني، سـحر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م: ٦/٤٨.

٢-(١) دراسـات أخلاقيـة في ضوء الكتاب والسـنة، الشـيخ جميل مال اللـه الربيعي، ط١، د. ت: ص٣٦.

الخـيرات والصالحات؛ فهـي ربطت ذلك كُلّه بثوابٍ كبيرٍ يحصـلُ عليه المرء بعد أدائـه للفعل الحَسِـن، ونحن نعرف بأن الثواب السـماوي المذكـور قد تعلَّقَ أوَّلاً بتلبية غرائز الإنسـان وشـهواته وأهوائه، وقد تمَّ تصوير ذلك في القرآن الكريم وفي الكتـب السـماوية، ومـا ينتظر الإنسـان المؤمـن من لذات في الجنة بأحسـن التشـبيهات وأروع الصور[١][٢].

قـال تعـالى: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي أَنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي أَنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]. والأمـارة بالسـوء هـي التـي تمشي على وجههـا تابعة هواها.

٢- النفس اللوامة:

في إطار الصراع بين الهوى والعقل للاسـتيلاء على القلب تظهر في الوسـط قوة يستخدمها كل من العقل والهوى أحسن استخدام في سبيل تحقيق غاياتها، وهذه القـوة هي النفس اللوامة، وعملها يقوم على أسـاس تقديم العون لقائدها العقل أو الهوى، وذلك لبسـط نفوذه الكامل على القلب، ولأن أسلوب عملها وطريقتها واحـدة أن كانـت تعمل لحسـاب العقـل أو إلى جانب الهوى لذلـك جعلناها قوةً متفـردة ويمكن تجزئتهـا والفصل بين تلك المسـاندة للعقل والأخرى المسـاندة للهوى، لكن طبيعة عملها في الحالتين متشابهة لأنها تقوم بمحاسبة المرء وتلومه على سلوكه وتصرفاته [٣].

والنفس اللوامة: هي التي ترتقي بالإنسـان بعد التعلم والتربية والمجاهدة، وفي هـذه المرحلـة ربما يُخطئ الإنسـان نتيجة طغيـان الغرائز؛ لكن سرعـان ما يندم وتلومه هذه النفس، ويصمم على تجاوز هذا الخطأ والتعويض عنه، ويغسـل قلبه وروحـه بمـاء التوبة والأمل، وللوصـول إلى هذه المرحلة لا بد مـن الجهاد الأكبر،

١-[٢] النفس وأحوالها، محمد طاهر: ٦/٤٨.
٢- سورة يوسف، الآية: ٥٣.
٣- النفس وأحوالها، محمد طاهر: ٦/٤٩

والتمرين الكافي، والتربية في مدرسة الأستاذ، والاستلهام من كلام الله وسنن الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[1].

وهذه المرحلة هي التي أقسم الله بها في سورة القيامة للدلالة على عظمتها؛ حيث قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[2].

واختلف المفسرون في تفسير النفس اللوامة، أهي نفس المؤمن؟ أم نفس الكافر؟ أم هي أعم من المؤمن والكافر؟ بحيث تشمل كُلّ نفس إنسانية سواء كانت مؤمنة أم كافرة، صالحة أم طالحة.

والظاهر من مجموع آراء المفسرين هي النفس الإنسانية الحية المتيقظة التي تراقب حركة الإنسان؛ فتشعره بالندم على ما فاته من النفع والخير وتلومه على التقصير والمخالفة الشرعية.

يقول الطبرسي: «النفس اللوامة: الكثيرة اللوم، وليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيرًا، قالت: هلا ازددت، وإن كانت عملت سوءًا، قالت: يا ليتني لم افعل» [3].

ومن خلال ما مرّ نستنتج أن النفس اللوامة هي القوة الرادعة الواعية، المتيقظة التي تلوم الإنسان على ما وقع فيه من مخالفات أو تقصير.

٣- النفس المطمئنة:

هي النفس المؤمنة العارفة بالله، الموقنة بموعده ووعيده، والراضية بقضائه وقدره، المرضية عنده جلَّ وعلا، والمسلمة أمرها وجهها إليه العاملة بأمره

١- مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث، ناصر مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٣ هـ: ٢٢٥، ٢٢٦.

٢- سورة القيامة، الآية: ١-٢.

٣- مجمع البيان في علوم القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، مطبعة رويال كرافك، القاهرة، د. ط، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م: ١٠/ ٢١٤.

والسالكة سبيله، والمتجردة عمن سواه.

يقول العلامة الطباطبائي: «إن النفس المطمئنة هي التي تسكن إلى ربِّها، وترضى بما رضي به؛ فترى نفسها عبدًا لا يملك لنفسه شيئًا من خير أو شر، أو نفع أو ضر، ويرى الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر، أو أي نفع وضر، ابتلاء وامتحان إلهي؛ فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر؛ بل هو في مستقر من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط) [١][(١)].

وهذه المرحلة هي التي توصل الإنسان بعد التصفية والتهذيب الكامل إلى أن يسيطر على غرائزه، ويروضها؛ فلا تجد القدرة للمواجهة مع العقل والإيمان؛ لأن العقل والإيمان بلغا درجة من القوة بحيث لا تقف أمامها الغرائز الحيوانية وهذه هي مرحلة الاطمئنان والسكينة، وهذا هو مقام الأنبياء والأولياء وأتباعهم الصادقين، أولئك الذين تدارسوا الإيمان والتقوى في مدرسة رجال الله، وهذبوا أنفسهم سنين طوالاً، وواصلوا الجهاد الأكبر إلى آخر مرحلة [٢][(٢)].

والخلاصة أن النفس المطمئنة هي التي ترجع عند كل هول يعصف بها إلى ربها راضية مرضية لا تكتفي بغيره ولا تسترشد بسواه.

- **معرفة النفس**

إن معرفة النفس من أهم ما أكدت عليه التعاليم الإسلامية وعدته طريقا إلى معرفة الله تبارك وتعالى، ونعني بمعرفة النفس معرفة الإنسان لنفسه بما تحتوي من قوى وطاقات، وأبعاد روحية وفكرية؛ ليعرف إلى أين يوجه تلك

١-(١) الميزان، الطباطبائي: ٢٠/٣٢٣.

٢-(٢) مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث، مكارم الشيرازي: ٢٢٧، ٢٢٨.

الطاقـات وكيـف يتـصرف بها؟ وكيف يهذبهـا ويزكيها؟ وبذلـك يعرف مقامه وموقعـه في عالـم الوجـود وغاية وجوده ومن خلال ذلك يعـرف طبيعة النفس ومـا تتسـم به من ضعف وعـدم اسـتقلالية، وأنها كائن مخلـوق لا يقوم بذاته فقير ومحتاج إلى غيره، وهذه المعرفة ليسـت من قبيل معرفة الهوية الشـخصية، مـا اسـمه؟ واسـم أبيـه؟ وفي أي بلـد ولـد؟ وإلى أي حكومة ينتمـي؟ وإنما هي معرفـة بأسرار النفس وقواهـا، وطاقاتها وما ينتابها مـن قوة، أو ضعف ومن خلال ذلك يعرف الإنسـان أنه موجود مسـؤول عن وجوده في هذه الدنيا؛ فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آيات نفسه وشاهد فقرها إلى ربها، وحاجتها في جميع أطوار وجودها، وجد أمرًا عجيبًا وجد نفسـه متعلقة بالعَظمة والكبرياء متصلة في وجودهـا، حياتها، وعلمها، وقدرتها، وسـمعها، وبصرها، وإيراداتها، وحبها وسائر صفاتها وأفعالها بما لا يتناهى بهاءً، وسناءً، وجمالاً، وجلالاً، وكمالاً من الوجـود والحيـاة والعلم، والقدرة... وغيرهـا من كمال[١][(١)].

لأنَّ جهل الإنسان لنفسه مُنشِئُ لكثير من المفاسد والضلالات وأن أكثر النزاعات مـع النفس ناشـئة من جهـل النفس؛ فلأننـا لا نعلم كيف ينبغي لنـا أن نتعامل مع أنفسـنا، نقع في مشـقة كبيرة وأن الأمراض الأخلاقية والفكرية والاسـتمرار عـلى الموبقـات يعود سـببه إلى عدم معرفة الإنسـان قيمة نفسـه، فأننا لا نعرف أنفسـنا، ويتبـع ذلك لا نعـرف عيوبنا وهذا من أكبر العيـوب لأن معرفة النفس مقدمة لبنائها وإصلاحها فما دمنا لا نعرف أنفسنا فسوف لا نتمكن من تهذيبها وتزكيتهـا، ومن هنا كانت معرفة النفـس ضرورية للجميع [٢][(١)].

إن مراقبـة النفـس، وملاحظـة مـا يجـري في داخلهـا، والتعرف عـلى غرائزها

١-(١) تفسير الميزان، الطباطبائي: ٦/ ١٧١.

٢-(١) الأخلاق وآداب التعامـل في الإسلام، د. علي قائمـي، دار البلاغـة للطباعـة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م: ص٢٤٤.

وطبائعها، ونزعاتها وميولها، وعواطفها وقِواها، وكل ذلك يُمكن صاحبها، من أن يَعلـم الحقائـق الكبرى في الحيـاة، ويدرك كنه الخير والـشر والعلم الصحيح سـبيل اليقين الثابت ووسـيلة الخُلق الفاضل، وكل دعـوة تخاطب النفس تكون هـذه الدعـوة في أشـد الحاجـة إلى معرفـة النفـس، وكل منهج يوضـع لتربيتها وتهذيبها لا يُؤتى ثماره المرجوة إلا إذا بنى أساسًـا على دوائها وعلاجاتها؛ فإذا بُنـي المنهج على الجهـل بالنفس جاء متهافتًا متداعيًا؛ لأنه يصف العلاج دون أن يشخص المرض[١][٢].

إن معرفتنـا بأنفسـنا قد تكون من أوضح المعارف ومـن أخفاها في وقت واحد، بيد أن عرفانها واجب على كل كائن ذي وعي وتمييز وبصيرة؛ لأنها مصدر سائر المعارف والعلوم حتى العلم بالله، أما الجهل بها وبأحوالها وبسياستها، فهو نبع كل ضعـف وكل نقـص وكل خيبة في هذه الحياة الآجلـة، وفوق هذا وذاك؛ فإن معرفة النفس سر القوة والسعادة في الحياة؛ لأن النفس هي المجلي الأعظم لسائر ألوان المعرفة من علم وفلسفة وفن ودين [٢][٣].

وإن الإنسـان إذا أدرك نفسـه التي هي حقيقة متعلقة بالله؛ فإنه عند ذلك سيرى اللـه بعين القلب، ويؤمن قلبيًّا بتلك الحقيقـة المحضة، والوجود الصرف، ويعبد ذلك الكمال اللامحدود [٣][١].

فلو فكر الإنسـان وقال إنني لم أكن، وخُلقتُ وخلقي هذا مرتبطٌ بالمبدأ والمعاد؛ فسـوف يرى نفسه عين الربط بالله سـبحانه، وليس هناك شيء آخر يربط بينه

١-[٢] القرآن والطبائع النفسـية، علي محمد حسـن العماري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، اللجنة العامة للقرآن والسنة، د. ط، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦ م: ص ١٤.

٢-[٣] شرح رسـالة الحقـوق للإمـام زيـن العابديـن (ليـه السلام)، السـيد حسـن السـيد علي القبانجـي، مطبعـة الآداب النجـف، د. ط، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: ١/ ٧١-٧٢.

٣-[١] العقيـدة من خلال الفطرة في القرآن، الشـيخ جـوادي املي، دار الصفوة، ط١، ١٤١٥هـ: ص ٢٢٩.

وبـين الله، ويجعله طرفًا، وهذا بدوره نوع من الاسـتقلال؛ فإنه حينئذ لا يغفل أبدًا عن شهود المبدأ وعن ذكر المعاد، ولا يمكن للإنسان أن يعرف نفسه، وينكر اللـه، أو أن يكون ذاكرًا لنفسـه ومُنكرًا للقيامة لقوله تعـالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١][٢].

إن الدلائل في آفاق السماء بسير النجوم وجريان الشمس والقمر فيها أتم التدبير، وفي أنفسـهم جعـل كل شيء لمـا يصلـح لـه من آلات الغـذاء ومخـارج الأنفاس، ومجـاري الدم، وموضع العقل والفكر، وسـبب الإفهـام وآلات الكلام[٢][٣].

وقـال تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٣][٤]، أو لـم يتفكروا في أنفسـهم؛ فيعلموا أن الله لـم يخلق السـموات والأرض وما بينهمـا إلا بالحق بمعنى الاسـتدلال بهما على توحيده وأجل مسمى للأشياء التي للعباد فيها مصلحة بالاعتبار به إذا تصوروا ذلك في الإخبار عنه أنه مع عظمه محصل بتسـمية تنبئ عنه، لا يتأخر ولا يتقدم بالأوصـاف التـي ذكرها الله تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه شيء منه[٤][١].

وقـال تعـالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥][٢] وفي أنفسـكم أفـلا تتفكرون بأن تروها مصرَفه من حـال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفًا؛ فصرتم أحياءً، ثم كنتم أطفالاً؛ فصرتم شـبابًا، ثم صرتم كهولاً وكنتم ضعفاء؛ فصرتم أقوياء، فهلا دلَّكم ذلك على أنَّ لها صانعًا صنعَهَا،

١-(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

٢-(٣) التبيان، الطوسي: ٩/١٣٨-١٣٩.

٣-(٤) سورة الروم، من الآية: ٨.

٤-(١) الطوسي، التبيان: ٨/٢٣٢.

٥-(٢) سورة الذاريات، من الآيتان: ٢٠-٢١.

ومدبِّـرًا دبَّرهـا يصرفهـا على مـا تقتضيه الحكمـة، ويدبرها بحسـب ما توجبه المصلحة[١].

- **وسائل معرفة النفس:**

أن معرفـة وجـود النفـس الإنسـانية، لا تتطلـب بحثًا، أو اسـتدلالاً؛ بـل يكفي لحصولهـا مجـرد الالتفات إلى الذات من دون حاجة إلى أكثر من اسـتحضار(أنا أفكـر إذن أنـا موجـود)[٢]، وهذا المقـدار من الالتفات إلى النفـس لا يحتاج حتى إلى الحـواس الخمـس أو التفكير بأكثر من الحس الباطني بأني أفكر ولذا سـمي العلم بوجود النفس بالعلم الحضوري مقابل العلم المسمى العلم الحصولي، وهو مـا يحتاج المرء في تحصيله إلى وسـائل، ووسـائله الحـواس والفؤاد وما يحصل بالحـواس مـن العلم يسـمى العلم التصـوري وما يحصل بالفؤاد يسـمى العلم التصديقي، وكلا العلمين كسـبي حصولي[٣].

واليهما أشار القرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[٤]، حيث تلفتنا الآية الكريمة إلى أن العلم الحصولي بقسـميه التصوري والتصديقي يحتـاج إلى كسـب بالحواس والفـؤاد ومن دونهما لا نعلم شـيئًا، ومعنى هذا أن العلـم الحضـوري حيث لا يحصل بأداة من حواس، أو فؤاد، ولم يكن مكتسـبًا؛ فهو ليس علمًا، وإن سـميّ بالعلم؛ فعلى نحو المسـامحة أو التجوز[٥].

ويعزز هذه الإفـادة من الآية الكريمة قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم

١- التبيان، الطوسي: ٩/ ٣٨٥.

٢-(٢) الموسـوعة الفلسـفية المختصرة، ديـكارت، المترجمة عن الإنجليزيـة، نقلها نجيب محمود وآخـرون، مكتبة الأنجلو المصريـة، القاهرة، د. ط، د. ت: ص ١٤١.

٣-(٣) من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس ظ: احمد البهادل:١/ ٣٤.

٤-(٤) سورة النحل، الآية: ٧٨.

٥-(٥) من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس احمد البهادلي: ١/ ٣٥.

مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[١]؛ فقوله تعالى لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إخبارٌ منه تعالى أنه أنما يرده إلى أرذل العمر يرجع إلى حال الطفولة بنسيان ما كان عَلِم للكبر، فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علم [٢].

ونفت الآية الكريمة العلم عمن وصل إلى أرذل العمر نفياً مطلقاً كما نفته الآية السابقة عمن هبط إلى الدنيا من بطن أمه نفياً مطلقاً قبل جعل وسائل العلم له، والحال

أن من يبلغ أرذل العمر لا يفقد العلم بوجود نفسه وبالإحساس الباطني بها حتى ولو فقد عقله وكل حواسه الظاهرية، ولعل الجنين ما قبل استخدام حواسه وعقله كذلك ومع هذا فقد نفى عنهما الله سبحانه العلم نفياً مطلقاً لوقوع النكرة في سياق النفي[٣] وإفادة العموم من هكذا استعمال ومن هذا التقريب يتضح أن ما يسمى بالعلم الحضوري هو ليس علماً على نحو الحقيقة[٤].

فالإنسان منذ أن عرف نفسه، بدون كسب معرفة بحدود الإحساس الذاتي بوجودها، دأب على معرفة المزيد عنها وعن شؤونها وأحوالها، وكثرت تساؤلاته، تساءل عن ماهيتها، وعن قواها، وعن أحوالها، وعن فنائها وخلودها.

وهناك بعض المناهج المتبعة في الدراسات النفسية: -

١- المنهج المادي: وهو الذي يدرس النفس بصفتها مجموعة خواص طبيعية وادراكات عصبية ناتجة من التأثير والتأثر بين المادة الخارجية وبين المركب العصبي، فهي وحدة اجتماعية لا حقيقية. وهذا المنهج أثار النفس فقط.

١-[٦] سورة النحل، الآية: ٧٠.

٢-[٧] التبيان، الطوسي: ٤/ ٤٠٥.

٣- النكرة (شيئاً) والنفي (لا)، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، ظ: معالم الدين وملاذ المجتهدين، جمال الدين الحسن زين الدين العاملي (ت: ١٠١١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١٢، د. ط: ص ٤٥.

٤- الميزان، الطباطبائي: ١٢/ ٣١٢.

٢- **المنهـج الفلسـفي:** وهو ما يتنـاول دراسـتها (النفس) لمعرفـة حقيقتها، وصفاتهـا، وآثارهـا؛ لأنَّ الفلسـفة من ناحية الاشـتقاق يعني حـب الحكمة[١]. والحكمـة كمـا يقـول الفارابـي: (اسـتكمال النفس الإنسـانية بتصـور الأمور والتصديـق بالحقائـق النظريـة والعمليـة عـلى قـدر الطاقة الإنسـانية) [٢].

٣- **المنهج الذاتي**: وهو المنهج الذي يعقد المعرفة النابعة من النفس ذاتها، بعد الخلوة والسلوك الذي يهذبها من جميع الشوائب الواردة إليها من خارجها[٣].

٤- **المنهـج الأخلاقـي:** وهو ما يبحث عـن المُثل العليا في صفـات النفس، التي يهتدي بها الإنسان في سلوكه وتصرفاته، فهو إذن يهتم بدراسة الملكات النفسية وقواها من اجل تهذيب النفس من رذائلها وترسـيخ فضائلها [٤].

٥- **المنهـج الدينـي:** وهـو ما يسـتمد معرفة النفـس وأحوالهـا وصفاتها وآثارهـا مـن النصـوص الدينية [٥].

لـو تتبعنا المناهج والطرق التي اتبعتّها في البحث للتوصل إلى اكتشـاف القوانين النفسية نجد أن المنهج المادي طرقه في البحث هي الطريقة التجريبية والطريقة التبعية أو الوسـائل المساعدة في المجالات النفسية لوجدناها جميعًا لا توصلنا إلى يقين في أي نتيجة من نتائجها[٦].

وإلا لَمـا بقيـت جميـع نتائجها حتى اليـوم في عداد النظريات، ولعل خير شـاهد عـلى هـذا ما بَين علماء النفس قديمًـا وحديثًا من الاختلاف الكبير في كُلِّ فرع من

١- رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة: ص١٧٢.

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين ابي العباس احمد، ابن أبي أصيبعة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م: ٣/ ٢٢٣.

٣- من هدى النبي و العترة، احمد البهادلي: ١/ ٣٧.

٤- من هدى النبي و العترة، احمد البهادلي: ١/ ٣٧.

٥- المرجع نفسه: ١/ ٣٧

٦- ينظر: علم النفس، حسن الرحيم: ١٣-٣٢.

فروع علم النفس، مثل علم النفس العام، وعلم علم النفس التربوي، وعلم النفس الصناعـي، وعلم النفس التجاري، وعلـم النفس الجنائي، وعلم نفس الطفل[١].

أما المنهج الفلسفي؛ فهو الآخر لم يفلح في طرقه الطبيعية والتجريبية والملفّقة منهما في تحقيق قوانين ثابتة لمعرفة النفس وأحوالها، ولم تسـلم نتائج وأبحاث هذا المنهج بجميع طرقه عن النقل والمؤاخذة.

فمنـذ عهد ما قبـل الميلاد وكذلك فلاسـفة القرون الوسـطى والحديثة منذ ذلك العهد حتى اليوم لا يزال الخلاف محتدماً بين أرباب هذا المنهج في حقيقة النفس وفي القوانين التي تحكـم تصرفاتها وأحوالها [٢].

وأمـا المنهج الأخلاقي؛ فمهمة السـلوك بالنفس إلى الاتصـاف بالفضيلة وتجنب الرذيلة، فهو في الحقيقة مرحلة في طريق معرفة النفس إذا تنزهت عن شوائبها، فقـد تحصـل به المعرفة وقـد لا تحصل، ومع هـذا القصور في هـذا المنهج؛ فإن وسـائل تهذيـب النفس فما اختلف فيها الأخلاقيون تبعـاً لاختلاف خلفياتهم في معرفة النفس[٣].

أمـا المنهـج الذاتي فقد أوقع ذويه في أوهام وخرافات ظنوا أنها مكاشـفات، وما هي إلا ما تنطوي عليه النفس من أفكار ظنوا أنها حقائق وهي إلى الأحلام أقرب منها إلى الواقع الخارجي[٤].

وبقـي من أهم المناهج المنهج الديني، وهو ما يسـتند في معرفة النفس وأحوالها إلى نصوص عن خالقها، أو إلى من أوحى إليه خالقها، وهو بعد التسليم والقطع بصـدور هـذه النصوص عنهما والقطع بعصمة مصدرها، لا يبقى مجال للشـك

١- ينظر: المرجع نفسه: ٣٣-٤٢.

٢- من هدى النبي و العترة، احمد البهادلي: ١/٤٦.

٣- المرجع نفسه: ١/٤٦.

٤- من هدى النبي و العترة، احمد البهادلي: ١/٤٦.

والـتردد في صحـة المعـارف النفسـية التي دلت عليهـا هذه النصوص، فمسـألة معرفة النفس الإنسـانية تختلف عن المسـائل التي تنتهي سلبيات الخطأ فيها في الحياة الدنيا بانتهائها، وإنما هي في رأي المنهج الديني وغيره من المناهج الأخرى مسـتمرة بعد هذه الحياة، وخالدة بما للخلود من معنى إلا أن يشـاء الله، وهي سـعيدة أو شقية وفق تزكيتها، أو تدنيسـها قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1].

وقـد يكـون معرفة الدين والتوحيد عن طريق الفطرة؛ فإنَّ الله سـبحانه وتعالى أودع في النفس البشرية هذه الفطرة السـليمة، وغرس في كل نفس منذ تكوينها في عالم الأجنة غرائزَ وميولاً ونزعات لتصدر عنها حقائق وأخلاق، وأفعال كلها طيب، وكلها ضروري للإنسان في حياته الدنيا، وفي العمل للحياة الآخرة، وليس هـذه القـوى غريـزة أو نزعة لا يصدر عنهـا إلا الشّر، أي ليـس في أصل الفطرة غريـزة يصـدر عنها الـشّر، ولا يصدر عنها الخير، بـل كل الغرائز معدة لصدور الخير عنها[2].

وذلك ما يدلنا عليه قوله تعـالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[3].

فالفطـرة هـي الديـن القيم، وما دامت القـوى المبثوثة في النفـس التي عبر عنها بالفطـرة هـي الديـن القيم فمعنـى ذلك أن الفطـرة مصدر للفضائـل والعقيدة السليمة.

١- سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.

٢- القرآن والطبائع النفسـية، علي محمد حسـن العماري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦م: ٢/٢٢، ٢٣.

٣- سورة الروم:، من الآية: ٣٠.

وميزة المنهج الديني: -

١. عصمة مصادره.

٢. ٢- شموليته لمعرفة النفس جوهرًا وصفاتٍ وأحوالاً وآثارًا

٣. ٣- عمـق ما ورد فيه في معرفة النفـس لأن المعرّف لها هو صانعها وصانع الشيء اعرف به وبشؤونه من غيره.

٤. تغطيـة المعارف النفسـية لجميـع مراحل النفس أي مرحلة مـا قبل الحياة الدنيا أو ما يسـمى بعالم الذر، ومرحلة الحياة الدنيا، ومرحلة ما بعد الدنيا إلى يوم القيامة أو ما يسمى بعالم البرزخ ومرحلة القيامة والخلود فيهم في الجنـة ابتـداءً أو في العذاب ابتداءً أوفي الجنة ابتداءً ثم الجنة خالداً[١].

وقد يحصل بعض الاختلاف في بعض جزئيات المعرفة النفسية عند بعض متبعي المنهج الديني ولكن منشـأ هذا الاختلاف هو تحريف بعض نصوصه، أو تفاوت فهم الدارسين لها، وهذا غير ضار في صواب أصل المنهج، وغير مخل بأساسيات نتائجه المتفق عليها.

١- من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس، احمد البهادلي: ١/٤٧.

المبحث الثاني
النفس ومعرفة ما لها، وما عليها

بـيّن الله سـبحانه وتعالى في غير موضع من القـرآن أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال إلا بأن يكون الله وحده معبودها ومحبوبها الذي لا أحب إليها منه، ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب، فلا بد أن يكون العابد محباً للإلـه المعبـود كمال الحـب، ولا بُدَّ أن يكون ذليلاً كمال الـذل، وهما لا يصلحان إلا لله وحده، فهو الإله المستحق للعبادة الذي لا يستحقها إلا هو، وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والتوكل والدعاء بما لا يقدر عليه إلا الله، والنفوس محتاجـة إلى اللـه مـن حيث أنـه معبودها الذي هـو محبوبها، ومنتهـى مرادها وبغيتها من حيث هو ربها وخالقها.

إنَّ الاسـتقامة التعبديـة والتي هي ثمرة من ثمـار الرقابة الأخلاقية بكل أنواعها ووسـائلها، تتضمن أداء الفرائض والعبادات بأنواعها كلها ظاهرها وباطنها لله وحـده لا شريـك له، لا يجعل فيها شـيئاً لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسـل، فضـلاً عـن غيرهما، وهـذا التوحيد تضمنـه قولـه تعـالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٤].

والاستقامة التعبدية هي التعبير الحقيقي عن معنى قول: لا إله إلا الله.

١- سورة الفاتحة، الآية: ٥.

٢- سورة هود، من الآية: ١٢٣.

٣- سورة مريم، الآية: ٦٥.

٤- سورة الحجر، الآية: ٩٩.

فـإنَّ الإله هـو المألوه المعبـود بالمحبة، والخشـية، والإجـلال والتعظيم، وجميع أنـواع العبـادة، ولأجل هـذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسـلت الرسـل، وأنزلت الكتـب، وعلى أسـاس هذا كله افترق النـاس إلى مؤمنين وكفـار، فريق إلى الجنة وفريـق إلى النـار، وهو أول أمر في القرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١].

وإنَّ هذه الاسـتقامة تسـتوجب الإخلاص في العبادة، وأن يعي كل مسـلم أن الله جل وعلا هو المتفضل عليه بهدايته لهذا السبيل المستقيم قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [٢]، وكذلـك أن يداوم المسـلم على شـكر هذه النعمة العظيمة وهي نعمة الإسلام وسائر نعم الله الأخرى التي لا تعـد، قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [٣]، ويترتب على كل هذا التزام الطاعات وترك المنكرات ليفوز المسـلم برضا رب الأرض والسماوات.

وفيما يأتي أقوال الإمام السجاد ع في تزكية النفس الإنسانية.

١- الخلق الحسن مظنة محبة الله تعالى للعبد.

يقول الامام السجاد عليه السلام: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّـهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّـهِ رَغْبَةً، وَإِنَّ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَـدُّكُمْ خَشْـيَةً لِلَّهِ وَ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْسَـعُكُمْ خُلُقاً، وَإِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْـبَغُكُمْ عَـلَى عِيَالِهِ، وَإِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عَلَى اللَّهِ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ)[٤].

٢- تزكية النفس أساس كل خير.

١- سورة البقرة، الآية: ٢١.

٢- سورة الحجرات، من الآية: ١٧.

٣- سورة النحل، من الآية: ١٨.

٤- تحف العقول، النص: ص٢٧٩.

قَالَ السجاد عليه السلام: (الْخَيْرُ كُلُّهُ صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ)[١]؛ فالحديث ظاهر في ان صيانة النفس عن الهوى واتباع سبل الصلاح فيه كل الخير والالف واللام في الخير دلالة على العموم. وقال عليه السلام في حديث آخر قريب من هذا المعنى: (ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَا كَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ، وَمَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَاراً، وَ الْحَذَرُ لَكَ دِثَاراً، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَيِّتٌ، وَ مَبْعُوثٌ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابا)[٢].

٣- تجنب المعاصي، والفوز برضى الله عز وجل.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (الْعَقْلُ دَلِيلُ الْخَيْرِ وَالْهَوَى مَرْكَبُ الْمَعَاصِي)[٣]، إذ مَن يتجنب الهوى فلا يركب المعاصي، وهو دلالة باللازم؛ فإن مَن لجم هواه بعقال التدبر؛ فلا يركب المعاصي.

٤- تزكية النفس موجبة للمنح الإلهية.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي وَجَلَالِي وَبَهَائِي وَعُلُوِّي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلا جَعَلْتُ هَمَّهُ فِي آخِرَتِهِ وَغِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَ كَفَفْتُ عَلَيْهِ صَنِيعَتَهُ، وَضَمَّنْتُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ رِزْقَهُ وَآتِيه [أَتَتْهُ] الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)[٤]. وقال عليه السلام: (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا)، وَقِيلَ لَهُ: (مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَراً؟ فَقَالَ عليه السلام: مَنْ لَمْ يَرَ الدُّنْيَا خَطَراً لِنَفْسِه)[٥].

١- تحف العقول، النص: ص٢٧٨.

٢- تحف العقول؛ النص: ص٢٨٠.

٣-«إرشاد القلوب إلى الصواب، للديلمي: ١/ ٥٩.

٤- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، النص: ص١٦٨.

٥- بحار الأنوار، ط – بيروت: ٧٥/ ١٣٥.

٥- التزكية دليل على الذنوب، فبها يتجنب الوقوع بالذنوب.

يقول الامام السجاد عليه السلام: (إذا نصح العبد لله في سرّه أطلعه الله على مساوئ عمله، فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس)[١]. فالذي يتأمل يجد أنَّ ارشاد الله عز وجل له إلى عيوبه وفعاله السيئة من النعم العظام والتوفيق؛ لان التعرف الى ما لا يريده الله ليس متاح لكل إنسان.

٦- إن العمل خلاف التزكية مضر للدين وممحق له، وان قيمة المرء بدينه، قال الامام السجاد عليه السلام: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَمَا أَعْلَمُ إِلا كَثِيرًا مِنْكُمْ قَدْ نَهَكَتْهُ عَوَاقِبُ الْمَعَاصِي فَمَا حَذَرَهَا وَ أَضَرَّتْ بِدِينِهِ فَمَا مَقَتَهَا)[٢].

٧- لتزكية طريق إلى التطهير من الذنوب، ومعراج السالك، قال الامام السجاد عليه السلام: (وأن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب)[٣].

٨- التزكية أساس قبول الأعمال، فمن لم تكن نفسه طاهرة؛ فإن ما يأتي به من أعمال لا يقبل منه، قال الإمام السجاد عليه السلام: (ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك)[٤].

٩- إن العاقبة الحسنة هي مصير من زكيت نفسه، وطابت قال الإمام عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: (طُوبَى لِمَنْ طَابَ خُلُقُهُ وَطَهُرَتْ سَجِيَّتُهُ، وَحَسُنَتْ عَلانِيَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ

١-((بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، جعفر عباس الحائري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ:١٦٧.

٢- تحف العقول، النص: ص٢٧٣.

٣- الصحيفة السجادية: ص ٢٣٢.

٤- أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص١١٩.

مِنْ قَوْلِهِ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِـهِ)[1].

المطلب الأول: أداء الفرائض.

إنَّ بناء الإسـلام يستمد قوته من ثبات أسسـه وأركانه، والتي هي فرائضه، كما أخبر بذلك النبي الأكرم صلى الله عليه وسـلم: ((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمد رسـول الله، وإقام الصلاة، وإيتـاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))[2].

وقـال رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم: ((إن اللـه تعالى فـرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تقربوها، وترك أشياء غير نسـيان؛ رحمة لكم، فلا تبحثوها)))[3].

فـإن كان مسـتقيم العقيـدة فإنـه يؤديهـا على وفـق مـا أرادها الله ورسـوله، دون تفريـط أو تقصـير فيهـا، سـنتكلم عن هـذه الفرائض بشيء مـن الإيجاز.

أولاً: الصلاة

في هذا المقام لا نود أن نتكلم عن الصلاة من حيث أركانها وشروطها ومبطلاتها وفروضها ومندوباتها؛ فإن كتب الفقه تعج بها، وبإمكان أي مسلم أن يراجعها، لكن الذي نتناوله عنها من حيث:

١- مكانتها عند الله جل وعلا مما ورد في القرآن الكريم

لمكانة الصلاة عند الله تعالى وعظمتها جعلها منهجاً لأنبيائه:

• فعن لسـان سـيدنا إبراهيم **(عليه السـلام)** قـال تعـالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ

١- تحف العقول، النص: ص ٢٤٩.

٢- صحيح البخاري، كتاب، الإيمان، باب ـ قول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بني الإسلام على خمس)): ١/ ١١، برقم (٨): صحيح مسلم، كتاب الإيمان ـ قول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ((بني الإسلام على خمس)): ١/ ٤٥، برقم (١٦)، واللفظ للبخاري.

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٩/ ١٧، الإبانة الكبرى لابن بطة: ١/ ٤٠٧.

الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [١].

• وعن سيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٢].

• وعن سيدنا إسماعيل (عليه الصلاة والسلام) أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [٣].

• إنها وصية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ﴾ [٤].

• إنها أمر الله تعالى لسيدنا موسى وأخيه (عليهما الصلاة والسلام)، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥].

• إنها وصية لقمان رحمه الله لابنه، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [٦].

• إنها من ضمن الميثاق الذي ألزمه الله تعالى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [٧].

• إنها شرط معيته سبحانه وتعالى مع بني إسرائيل: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ [٨].

• إنها أسمى وأجل وأعظم شعائر أمة الحبيب المصطفى (عليه الصلاة والسلام)

١- سورة إبراهيم، من الآية: ٤٠.
٢- سورة إبراهيم، من الآية: ٣٧.
٣- سورة مريم، من الآية: ٥٥.
٤- سورة مريم، من الآية: ٣١.
٥- سورة يونس، الآية: ٨٧.
٦- سورة لقمان، من الآية: ١٧
٧- سورة البقرة، من الآية: ٨٣.
٨- سورة المائدة، من الآية: ١٢.

وردت عشرات الآيات التي تبين فرضيتها على الأمة الإسلامية منها:

• قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [١].

• وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٢].

• وقال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [٣].

• وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٤].

وقد وردت عدة روايات تؤكد مدى حرص الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ على تأدية فريضة الصلاة حق الأداء؛ ليوصل رسالة للمتلقي المعاصر بضرورة إيلائها أهمية كبرى في حياته؛ فلا قوام لحياته من دونها.

وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما؛ إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركه الريح منه.[٥]

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة تغير لونه، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا)[٦].

وعن عبد الله بن أبي سليمان: كان علي بن الحسين «ع "إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي؟[٧]

١- سورة العنكبوت، من الآية: ٤٥.

٢- سورة المجادلة، من الآية: ١٣.

٣- سورة الأحزاب، من الآية: ٣٣.

٤- سورة المنافقون، الآية: ٩.

٥- الكافي: ٣ / ٣٠٠ / ٤ عن جهم بن حميد عن الإمام الصادق (عليه السلام).

٦- الكافي: ٣ / ٣٠٠ / ٥ عن الفضيل بن يسار و ٨ / ١٦٣ / ١٧٢ عن حفص بن البختري وسلمة بياع السابري وفيه « حتى يعرف ذلك في وجهه « مكان « فإذا سجد... "، التهذيب: ٢ / ٢٨٦ / ١١٤٥ عن الفضيل بن يسار.

٧- الطبقات الكبرى: ٥ / ٢١٦، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٢، حلية الأولياء: ٣ / ١٣٣ عن

وعـن عبـد الله بن محمـد القـرشي: كان علي بن الحـسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يغشـاك؟ فيقول: أتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه؟!.

وعـن الباقـر عَلَيْهِ السَّلَامُ قـال) : كان علي بـن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا قـام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبدا[١].**ثمارها**

إنَّ ما يحز بالنفس أنك تجد كثيرًا من المسلمين يؤدون الصلاة، لكنهم كثيرو الشكوى من سوء الحال، وعدم الارتياح، وأنهم بحاجة لكذا وكذا، وأن ابنه كذا، وزوجته كذا، وجاره كذا، إنما أسباب كل هذا راجعة إلى عدم تأديتهم الصلاة على وجهها المطلوب، وإنهم لم يحسنوا الرقابة على أنفسهم، ولم تستقم عبوديتهم لله، لذلك يشكوا لغيره ويسألوا غيره عن حاجاتهم الدنيوية، وغاب عن أذهانهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [٣]

وعـن النبـي (صلى الله عليه وسـلم)، قال: ((أقرب ما يكـون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء))[٤]، ولقربه منا جل وعلا نرى أن كل آيات الدعاء الواردة في القرآن الكريم لم تبدأ بـ (يا) النداء لأنها تستعمل للبعيد.

لذا فإن ثمار الصلاة كثيرة، وقد أشـار إليها القرآن الكريم والسُّـنة النبوية، فهي

العتبي عن أبيه.

١- الخصال: ٥١٧ / ٤ عن حمران بن أعين، المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ١٥٠.

٢- سورة البقرة، من الآية: ١٨٦.

٣- سورة العلق، من الآية: ١٩.

٤- صحيـح مسـلم، كتاب الصلاة، بـاب ما يقال في الركوع والسـجود: ١ / ٣٥٠، برقم (٤٨٢): ٢/ ٤٩، برقم (١٠١٧).

مـن صفـات المتقين، ومـن يؤديها بحقها لا خـوف عليه ولا حـزن، ولا يعد من الغافلين، وتمحى بها سـيئاته، وسـيرضيه الله جل وعلا، وسيورث الأرض، وله الهدى والبشارة، وإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وسيكون من المفلحين، وهي علامة تميز وتفاضل له في الدنيا، إنها تكثر الحسـنات وتمحو السـيئات وترفع الدرجـات، وإنهـا تمنحه عفو الله، وإنها صلة العبد بربـه، وإنها نور للمؤمن في الدنيـا والآخرة، وهي سـبب دخوله الجنة وبعده عن النـار. وفي كل ذلك وردت آيات كريمة وأحاديث شريفة.

وفي هـذا الصـدد نذكر هذه الرواية التي تدلل على أن من أبرز ثمرات الصلاة هو اليقين الذي تمتلأ به جوارح الإنسـان، والصبر على الطاعة، حيث خل أبو جعفر - ابنه - (عليهما السلام) عليه؛ فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قـد اصفر لونه من السـهر، ورمصت عيناه من البـكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السـجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

فقال أبو جعفر عليه السلام (فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة لـه، وإذا هو يفكـر، فالتفت إليَّ بعد هنيهة من دخولي؛ فقال: يا بني، أعطني بعض تلـك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شـيئًا يسيرًا؛ ثم تركها من يده تضجّرًا، وقال: مَنْ يقوى على عبادة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١].

وعـن ابن شهرآشـوب - في وصف صلاة الإمام زيـن العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ :كان قائما يـصلي، حتـى وقف ابنه محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو طفل - إلى بئر في داره بالمدينة بعيدة القعر، فسقط فيها، فنظرت إليه أمه؛ فصرخت، وأقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث، وتقول: يا ابن رسول الله، غرق ولدك محمد، وهو لا ينثني

١- الإرشاد: ٢ / ١٤٢ عن سعيد بن كلثوم.

عـن صلاته، وهو يسـمع اضطـراب ابنه في قعر البئر، فلما طـال عليها ذلك. قالت حزنًـا على ولدهـا: ما أقسى قلوبكم يا آل بيت رسـول الله، فأقبـل على صلاته ولم يخـرج عنهـا إلا عن كمالها وإتمامها، ثم أقبل عليهـا، وجلس على أرجاء البئر ومد يـده إلى قعرهـا، وكانت لا تنال إلا برشـاء طويل، فأخـرج ابنه محمدًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ على يديه يناغي، ويضحك لم يبتل له ثوب ولا جسد بالماء، فقال: هاك يا ضعيفة اليقين بالله، فضحكـت لسلامـة ولدها، وبكت لقوله: يـا ضعيفة اليقين بالله، فقال: لا تثريـب عليـك اليـوم لو علمـت أني كنت بين يـدي جبار لو ملت بوجهـي عنه لمال بوجهه عنـي، فمن يرى راحمًا بعده[١].

ثانياً: الصوم.

وردت نصـوص كثـيرة في فرضيـة الصوم وأهمية صيام شـهر رمضـان، منها قـول اللـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٢].

تبـين هـذه الآية أن الصيام كان مفروضًا على الأمم التي سـبقت الإسـلام، وقد قيل أنه كان مفروضًا على النصارى، وقال آخرون على جميع أهل الكتاب، وقال بعضهـم: بل كان على كل النَّاس[٣].

وتتجلى مكانة الصيام عند الله تعالى بأنه نسبه إليه سبحانه وتعالى.

• ففي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه قال رسـول الله صلى اللـه عليه وسـلم: ((قال الله: كل عمل ابن آدم لـه إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سـابه

١- المناقـب، لابـن شهرآشـوب:٤ / ١٣٥ نـقلاً عـن كتـاب الأنـوار، الدمعة السـاكبة: ٦ / ٦٣؛ الهداية الـكبرى: ص٢١٥ نحوه.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

٣- ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٣/ ٤١٠.

أحـد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم))[١].

• وأخرج أحمد في مسنده قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):((أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمة قبلهم، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ويصفد فيه مردة الشـياطين فلا يخلصوا إلى ما كان يخلصون إليه في غيره ويغفر لهم في آخـــر ليلة قيل يا رسول الله أهي ليلـــة القدر قال لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله))[٢].

أما الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسـانك وسـمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك بـه من النار فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك. وهكذا جاء في الحديث الصوم جنة من النار، فإن سكنت أطرافك في حجبتهـا رجوت أن تكون محجوبا، وإن أنـت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب، فتطلع إلى ما ليس بالنظرة الداعية للشـهوة والقوة الخارجة عن حـد التقية لله، لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه).[٣]

ولعل في حوارية الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الفقيه الزهري من الدلالات ما يجعلنا نقـف بـإجلال وعظمة لتلك الكلمات الخالدة التي تكلم بها الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ـ هل يقول إني صائم إذا شتم: ٣/ ٢٦، برقم (١٩٠٤): ص صحيـح مسـلم، كتـاب الصيـام، باب ـ فضـل الصيـام: ٢/ ٨٠٧، برقـم (١١٥١)، واللفظ للبخاري.

٢- مسـند الأمام أمد بن حنبل: ١٣/ ٢٩٥، برقم (٧٩١٧)، شرح مشـكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سـلمه الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: شـعيب الأرنؤوط، مؤسسـة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ م: ٨/ ١٢، برقم (٣٠١٣).

٣- شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع): ص ٣٢٥.

حيث جاء عن الزهري، قال: قال لي علي بن الحسين يومًا: يا زهري من أين جئت؟ قلت: من المسجد، قال: فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا أمر الصوم، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا صوم شهر رمضان. فقال: يا زهري ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهًا، فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وأربعة عشر وجهًا صاحبها فيها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر، وعشرة أو منها حرام، وصوم الاذن على ثلاثة وجوه .وصوم التأديب، وصوم الإباحة، وصوم السفر والمرض

فقلت: فسِّرْهُنَّ لي جُعلتُ فداك، قال: أمَّا الواجبة؛ فصيام شهر رمضان و صيام شهرين متتابعين؛ فيمن أفطر يومًا من شهر رمضان متعمِّدًا واجب، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب، قال الله تعالى «ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله « إلى قوله: «فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين « وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لمن لم يجد العتق واجب، قال الله تعالى: « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا» وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن يجد الإطعام، قال الله: «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم «كل ذلك متتابع، و ليس بمتفرق. وصيام أذى حلق الرأس واجب، قال الله تعالى: « فمن كان منكم مريضًا أو به أذىً من رأسه؛ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك « فصاحبها فيها بالخيار فإن صام، صام ثلاثة أيام، وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي قال الله تعال" :فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة «.

وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله: «ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين

أو عـدل ذلـك صياما « أوَ تدري كيـف يكون عدلُ ذلك صيامًا يا زهري؟ قلت: لا أدري؟

قال: يُقوَّمُ الصيد قيمةً، ثم تقضى تلك القيمة على البر، ثُمَّ يكال ذلك البر أصواعًا؛ فيصومُ لكُلِّ نصفِ صاعٍ يومًا. وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب.

وأمَّـا الصـومُ الحرامُ؛ فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحـى، وثلاثة أيَّام التشريق، وصوم يوم الشـك: أمرنا بهِ ونهينا عنه: أمرنا به أن نصومه مع شعبان، ونهينا عنـه أن ينفرد الرجل بصيام في اليوم الذي يشـك فيـه الناس، قلت: فإن لم يكن صام من شـعبان شيئًا كيف يصنع؟

قال: ينوي ليلة الشك أنه صائم من شعبان؛ فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضره، قلت: وكيف يجزئ صوم التطوع عن فريضة؟

فقـال: لـو أن رجـلا صـام شـهر رمضـان تطوّعًـا، وهـو لا يعلـم أنـه شـهر رمضـان، ثـم علم بعـد ذلك أجزأ عنـه، لأنَّ الفرض إنَّمَا وقع على الشـهر بعينه. وصوم الوصال حرام وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام.

وأمَّـا الصوم الذي صاحبه فيه بالخيـار؛ فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين وصـوم أيـام البيض، وصوم سـتة أيام من شـوال بعد شـهر رمضـان وصوم يـوم عرفـة وصوم يـوم عاشـورا، كل ذلك صاحبه فيـه بالخيار إن شـاء صام وإن شـاء أفطـر وأما صوم الاذن فـان المرأة لا تصوم تطوعـا إلا بإذن زوجها، والعبـد لا يصـوم تطوعـا إلا بـإذن سـيده والضيـف لا يصوم تطوعـا إلا بإذن صاحبـه، قـال رسـول الله صلى اللـه عليه وآلـه: «من نزل على قـوم فلا يصوم تطوعـا إلا بإذنهـم»، وأمـا صـوم التأديـب فالصبـي يؤمـر إذا راهـق بالصوم تأديبـا، وليـس بفـرض وكذلـك من أفطـر لعلة مـن أول النهار، ثم عـوفي بقية

يومـه أمر بالإمسـاك بقية يومه تأديبًـا، وليس بفرض، وكذلك المسـافر إذا أكل مـن أول النهار ثم دخل مصره أمر بالإمسـاك بقية يومـه تأديبًا وليس بفرض. أمـا صوم الإباحة؛ فمن أكل أو شرب ناسـيا، أو قـاء من غير تعمد؛ فقد أباح الله لـه ذلـك وأجزأ عنه صومه، وأما صوم السـفر والمرض؛ فـإنَّ العامة اختلفت في ذلك؛ فقال قوم يصوم، وقال قوم: إن شـاء صام، وإن شـاء أفطر، وقال قوم: لا يصـوم، وأمَّـا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعًا، فإن صام في السـفر، أو في حـال المـرض؛ فهو عاص وعليه القضاء، وذلـك لأنَّ الله يقول: « فمن كان منكم مريضًا، أو على سـفر فعدة من أيام أخر » [١]

- **ثمار الصوم.**

جـاء في الحديـث أن رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم قـال: ((الصيـام جنـة فلا يرفـث ولا يجهـل، وإن امـرؤ قاتلـه أو شـاتمه، فليقـل إنـي صائـم مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك. يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي عواناً أجزي به والحسنة بعشر أمثالها))[٢].

جـاء في الحديـث عن النبي (صلى الله عليه وسـلم) أنه قال:((إن في الجنة باباً يقال لـه الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامـة، لا يدخل فيـه أحد غيرهم...))[٣].

وإن ثمـرات الصيام كثيرة، فإنه يكسر من شـهوة الشـباب حتـى لا تطغى عليه

١- تفسير العياشي: ١٧٢، ١٧٤، والآية في سورة البقرة: ١٨٧.

٢- صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ـ فضل الصوم: ٣/ ٢٤، برقم (١٨٩٤).

٣- صحيـح البخاري، كتـاب، الصوم، باب ـ الريان للصائمين: ٣/ ٢٥، برقم (١٨٩٦): صحيح مسـلم، كتـاب الصيـام، باب ـ فضل الصيام في سـبيل الله لمن يطيقـه بلا ضرر ولا تفويت حق: ٢/ ٨٠٨، برقم (١١٥٢).

الشهوة، وهو وسيلة إلى كف النفس عن المعاصي، وهو يربي في الإنسان الفضائل والإخلاص والأمانة والصبر عند الشدائد، وهو سبب لاتقاء المحارم وقوة العزيمة والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، ولذلك قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والصوم يدعو إلى شكر النعم ومعرفة قدرها، وشكر النعم واجب على العباد، والصيام يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والعطف على المساكين والمحتاجين، قيل ليوسف عليه السلام، وكان كثير الجوع: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال: إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

ومن فوائده ينقي الجسم من الفضلات الرديئة ورطوبات الأمعاء، ويشفي كثيرا من الأمراض بإذن الله تعالى.

وإنه يقوي النفس على البر والحلم وتجنب كل ما من شانه إثارة الغضب لأن الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان كما ورد عن معاذ بن جبل في حديثه الطويل: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: (((ألا أدلك على أبواب الخير))؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: ((الصوم جنة)))[١]، فالصوم جنة من العذاب ومن الأخلاق السيئة.

والصوم من أعظم أسباب الهداية، وفيه تهذيب النفس وتطهيرها من الأخلاق الموبوءة وترويضها على الطاعات وإعدادها للسعادتين الدنيوية والأخروية [٢].

(وقيل: ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويقع فيه قصاص ويذهب برد المظالم إلا الصوم فانه لا يدخله قصاص، ويقول الله عزَّ وجل: (هذا لي فلا يقتص منه أحد

١- مسند أبي داود الطيالسي: ١/ ٤٥٥، برقم (٥٦١)، مسند الأمام أحمد بن حنبل: ٣٦/ ٤٤، برقم (٢٢٠١٦).

٢- ينظر: موارد الضمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (ت: ١٤٢٢هـ)، ط٣٠، ١٤٢٤هـ: ١/ ٣٦٣، ٣٦٥.

شـيئاً، ويقـال: مـا من عمل إلا وله جزاء معلوم إلا الصـوم فإنه لا تعلم نفس ما جزاؤه، ويكون أجره بغير حسـاب... وهو أحد الوجوه في قوله عزَّ وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١]، قيـل كان عملهـم الصيام)[٢].

وروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون [٣].

ثالثاً: الزكاة.

وردت في الـزكاة أو الصدقـة آيات كثيرة تبين فرضيتها على المسـلمين المقتدرين وفق أركانهـا وشروطها وضوابطها منها:

- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤].
- قـال تعـالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٥].
- قـال تعـالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [٦].
- قال تعالى: ﴿أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [٧].

١- سورة السجدة، الآية: ١٧.
٢- قوت القلوب في معاملة المحبوب: ١/ ١٣٢، ١٣٣.
٣- إحياء علوم الدين: ١/ ٢٣٦.
٤- سورة البقرة، الآية: ٤٣.
٥- سورة البقرة، الآية: ١١٠.
٦- سورة الحج، من الآية: ٧٨.
٧- سورة الأحزاب، من الآية: ٣٣.

• قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١].

كما وردت آيات عديدة جمع الله فيها سبحانه وتعالى بين الصلاة والزكاة فهي عند الله بمكانة عالية ومن لم يؤدها لا يكتمل إيمانه فضلاً عن إسلامه.

• فهي من وصية الله جل وعلا لعيسى **(عليه السلام)** قال تعالى: ﴿أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٢].

• وهي مما أمر به إسماعيل **(عليه السلام)** أهله، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [٣].

• جعلها الله حق في أموال الأغنياء للفقراء والمحتاجين، قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [٤]، و قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [٥].

• وهي جزء من الميثاق الذي ألزمه الله بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [٦].

٤- وعيد الله تعالى لمن قصر فيها.

• جعلها الله تعالى علامة تمييز بين الكفر والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ [٧].

١- سورة الحديد، من الآية: ٧.
٢- سورة مريم، من الآية: ٣١.
٣- سورة مريم، من الآية: ٥٥.
٤- سورة الذاريات، الآية: ١٩.
٥- سورة المعارج، الآيتان: ٢٤،٢٥.
٦- سورة البقرة، من الآية: ٨٣.
٧- سورة فصلت، الآيتان: ٧،٨.

•من لم يؤدها فهو منافق، لقوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١].

٥- خواصها.

• أن تعطى من أطيب ما يملك المسلم.

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [٢].

• تعطى للأبواب الثمانية.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٣].

• تفضل لذوي القربى .

• قال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [٤].

• أن لا تعطى مناً ولا رئاءً.

• قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[٥].

• قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ

١- سورة التوبة، الآية: ٦٧.
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
٣- سورة التوبة، الآية: ٦٠.
٤- سورة الإسراء، الآية: ٢٦.
٥- سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [١].

• لا تحل لغني إلا لأسباب محددة .

٦- ثمارها.

إن ثمار الزكاة والصدقات كثيرة منها

• **إنها علامة إيمان** .

• قال تعالى: ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝﴾ [٢].

• **إنها علامة الإخلاص لله تعالى.**

• قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [٣].

• **هي تزكية وتطهير وانتقال إلى أفضل الأحوال** .

• قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٤].

• **يضاعف له في الرزق.**

• قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [٥].

• **ينال رحمة الله.**

• قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

١- سورة النساء، الآية: ٣٨.

٢- سورة الأنفال، الآيتان: ٢، ٣.

٣- سورة البينة، الآية: ٥.

٤- سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

٥- سورة الحديد، الآية: ١٨.

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١].

- **لا خوف ولا حزن على مؤديها.**
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢].
- **إنها سبب لدخول الجنة.**
- قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [٣].

ليتأمل القارئ كيف دخلت الأخلاق في قضايا التعبد والعبادات البدنية، وقد فصل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالة الحقوق حق الزكاة فقال:(وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عز وجل ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرا أوثق بما استودعته علانية وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا وتدفع عنك النار في الآخرة، (ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى ما مننت بها، عليه لأن في ذلك دليلا على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد)[٤].

تقوم فلسفة الصدقة والزكاة عند الإمام السجاد عن كونها دعوة إلى البذل والإنفاق حيث يرسم الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ دستورها في تفصيل وإسهاب مظللا بظلال حبيبة أليفة. ويبين أن من آدابها التي تحول هذه الصدقة عملا تهذيبيا لنفس معطيها، وعملا نافعا مربحا لآخذها، وتحول المجتمع عن طريقها إلى أسرة فيها التعاون والتكافل

١- سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.
٢- سورة البقرة، الآية، ٢٧٧.
٣- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
٤- شرح رسالة الحقوق: ص٤٣٧

والتـواد والتراحـم، وترفع البشرية إلى مسـتوى كريم: المعطـي فيها والآخذ على السـواء إنه الإنفاق الذي يرفع المشـاعر الإنسـانية ولا يشـوبها. الإنفاق الذي لا يؤذي كرامة ولا يخدش شعورا.

الإنفـاق الكريـم المنبعث عـن أريحية ونقاء، المتجـه إلى الله ابتغـاء مرضاة الله: (ربهـم، ولا خـوف عليهـم ولا هم يحزنـون). والمنّ عنصر كريه لئيم، وشـعور خسيس واط.

فالنفس البشرية لا تمن بما أعطت إلا رغبة في اسـتعلاء كاذب، أو رغبة في إذلال الآخـذ. وكلاهمـا إحسـاس لا يجيش في قلب طيـب كريم. وهو كفيـل بأن يحيل الصدقة أذى للواهب وللآخذ على السـواء. أذى للواهب بما يثير في نفسـه من كبر وخيـلاء، أو رغبـة في رؤية أخيه ذليلا له، كسـيرا لديـه، وأذى للآخذ بما يثير في نفسـه من انكسـار وانهزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام... وما أراد الإسـلام بالصدقة مجرد سـد الخلة وملء البطن وتلافي الحاجة... كلا! إنما أرادها تهذيبا وتزكية، وتطهيرا لنفس المعطي، واستجاشة لمشاعره الإنسانية، وارتباطه بأخيه الفقير في الإنسـانية وفي الله.... كما أرادها ترضية وتندية لنفس الآخذ، وتوثيقا لصلتـه بأخيـه في الإنسـانية وفي الله... والمـن يذهب بهذه المشـاعر كلها، ويحيل الصدقـة سـما ونـارا، فهو أذى وإن لـم يصحبه أذى آخر باليد أو باللسـان، هو أذى في ذاتـه يمحـق الصدقة، ويمزق المجتمع، ويثير السـخائم والأحقاد وبعض الباحثـين النفسـيين في هـذه الأيـام، يقـررون: أن رد الفعل الطبيعـي في النفس البشرية للاحسـان هو العداء في يوم من الأيام!

وهـم يعللـون هذا بأن الآخذ يحـس بالنقص والضعف أمـام المعطي ويظل هذا الشـعور يحز في نفسـه، فيحاول الاسـتعلاء عليه بالتهجم لصاحب الفضل عليه وإضمار العداوة له، لأنه يشـعره دائمـا بنقصه وضعفه.. وبأن المعطي يريد أن

يشـعر دائما بأنه صاحب فضل على ما أعطاه. وهو الشـعور الذي يزيد من ألم صاحبه الآخـر حتى يتحول إلى عداء.

وقد يكون هذا كله صحيحا في المجتمعات التي لا تسـودها روح الإسـلام أما هذا الديـن فقـد عالج المشـكلة على نحو آخـر، عالجها بأن يقـرر في النفوس أن المال مـال الله، وأن الـرزق الذي في أيدي الواجدين هو رزق اللـه. فإذا أعطى الواجد من ماله شـيئا فإنما من مال الله أعطى، وإذا أسـلف حسـنة فإنما هي قرض لله يضاعفـه لـه أضعافا كثيرة. وليس المحـروم الآخذ إلا أداة وسـببا لينال المعطي الواهـب أضعـاف ما قدمت يـداه! ثم شرع هذه الآداب التـي نحن بصددها الآن، توكيدا لهذا المعنى في النفوس، حتى لا يسـتعلي معط، ولا يتخاذل آخذ. فكلاهما آكل من رزق الله. وللمعطين أجرهم من الله إذا هم أعطوا في سبيل الله، وابتغاء لرضـاه، متأدبين بالأدب الذي رسـمه أولئك (لا خوف عليهـم) من فقر، ولا من حقـد، (ولا هـم يحزنون) على ما أنفقوا في الدنيـا، ولا على مصيرهم في الآخرة... وتوكيـدا للمعنى الذي سـلف من حكمة الصدقـة. وتوكيدا لأن الغرض منها هو تهذيـب النفـوس وترضية القلوب وربط الواهب والآخذ برباـط الحب في الله... يقول تعالى: (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) يقـرر أن الصدقـة التـي يتبعهـا الأذى لا ضرورة لهـا: وأولى منهـا كلمة طيبة، وشـعور سـمح. كلمة طيبة تضمد جـراح القلوب وتفعمها بالرضى والبشاشـة .ومغفـرة تغسـل أحقاد النفـوس وتحل محلها الإخـاء والصداقة

فالقـول المعروف والمغفرة في هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة تهذيب النفوس وتأليف القلوب.. (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري مـن تحتهـا الأنهـار، له فيها من كل الثمـرات، وأصابه الكبر ولـه ذرية ضعفاء، فأصابهـا إعصار فيه نار فاحترقت؟ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)

تمثيل لنهاية المن والأذى، كيف يمحق آثار الصدقة محقا، في وقت لا يملك صاحبها قوة ولا عونا، ولا يستطيع لذلك المحق ردا .تمثيل لهذه النهاية البائسة في صورة موحية عنيفة الايحاء. كل ما فيها عاصف بعد أمن ورخاء: هذه الصدقة وقد خرجت عن رضى، ووصلت محروما... هذه هي ظليلة وارفة مخصبة مثمرة. إنها (جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات). هذه هي في حياة المعطي والآخذ، وفي حياة الجماعة الإنسانية ذات روح وظل، وذات خير وبركة، وذات غذاء وري، وذات زكاة ونماء... فمن ذا الذي يود أن تكون له حسنة ثم يرسل عليها المن والأذى يمحقها محقا، كما لو كانت جنة (فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت)... ومتى؟ في أشد ساعاته عجزا عن إنقاذها، وحاجة إلى ظلها ونعمائها: من ذا الذي يود هذا؟ ومن ذا الذي يفكر في ذلك المصير ثم لا يتقيه. إنها صورة عميقة الإيحاء يرسمها الإمام (صلوات الله عليه) في هذا النص القصير لذلك النموذج الكريم في البشر وهي صورة كاملة ترتسم على استحياء! وكل فقرة تكاد تكون لمسة ريشة، ترسم الملامح والسمات، وتشخص المشاعر والحركات. وما يكاد الإنسان يتم قرآءتها حتى تبدو له تلك الوجوه، وتلك الشخصيات كأنما يراها. وتلك طريقة الإمام في رسم النماذج الإنسانية، حتى لتكاد تخطر على الورق نابضة حية! يعد الإنفاق في باراديغم الإمام السجاد ع من أعظم ما يهتم بأمره الإسلام وقد توصل إليه بأنحاء التوصل إيجابا وندبا من طريق الزكاة والكفارات المالية، وأقسام الفدية، والإنفاقات الواجبة، والصدقات المندوبة. ومن طريق الوقف والسكنى، والوصايا والهبة وغير ذلك.وإنما يريد بذلك ارتفاع سطح معيشة الطبقة الساحقة التي لا تستطيع رفع حوائج الحياة من غير إمداد مالي من غيرهم، ليقرب أفقهم من أفق أهل النعمة والثروة.

ومـن جانـب آخر قـد منع من تظاهـر أهل الطبقـة العالية بالجمـال والزينة في مظاهـر الحيـاة بمـا لا يقرب مـن المعروف ولا تنالـه أيدي النمط الأوسـط من النـاس بالنهـي عـن الإسراف والتبذير ونحـو ذلك .وكان الغرض مـن ذلك كله إيجاد حياة نوعية متوسـطة متقاربة الأجزاء متشـابهة الأبعاض. تحيي ناموس الوحـدة والمعاضـدة، وتميـت الإرادات المتضـادة وأضغـان القلـوب ومنابـت الأحقـاد. فـإن القـرآن يرى أن شـأن الدين الحق هـو تنظيم الحياة بشـئوونها وترتيبها ترتيبا يتضمن سـعادة الإنسـان في العاجل والآجل ويعيش به الإنسان في معـارف حقـة وأخلاق فاضلة، وعيشـة طيبـة يتنعم فيها بما أنعـم الله عليه مـن النعـم في الدنيـا، ويدفـع بها عن نفسـه المـكاره والنوائب ونواقـص المادة. ولا يتم ذلك إلا بالحياة الطيبة النوعية المتشـابهة في طيبها وصفائها، ولا يكون ذلـك إلا بإصـلاح حال النوع برفع حوائجه في الحياة، ولا يكمل ذلك إلا بالجهات الماليـة والثروة والقنيـة، والطريق إلى ذلك إنفاق الأفراد ممـا اقتنوه بكد اليمين .وعرق الجبـين، فإنما المؤمنون إخوة، والأرض لله والمال ماله

وهذه حقيقة أثبتت السـيرة النبوية (عـلى صاحبها وآله أفضل التحية - صحتها واسـتقامتها في القـرار والنماء والنتيجة في برهة مـن الزمان، وهي زمان حياته ونفوذ أمره.

وهي التي يتأسـف عليها، ويشـكو انحـراف مجريها - أمـير المؤمنين علي ع؛ إذ يقـول: (وقد أصبحتم في زمن لا يـزداد الخير فيه إلا إدبارا، والشر فيه إلا إقبالا، والشـيطان في هـلاك النـاس إلا طمعـا فهـذا أوان قويت عدته، وعمـت مكيدته، وأمكنت فريسـته، اضرب بطرفك حيث شـئت هل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيـا بدل نعمـة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق اللـه وفرا، أو متمردا كأن بأذنه عن سـمع المواعظ وقرا).

وقد كشف توالي الأيام عن صدق القرآن في نظريته هذه - وهي تقريب الطبقات بإمـداد الدانيـة بالإنفاق، ومنـع العالية عن الإتراف والتظاهـر بالجمال - حيث أن النـاس بعد ظهور المدنية الغربية استرسـلوا في الاخلاد إلى الأرض، والافراط في اسـتقصاء المشـتهيات الحيوانية، واستيفاء الهوسـات النفسانية وأعدوا له ما اسـتطاعوا من قوة، فأوجب ذلك عكوف الثروة وصفوة لذائذ الحياة على أبواب أولي القوة والثروة، ولم يبق بأيدي النمط الأسـفل إلا الحرمان، ولم يزل النمط الأعلى يأكل بعضه بعضا حتى تفرد بسـعادة الحياة المادية نزر قليل من الناس، وسـلب حـق الحياة من الأكثرين وهم سـواد النـاس، وأثار ذلـك جميع الرذائل الخلقية من الطرفين، وكُلٌّ يعمل على شـاكلته لا يبقي ولا يذر.

فأنتج ذلك التقابل بين الطائفتين، واشتباك النزاع والنزال بين الفريقين والتفاني بين الغني والفقير والمنعم والمحروم والواجد والفاقد، ونشـبت الحروب العالمية الكـبرى، وظهرت الشـيوعية، وهجرت الحقيقة والفضيلـة، وارتحلت الطمأنينة وطيب الحياة من بين النوع. وهذا ما نشـاهده اليوم من فسـاد العالم الإنساني، وما يهدد النوع بما يسـتقبله أعظم وأفظع[1].

رابعاً: الحج.

فرض الله سـبحانه وتعالى الحج على كل مسـلم مسـتطيع. وهو مرة واحدة في العمر، وباب التطـوع مفتوحاً لمن أراد.

١- فرضيته في القرآن الكريم.

• قـال تعـالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [2].

١- شرح رسالة الحقوق، للسيد حسن القبانجي: ص٤٤٠.

٢- سورة الحج، الآية: ٢٧.

• قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [١].

• قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [٢].

وذكرت العمرة وبعض شعائر الحج.

• قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٣].

٢- فرضيته في السنة.

• حديث (جبريل).

•حديث (بني الإسلام على خمس).

٣- ثمار الحج ومزاياه.

• **الحج من أحب الأعمال إلى الله جل وعلا .**

• سئل النبي **(صلى الله عليه وسلم)**: أي العمل أفضل ؟ قال: **((إيمان بالله ورسوله))**، قيل: ثم ماذا ؟ قال: **((الجهاد في سبيل الله))**، قيل: ثم ماذا ؟ قال: **((حج مبرور))**[٤].

• **يعتبر الحاج والمعتمر من الوافدين إلى الله.**

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر))[٥].

١- سورة آل عمران، من الآية: ٩٧.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

٣- سورة البقرة، من الآية: ١٥٨.

٤- صحيح البخاري: ك: الحج، باب – فضل الحج المبرور: ٢/٥٥٣: ص حيح مسلم: ك: الإيمان، باب – بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال: ١/٨٨.

٥- السنن الكبرى النسائي: باب – فضل الحج: ٥/١١٣٥، السنن الكبرى للبيهقي: ٥/٢٦٢.

● **يغفر للحاج وله الجنة**

قـال رسـول الله (صلى الله عليه وسـلم):((العمرة إلى العمرة كفـارة لما بينهما، والحج المـبرور ليس له جزاء إلا الجنة))[١].

ومن ثمار الحج أنه مؤتمر إسلامي عام للأمة كلها من مشارق الأرض ومغاربها، بمختلف أجناسـهم وألوانهم وأشكالهم ولغاتهم، كلهم ينادون نداء واحداً (لبيك اللهـم لبيـك، لبيـك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لـك والملك لا شريك لك)، وهو تعبير عن وحدة الأمة، ويتساوى في اللباس ملكهم وعبدهم، غنيهم وفقيرهم الـذي بالـكاد يوفـر مبلغ الحـج، وفيه يمكن أن يتدارسـوا حال الأمـة ويضعوا الحلول المناسبة لكل حالة.

قـال الإمام السـجاد ع (وحـق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربـك، وفرار إليه من ذنوبـك، وبـه قبول توبتك، وقضاء الفرض الـذي أوجبه الله عليك)[٢].

لا شـك أن العقل السـليم يـدرك بأدنى إلتفات إلى أن الحج - وهـو الركن الرابع للإسـلام - جمـع من المزايا ما ليـس في غيره من العبـادات، ذلك لأن وجوب أي عبادة على العبد أما أن تكون حقا للعبودية، أو شـكرا لنعم الله عليه. وفي عبادة الحج إظهار العبودية وشـكر النعمة. فدليل الأول: هو أمر العبد بترك الرفاهية، وإظهار الشـعث وإلغاء النفث، ووجود الإنسـان على حالة خضوع وذلة في مثل حالة الاحرام.

ونـشير هنـا إلى أن بعـض العبـادات بدنيـة، وبعضهـا ماليـة، وعبـادة جمعت بينهما، فإن فريضة الحج لم تجب على الشخص المكلف إلا عند وجود المال الكافي

١- صحيـح البخـاري: ك: الحج، باب – وجوب العمرة وفضلها: ٢/٩٨٢: ص حيح مسـلم: ك: الحج، باب – في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة: ٢/٩٨٣.

٢- شرح رسالة الحقوق: ص ٣١١

وصحة البدن وأمن السرب، ومن هنا كان في أداء الحج شكر النعمتين. ولما كانت أعمال الحج تؤدى مع عناء ومشقة لبعد الشقة وعظم المسافة، وخاصة إذا نأت الجهات عن أماكنه المقدسة؛ فهو عبادة تتطلب السفر، فيشاهد المسافر في رحلته إلى تلك البقاع الطاهرة أماكن مقدسة وآثار مباركة، تملأ القلوب إيمانا ويقينا. والحج سبيل التعارف والتآلف والتعاون، وتوثيق العلاقات والروابط والصلات بين سائر الشعوب الإسلامية فتأتلف قلوبهم، وتتحد كلمتهم فيعملون ما يصلح شأنهم، ويقوم ما اعوج من أمرهم .يقول الله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم). والمنافع التي يشهدها الحجيج كثيرة: فالحج موسم ومؤتمر. الحج موسم تجارة وموسم عبادة. والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون .وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة...كما يجد أصحاب السلع والتجارة في موسم الحج سوقا رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء. من أطراف الأرض. ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر. ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم. يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد. فهو موسم تجارة، ومعرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كل عام. وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام .وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد... طيف إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو يودع البيت فلذة كبده إسماعيل وأمه، ويتوجه بقلبه الخافق الواجف إلى ربه: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وطيف هاجر، وهي تستروح

الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة الملتهبة حول البيت، وهي تهرول بين الصفا والمروة وقد نهكها العطش، وهدها الجهد وأضناها الاشفاق على الطفل... ثم ترجع في الجولة السابقة وقد حطمها اليأس لتجد النبع يتدفق بين يدي الرضيع الوضيء. وإذا هي زمزم، ينبوع الرحمة في حصراء اليأس والجدب. وطيف إبراهيم عليه السلام، وهو يرى الرؤيا، فلا يتردد في التضحية بفلذة كبده، ويمضي في الطاعة المؤمنة إلى ذلك الأفق البعيد: (قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) فتجيبه الطاعة الراضية في إسماعيل (عليه السلام): (قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين).. وإذا رحمة الله تتجلى في الفداء: (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وطيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما يرفعان القواعد من البيت في إنابة وخشوع: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم) وتظل هذه الأطياف وتلك الذكريات، ترف وتتتابع حتى يلوح طيف عبد المطلب، وهو ينذر دم ابنه العاشر إن رزقه الله عشرة أبناء، وإذا هو عبد الله، وإذا عبد المطلب حريصا على الوفاء بالنذر. وإذا قومه من حوله يعرضون عليه فكرة الفداء، وإذا هو يدير القداح حول الكعبة ويضاعف الفداء، والقداح يخرج في كل مرة على عبد الله، حتى يبلغ الفداء مئة ناقة بعد عشر، هي الدية المعروفة. فيقبل منه الفداء، فينحر المئة وينجو عبد الله .ينجو ليودع رحم آمنة أطهر نطفة وأكرم خلق الله على الله محمد رسول الله (.صلى الله عليه واله) ثم يموت فكأنما فداه الله من الذبح لهذا القصد الوحيد الكريم الكبير. ثم تتواكب الأطراف والذكريات، من محمد رسول الله (ص) وهو يدرج في

طفولتـه وصبـاه فوق هـذا الثرى، حول هـذا البيت... وهو يرفع الحجر الأسـود بيديـه الكريمتين فيضعـه موضعه ليطفئ الفتنة التي كادت تنشـب بين القبائل.. وهـو يصلي ويطوف.. وهـو يخطب.. وهو يعتكـف.. وإن خطواته (عليه الصلاة والسلام) لتنبض حية في الخاطر، وتتمثل شـاخصة في الضمير. يكاد الحاج هناك يلمحها وهو مسـتغرق في تلك الذكريات.. وخطوات الحشـد من صحابته الكرام. وأطيافهـم ترف وتـدف فوق هذا الثرى، حـول ذلك البيت، تكاد تسـمعها الأذن، وتـكاد تراها الأبصار.

والحـج بعد ذلك كله مؤتمر جامع للمسـلمين قاطبة. مؤتمر يجدون فيه أصلهم العريـق الضارب في أعماق الزمن منـذ أبيهم إبراهيم الخليل: (ملة أبيكم إبراهيم هو سـماكم المسـلمين من قبل وفي هذا).. ويجدون محورهم الذي يشدهم جميعا إليـه: هذه القبلـة التي يتوجهون إليها جميعا ويلتفـون عليها جميعا.. ويجدون رايتهـم التـي يفيئون إليها. رايـة العقيدة الواحدة التي تتـوارى في ظلها فوارق الأجنـاس والألـوان والأوطان.. ويجـدون قوتهم التـي قد ينسـونها حينا. قوة التجمـع والتوحـد والترابط الذي يضم الملايين. الملايـين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التي لا تتعد راية العقيدة والتوحيد وهو مؤتمر للتعارف والتشـاور، وتنسـيق الخطط وتوحيد القوى، وتبادل المنافع والسـلع والمعارف والتجـارب، وتنظيـم ذلـك العالم الإسـلامي الواحد الكامل المتكامـل مرة في كل عـام. في ظل اللـه. بالقرب من بيت اللـه. وفي ظلال الطاعات البعيـدة والقريبة، والذكريـات الغائبـة والحـاضرة. في أنسـب مكان، وأنسـب جو. وأنسـب زمان. فذلك إذ يقول الله سـبحانه: (ليشـهدوا منافع لهم)).. كل جيل بحسـب ظروفه وحاجاتـه وتجاربه ومقتضياته. وذلك بعض ما أراده الله بالحج يوم أن فرضه على المسـلمين، وأمر إبراهيم عليه السـلام أن يؤذن به في الناس .أجل أعود ثانية

فأقول: الحج هو اجتماع الألوف المؤلفة من المسلمين المبعثرين في سائر أرجاء العالم، المختلفين في الأجناس واللغات في بقعة واحدة، ملبين بالروح والجسم معا، نداء ربهم، وهم من بساطة الملبس، والتساوي في الدرجات على صورة لا توازيها صورة في أي شرع من الشرايع ولا مدنية من المدنيات الأرضية. وهم بين أمير ومأمور، وحاكم ومحكوم وعربي وتركي، وأفغاني وفارسي، وهندي وسوداني، وحبشي وصيني، وأوربي وأوقيانوسي، وبين أبيض ناصع، وأصفر فاقع، وأحمر قاتم، وأسود فاحم والكل شخوص بالأعين والأفئدة إلى نقطة واحدة ليس في ضمائرهم إلا موضوع واحد. تركوا الأهل والوطن، وهجروا المال والسكن، خاضوا غمرات البحار الزاخرة، واقتحموا الصحارى الغامرة، لعبت هوج الرياح بهم تارة على السفائن، ولفحتهم لوافح السموم طورا في السباسب، خلعوا عاداتهم وتقاليدهم. وغيروا لباسهم ومآكلهم. وصعدوا وهم على هذه الصورة التجريدية على سطح جبل يضم أشتاتهم ويلم جمعهم. فماذا يكون من أثر هذا الموقف المهيب عليهم. وماذا تكون نتيجة هذا المنظر الفخم على أفئدتهم .وأرواحهم؟

لا شك أن تركز كل تلك الأشعة المنبعثة من صميم معانيهم إلى عرض واحد ونقطة مشتركة، وهم على هذه الصورة من المساواة والبساطة على قمة ذلك الجيل الذي وقف عليه قبلهم بناة مجد هذه الأمة الكريمة من الشهداء والصالحين والعلماء العاملين، والأولياء المقربين، وفوق هؤلاء كلهم خاتم النبيين محمد كل ذلك يوحي إلى سرائرهم، وينقش في صميم روعهم ويصور لهم في لباب فطرهم، حقيقة معنى (الله أكبر) وناهيك برجل يعتقد أن (الله أكبر) من يعتقد أن الله أكبر، لا يرضخ للذل، ولا يستكين للعبودية، ولا يلين قياده في يد غاشم .من يعتقد أن الله أكبر، لا يخاف بطش العوادي، ولا يرهب قرع الحوادث، ولا ترتعد

فرائصه من نازلة مهما عظمت. من يعتقد أن الله أكبر، لا يستعظم الأقوياء ولا يكبر الأعلياء، ولا يستخذي للكبراء .من يعتقد أن الله أكبر، لا ينسحر بمدنية، ولا يؤله أي قوة أجنبية ولا ييأس من بلوغ أمته أقصى المكانات العمرانية .من يعتقد أن الله أكبر، كان رجلا صحيحا، وإنسانا تاما، وفاضلا صرفا، لأن من يعتقد أن الله أكبر لا يستبد ولا يتكبر ولا يتجبر، ولا يعجب بنفسه، وهي من كبرى مهلكات الإنسان، ثم لا يسرف لأن باعث الإسراف حب التفرد، وكيف يتفرد والله أكبر، ولا يقتر لأن موجبه خوف الفقر، وكيف يخافه والله أكبر. وصفوة القول أنه لا يقارف دنيئة سواء كانت معنوية أو حسية، لأن مثيرها إرضاء الهوى، وكيف يرضى هواه من يعتقد أن الله أكبر. نعم من كان يعتقد أن الله أكبر على هذه الصورة كان مسلما حقا، ولو قلت: إن الذي سما بهمم آبائنا الأولين، فرفعهم في بضع وعشرين سنة، إلى أعلاء عليين هو محض اعتقادهم أن الله أكبر، لما كنت مغاليا في المقال، ولا ذاهبا مذهب الشعر والخيال[١].

١- ينظر شرح رسالة الحقوق: ص ٣١٧.

المطلب الثاني

إخلاص العبادة.

أولاً: الإخلاص في اللغة.

(خ ل ص: (خلص) الشيء صار (خالصاً) وبابه دخل... و(خلاصته) السمن بالضم ما خلص منه،... و (الإخلاص) أيضاً في الطاعة ترك الرياء وقد (أخلص) لله الدين)[١].

(خلص: خلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وأخلصه وخلصه وأخلص لله دينه: أمحضة. وأخلص الشيء: اختاره... والمخلص: الذي وحد الله تعالى خالصاً ولذلك قيل لسورة: قل هو الله أحد، سورة الإخلاص؛ قال ابن الأثير: سميت بذلك لأنها خالصة في صفة الله تعالى وتقدس، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله عز وجل، وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد)[٢].

ثانياً: الإخلاص في الاصطلاح.

وردت تعاريف كثيرة نذكر منها:

• (والإخلاص شرعاً: هو أن تبتغي بعملك وجه الله تعالى، فإن قصدت بعملك غيره تعالى لم يقبله هو سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، فهو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل عن جميع الشوائب)[٣].

• (إفراد الله تعالى بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة أو مدح

١- مختار الصحاح، للرازي، باب ـ خ ل ص: ١/ ٩٤.

٢- لسان العرب، لابن منظور، باب ـ فضل الخاء المعجمة: ٧/ ٢٦؛ ينظر: تاج العروس، للزبيدي، باب ـ خ ل ص: ١٧ / ٥٦٣.

٣- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: ٦/ ٨٥.

من الخلق أو معنى آخر سوى التقرب إلى الله تعالى)[١].

• وعرف أيضاً: خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان. وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل)[٢].

• وعرف بأنه: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته وسكناته في سره وعلانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس ولا دنيا [٣].

ثالثاً: الأمر بالإخلاص في القرآن الكريم.

١- أمره تعالى لرسوله **(صلى الله عليه وسلم)** بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٤].

٢ـ أمره تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [٥]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦].

رابعاً: الإخلاص في السنة.

• جاء في الحديث: قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)**: **((قال الله تبارك** وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته

١- الإخلاص وأثره في قبول الأعمال، فضيلة الدكتور: عبد الله محمد بن محمد الطيار، الأستاذ بجامعة الأمام أحمد بن سعود الإسلامية بالرياض، د.ت: ١/ ٣.

٢- شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٦٤٦.

٣- الإخلاص وأثره في قبول الأعمال: ١/ ٣.

٤- سورة الزمر، الآية :٢.

٥- سورة البينة، الآية :٥.

٦- سورة غافر، الآية :٦٥.

وشركه))[١].

• وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول الله تعالى: ((الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي))[٢].

• وفي الحديث: كان رسول الله (ص) إذا أصبح قال: ((أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين))[٣].

• وفي الحديث قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل أستشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قاري، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، فأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به وعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار))[٤].

١- صحيح مسلم: ك: الزهد والرقائق، باب ـــــ من أشرك في عمله غير الله: ٤/ ٢٢٨٩، برقم (٢٩٨٥).

٢- شرح فتح الباري: ٤/ ١٠٩، (لم أجده في كتب الحديث).

٣- صحيح مسلم: ك: الزهد والرقائق: باب ـ من أشرك في عمله غير الله:٤/ ٢٢٨٩، برقم (٢٩٨٥)، سنن ابن ماجة: باب ـ الرياء والسمعة: ٢/ ١٤٠٥، برقم (٤٢٠٢)، واللفظ لمسلم.

٤- صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب ـ من قاتل للرياء والسمعة استحق النار: ٣/ ١٥١٣، برقم (١٩٠٥).

والناس في إخلاص العبودية على أربعة أقسام:

القسم الأول: أهل الإخلاص والمتابعة وهؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [١]. وهم أهل (إياك نعبد وإياك نستعين)..

القسم الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة له، وهؤلاء شرار الخلق، وهم المتزينون بأعمال الخير، يراءون بها الناس، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، قال تعالى بحقهم: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢].

القسم الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها غير متابعة الأمر، كجهال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر، فتراهم يواصلون الصيام والقيام لكنهم يفوتوا كثير مما فرضه الله دون علم، مثلاً يكونوا في خلوة لا يؤدوا خلالها صلاة الجمعة.. لأن الأصل ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادته كما أراد سبحانه وتعالى..

القسم الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى، كطاعات المرائين، وكالرجل قاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ويحج ليقال، ويعلم ويؤلف ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [٣].

وأهل القسم الأول أهل مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) عندهم أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص [٤].

١- سورة البينة، من الآية: ٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

٣- سورة البينة، من الآية: ٥.

٤- ينظر: تجريد التوحيد المفيد: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، ط(١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م): ١/ ٤٣ـ ٤٥.

(فإلهـام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجتـه، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص)[١].

و(أهـل الإخـلاص والمتابعة: فأعمالهم كلهـا لله، وأقوالهـم ومنعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاءً ولا شـكوراً، عدو الناس كأصحاب القبور، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإنـه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق.

والإخـلاص هـو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عمـلاً صواباً عارياً منه، وهو الـذي ألزم عبـاده به إلى المـوت، قـال تعـالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [٢]، وأحسـن العمـل أخلصـه وأصوبه)[٣].

- **آثار الإخلاص.**

إنَّ للإخلاص آثار كثيرة منها:

١- سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

٢- مباركة العمل القليل مع الإخلاص.

٣- إنه شرط وسبب لصحة العبادة.

٤- إنه تحقيق لمتابعة الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** وهذا ما أمرنا به.

٥- حياة الإنسان كلها بالنية الصالحة تكون عبادة لله.

٦- يوجب يقظة القلب والضمير.

٧- يتحلى المخلص بالمراقبة والمحاسبة لنفسه.

٨- يكون بكاؤه من خشية الله صادقاً وله الأجر.

١- شرح العقيدة الطحاوية: ٦/ ٦٤٧.

٢- سورة الكهف، الآية: ٧.

٣- تجريد التوحيد المفيد: ١/ ٤٢.

٩- إنه يرى نفسه مقصراً تجاه ربه على الدوام.

١٠- ومن ثمراته التزام الطاعات والبعد عن المعاصي.

١١- يجعل صاحبه مستمراً على عمل الخير.

١٢- يستوي حاله في عبادته لله تعالى عندما يكون خالياً وعندما يكون مع الناس.

١٣- يحثه الإخلاص على السعي لتعلم العلوم الشرعية.

تبين لنا مما تقدم أن الإخلاص لله تعالى أصل مهم من أصول عقيدتنا فحري بنا أن نتمسك به، وأن نصحح نياتنا وكل حركاتنا وسكناتنا ونجعلها وفقاً لمراد ربنا جل وعلا لنحضى برضوانه، ونحافظ على مستوى إيماننا ما حيينا بل نزيده قدر مستطاعنا بالطاعات فقد قال كثير من العلماء: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة..

قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر[١]،أعاذنا الله وإياكم من الكبائر.

أما الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد ضرب بسهم وافر في الحديث عن الإخلاص في العبادة، حيث جاءت أدعيته مؤكدة لمعاني الإخلاص والدعوة إليه، فكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه، فيقول: الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته

١- يُنظر: طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: ١/٤١-٥٥؛ الإخلاص وأثره في قبول الأعمال: ١/١٦-٤٢.

أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا، ثم سلك بهم طريق إرادته وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيرا عما قدمهم إليه ولا يستطيعون تقدما إلى ما أخرهم عنه، وجعل لكل روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة أجلا موقوتا، و نصب له أمدا محدودا، يتخطأ إليه بأيام عمره، ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، عدلا منه، تقدست أسماؤه، وتظاهرت آلاؤه، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية فكانوا كما وصف في محكم كتابه « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا «.

والحمد لله على ما عرفنا من نفسه وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ودلنا عليه من الاخلاص له في توحيده، وجنبنا من الإلحاد والشك في أمره، حمدا نعمر به؛ فيمن حمده من خلقه، ونسبق به من سبق إلى رضاه وعفوه حمدا يضئ لنا به ظلمات البرزخ، ويسهل علينا به سبيل المبعث، ويشرف به منازلنا عند مواقف الأشهاد، يوم « تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون، حمدا يرتفع منا إلى أعلى عليين في كتاب مرقوم يشهده المقربون، حمدا تقر به عيوننا إذا برقت الأبصار وتبيض به وجوهنا إذا اسودت الابشار، حمدا نعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله، حمدا نزاحم به ملائكته المقربين، ونضام به أنبيائه

المرسلين في دار المقامة التي لا تزول، و محل كرامته التي لا تحول، والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق وأجرى علينا طيبات الرزق، وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق، فكل خليقته منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته، والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، فكيف نطيق حمده؟ أم متى نؤدي شكره؟! لا، متى؟ والحمد لله الذي ركب فينا آلات البسط، وجعل لنا أدوات القبض، ومتعنا بأرواح الحياة، وأثبت فينا جوارح الأعمال وغذانا بطيبات الرزق، وأغنانا بفضله، وأقنانا بمنه، ثم أمرنا ليختبر طاعتنا، ونهانا ليبتلي شكرنا فخالفنا عن طريق أمره، وركبنا متون زجره، فلم يبتدرنا بعقوبته، و لم يعاجلنا بنقمته، بل تأنانا برحمته تكرما، وانتظر مراجعتنا برأفته حلما، والحمد لله الذي دلنا على التوبة التي لم نفدها إلا من فضله، فلو لم نعتدد من فضله إلا بها لقد حسن بلاؤه عندنا، وجل إحسانه إلينا، و جسم فضله علينا؛ فما هكذا كانت سنته في التوبة لمن كان قبلنا، لقد وضع عنا ما لا طاقة لنا به، و لم يكلفنا إلا وسعا، و لم يجشمنا إلا يسرا، و لم يدع لأحد منا حجة ولا عذرا، فالهالك منا من هلك عليه، والسعيد منا من رغب إليه، والحمد لله بكل ما حمده به أدنى ملائكته إليه وأكرم خليقته عليه وأرضى حامديه لديه، حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا على جميع خلقه، ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقين عدد ما أحاط به علمه من جميع الأشياء، ومكان كل واحدة منها عددها أضعافا مضاعفة أبدا سرمدا إلى يوم القيمة، حمدا لا منتهى لحده، ولا حساب لعدده، ولا مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمده، حمدا يكون وصلة إلى طاعته وعفوه، وسببا إلى رضوانه وذريعة إلى مغفرته، وطريقا إلى جنته، وخفيرا من نقمته، وأمنا من غضبه وظهيرا على طاعته، وحاجزا عن معصيته، وعونا على تأدية حقه ووظائفه، حمدا نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء[1].

١- شرح رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص ٢٣.

المطلب الثالث
شكر المنعم وعدم كفر النعم.

أولاً: تعريف الشكر في اللغة.

الشـكر: عرفان الإحسان ونشره، وحمد موليه، وهو الشكور أيضًا، قال الله عزَّ وجل: لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً [١].

والشـكر: الثناء على المحسـن بما أولاكه من المعروف: يقال: شـكرته وشكرت له وباللام أفصح[٢].

وفي اللسـان: (الشـكر: عرفان الإحسان ونشره، وهو الشـكور أيضاً. قال ثعلب: الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد، فهذا الفرق بينهما. والشـكر مـن الله: المجازاة والثناء الجميل، شـكره وشـكر له شـكراً وشـكوراً وشـكراناً؛ قال أبو نخيلة:

شكرتك إن الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي

قـال ابـن سـيده: وهذا يدل على أن الشـكر لا يكون إلا عن يـد، ألا ترى أنه قال: ومـا كل مـن أوليته نعمـةً يقضي؟ أي ليس كل من أوليته نعمةً يشـكرك عليها.. وحكى اللحياني: شـكرت الله وشكرت لله وشـكرت بالله، وكذلك شكرت نعمة الله، وتشـكر له بلاءه: كشكره..

وتشـكرت له: مثل شـكرت له وفي حديث يعقوب: أنه كان لا يأكل شـحوم الإبل تشـكراً لله عز وجل) [٣].

١- العين: باب ـ الكاف والشين والراء معهما ك ش ر، ك ر: ٥/٢٩٣، تهذيب اللغة: باب ـ أبواب الكاف والشين: ١٠/١٠.

٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: باب ـ [شكر]: ٢/٧٠٢.

٣- لسان العرب: باب ـ فصل الشين المعجمة: ٤/٤٢٤.

ثانياً: تعريف الشكر في الاصطلاح.

(شكر الله: ثناء عليه بنعمه وأياديه والاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. وقيل: الشكر: الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وهو أن تعلم أن النعمة من الله وحده، وقد وردت آيات كثيرة لبيان حال الناس تجاه عبادة الشكر مع أنها من أفضل الطاعات، منها قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١])[٢].

ثالثاً: الأمر بالشكر في القرآن الكريم.

وردت آيات كثيرة توجب شكر العبد لمولاه منها:

- خطابه لرسوله (صلى الله عليه وسلم) وأمره بالشكر، قال تعالى: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٣].
- وصيته تعالى لكل إنسان، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٤].
- وخطابه لعموم المسلمين، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [٥].
- توعد سبحانه وتعالى لمن يكفر بالعذاب الشديد ولمن يشكر بالزيادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٦].

رابعاً: الشكر في السُّنة.

وردت أحاديث كثيرة عن الشكر منها:

١- سورة سبأ، من الآية: ١٣.
٢- مجلة البحوث الإسلامية: ٨٧/ ١٧٤.
٣- سورة الزمر، من الآية: ٦٦.
٤- سورة لقمان، الآية: ١٤.
٥- سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
٦- سورة إبراهيم، الآية: ٧.

• جاء في الحديث، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له))[١].

• أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: ((من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر. فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي قد أدى شكر ليلته))[٢].

• وعن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[٣].

• وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه))[٤].

• وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((إذا رأى أحدكم أحداً في بلاء فليقل الحمد لله الذي عافاني مما إبتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا فإنه إذا قال ذلك كان شكر تلك النعمة))[٥].

نشير هنا غلى أن شكر النعمة للمنعم يكون أولاً بمعرفتها والاعتراف بأن الله تعالى هو مسديها والمنعم بها، وبالحمد لله والثناء عليه بها، وبالتصرف بها فيما يحبه ويرضيه وهو ما أسداها لأجله من حكمة ورحمة. وهو هنا حفظ حياتنا

١- صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب ـ المؤمن أمره كله خير: ٤/ ٢٢٩٥، برقم (٢٩٩٩).
٢- سنن أبي داود: باب ـ ما يقول إذا أصبح: ٤/ ٤٧٧، برقم (٥٠٧٥)، السنن الكبرى للنسائي: ٩/ ٨، برقم (٩٧٥٠)، واللفظ لأبي داود.
٣- المصدر نفسه: باب ـ في شكر المعروف: ٤/ ٤٠٣، برقم (٤٨١٣).
٤- السنن الكبرى للنسائي: باب ـ شكر المرأة لزوجها: ٨/ ٢٣٩، برقم (٩٠٨٦).
٥- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: ١٦ / ٦٣، برقم (٩١٠٦)، الدعاء للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، باب ـ القول عند رؤية مبتلى: ١/ ٢٤٥، برقم (٨٠٠).

البدنيــة أفـراداً وجماعـات، خاصة وعامة، والاسـتعانة كذلك عـلى حفظ حياتنا الروحية التي تكمل بها الفطرة بتزكية الأنفس وتأهيلها لحياة الآخرة الأبدية[١].

والشــكر الحقيقي: أن يكون مشـغوفاً غاية الشـغف بحب من أنعم عليه بنعمة الإيجاد والأحاسيس والقوى، وتفضل عليه بسائر نعمه وفضله وجوده وإحسانه الدائـم المتواصـل، ويكون ذاكراً له ذكراً صحيحاً من أعماق قلبه، متفكراً في آياته وآلائه وعظمته وجلاله، سـابحاً في بحر معرفته، والتلذذ بذكر أسـمائه الحسنى، والفـرح بقراءة كتابه العزيز، بحيث يمتلئ قلبـه بمحبته وتعظيمه، والاطمئنان بوعده، والابتهاج والسرور بذكره جل وعلا. فإذا كان كذلك سعى للقيام بشكر الله شكراً عمليًّا، وذلك بحسن التصرف في نعمه بأن يستعملها فيما يرضيه، وأن يكون ممتثلاً لأوامره، مسارعاً في طاعته، مجتنبًا نواهيه، حافظًا لحدوده، غيورًا على دينه وحرماته، معظِّمًا لرسـوله، مقتديًا به في كُلِّ ما يأتي ويذر.

أما الإمام السـجاد عليه السـلام؛ فقد كانت أكثر أدعيته تتضمن الشـكر للمنعم جـل في عـلاه، ولعـل من نوابغ الكلم قولـه عليه السـلام: أَللَّهُمَّ إِنَّ أَحَـداً لاَ يَبْلُغُ مِنْ شُـكْرِكَ غَايَةً إلاّ حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إحْسَـانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرَاً، وَلا يَبْلُغُ مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإِن اجْتَهَدَ إلاَّ كَانَ مُقَصِّراً دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأَشْكَرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُـكْرِكَ وَأَعْبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ، لا يَجِبُ لاِحَدٍ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْـتِحْقَاقِه، وَلا أَنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاسْتِيجَابِهِ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبِطَولِكَ، وَمَنْ رَضِيْتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شُكِرْتَهُ وَتُثِيبُ عَلَى قَلِيلِ مَاتُطَاعُ فِيهِ حَتَّى كَأَنَّ شُكْـرَ عِبَادِكَ الَّذِيْ أَوْجَبْـتَ عَلَيْهِ ثَوَابَهُـمْ وَأَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُـمْ أَمْرٌ مَلَكُوا اسْـتِطَاعَةَ الاِمْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَـكَ، فَكَافَيْتَهُمْ أَوْ لَمْ يَكُنْ سَـبَبُهُ بِيَدِكَ فَجَازَيْتَهُمْ، بَـلْ مَلَكْـتَ يَا إلهي أَمْرَهُمْ قَبْـلَ أَنْ يَمْلِكُـوا عِبَادَتَكَ، وَأَعْـدَدْتَ ثَوَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُفِيضُـوا فِي طَاعَتِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ

١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٨/ ٢٩٠.

سُـنَّتَكَ الافْضَالُ، وَعَادَتَكَ الاحْسَـانُ، وَسَبِيلَكَ الْعَفْوُ، فَكُلُّ الْبَرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّكَ غَيْرُ ظَالِـمٍ لِمَـنْ عَاقَبْتَ، وَشَـاهِدَةٌ بِأَنَّكَ مُتَفَضِّـلٌ عَلَى مَنْ عَافَيْتَ، وَكُلٌّ مُقِرٌّ عَلَى نَفْسِـهِ بِالتَّقْصِـيرِ عَمَّـا اسْـتَوْجَبْتَ، فَلَوْلا أَنَّ الشَّـيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَـنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عَـاصٍ، وَلَـوْلا أَنَّـهُ صَوَّرَ لَهُـمُ البَاطِلَ فِي مِثَـالِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَـنْ طَرِيْقِكَ ضَالٌّ. فَسُـبْحَانَكَ مَا أَبْيَنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ أَطَاعَكَ أَوْ عَصَاكَ، تَشْـكُرُ لِلْمُطِيْعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَـهُ لَهُ، وَتُمْلِي لِلْعَاصِي فِيْمَا تَمْلِكُ مُعَاجَلَتَهُ فِيْهِ، أَعْطَيْتَ كُلاًّ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَجِبْ لَـهُ، وَتَفَضَّلْـتَ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا بِمَا يَقْصُرُ عَمَلُهُ عَنْهُ وَلَـوْ كَافَأْتَ الْمُطِيعَ عَلَى مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لاَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ ثَوَابَكَ، وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازَيْتَهُ عَلَى الْمُـدَّةِ الْقَصِيرَةِ الفَانِيَةِ بِالْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ، وَعَلَى الْغَايَةِ الْقَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ بِالْغَايَةِ الْمَدِيـدَةِ الْبَاقِيَةِ، ثُمَّ لَمْ تَسُـمْهُ الْقِصَـاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّـذِي يَقْوَى بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ، وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الْمُنَاقَشَاتِ فِي الآلاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَى مَغْفِرَتِكَ، وَلَوْ فَعَلْتَ ذلِكَ بِهِ لَذَهَبَ بِجَمِيْعِ مَا كَدَحَ لَهُ وَجُمْلَةِ مَا سَـعَى فِيهِ، جَزَآءً لِلصُّغْرَى مِنْ أَيادِيْكَ وَمِنَنِكَ، وَلَبقِيَ رَهِيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَـائِرِ نِعَمِكَ فَمَتَى كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِـنْ ثَوَابِـكَ، لا، مَتَـى؟ هَذَا يا إلهِي حَـالُ مَنْ أَطَاعَكَ وَسَـبِيلُ مَنْ تَعَبَّـدَ لَكَ، فَأَمَّا الْعَاصِيْ أَمْرَكَ وَالْمُوَاقِـعُ نَهْيَكَ فَلَمْ تُعَاجِلْهُ بِنَقِمَتِكَ لِكَيْ يَسْتَبْدِلَ بِحَالِهِ فِي مَعْصِيَتِكَ حَالَ الانَابَـةِ إِلَى طَـاعَتِـكَ، وَلَقَـدْ كَـانَ يَسْتَحِقُّ فِي أَوَّلِ مَـا هَمَّ بِعِصْيَانِكَ كُلَّ مَـا أَعْـدَدْتَ لِجَمِيعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقُوبَتِـكَ، فَجَمِيعُ مَا أَخَّرْتَ عَنْهُ مِـنْ وَقْتِ الْعَذَابِ، وَأَبْطَـأْتَ بِـهِ عَلَيْـهِ مِنْ سَـطَوَاتِ النَّقِمَةِ وَالْعِقَـابِ تَرْكٌ مِنْ حَقِّـكَ، وَرِضىً بِدُونِ وَاجِبِكَ، فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلهِي، وَمَنْ أَشْقَى مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْـكَ، لا، مَنْ؟ فَتَبَارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إلاّ بِالاحْسَانِ، وَكَـرُمْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إلاّ الْعَدْلُ، لا يُخْشَى جَوْرُكَ عَلَى مَـنْ عَصَاكَ، وَلاَ يُخَافُ إِغْفَالُكَ ثَـوَابَ مَنْ أَرْضَاكَ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي

أَمَـلِي، وَزِدْنِي مِنْ هُدَاكَ مَا أَصِلُ بِـهِ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي، إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيم[١].

وهذا الدعاء يشتمل على مضامين أخلاقية وتعبدية يضيق المقام بذكرها هنا؛ لكن نشـير إلى أبرزهـا، وهي ضرورة أن يلتجـئ العبد في كل أحواله إلى الباري تعالى، وأن ينكسر في مقام الحضرة الالهية حيث تتجلى معاني الجبروت الإلهي في قبال الضعف الإنساني.

المطلب الرابع: التزام الطاعات وترك المنكرات.

أولاً: الطاعة في اللغة.

(طـوع: طاع يطوع طوعـاً فهو طائع. والطوع: نقيض الكـره، تقول: لتفعلنه طوعـاً أو كرهـاً. طائعـاً أو كارهاً. وطاع له إذا انقاد لـه. إذا مضى في أمرك فقد أطاعـك. وإذا وافقك فقد طاوعك)[٢].

(طـوع) الطـاء والواو والعين أصـل واحد يدل على الاصحـاب والإنقياد. يقال: طاعـه يطوعـه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنـى طاع له. ويقال لمن وافق غيره: قد طاوعه.

والاسـتطاعة مشتقة من الطوع. كأنها كانت في الأصل الاستطواع، فلما أُسقطت الواو جعلت الهاء بدلاً منها، مثل قياس الاسـتعانة والاسـتعاذة. والعرب تقول: تطاوع لهذا الأمر حتى تسـتطيعه. ثم يقولون: تطوع، أي تكلف اسـتطاعته)[٣].

١- الصحيفة السجادية (ابطحي) - الإمام زين العابدين (ع): ص١٨٣.

٢- الـعين، للفراهيـدي، بـاب – الـعين والطـاء و[و ا ي] معهـا ع ط و، ط و ع، ع ي ط، ي ع ط: ٢/ ٢٠٩، تهذيـب اللغـة، للإزهري، باب – العين والطاء: ٣/ ٦٦؛ ينظر: لسـان العرب، لابن منظـور، باب – فصل الطـاء المهملة: ٨/ ٢٤٠.

٣- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، باب [طوع]: ٣/ ٤٣١.

ثانياً: الطاعة في الاصطلاح

(الطاعة: هي موافقة الأمر)[١].

(الطاعة: هي حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولابد مع ذلك أن يكون العمل صالحاً وهو ما أمر الله به ورسوله. فكل طاعة عمل صالح وكل عمل صالح طاعة وهو العمل المشروع المسنون إذ المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب وهو العمل الصالح وهو الحسن وهو البر وهو الخير وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة والفجور والشر والظلم والبغي)[٢].

ثالثاً: تعريف المنكر لغة.

(نكر: قال الليث: النكر: الدهاء، والنكر: نعت للأمر الشديد، والرجل الداهي، تقول: فقله من نكره ونكارته، والنكرة: إنكارك الشيء وهو نقيض المعرفة، ويقال: أنكرت الشيء وأنا أنكره إنكاراً ونكرته)[٣].

(والإنكار: الجحود)[٤].

(نكر) النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه)[٥].

١- العدة في أصول الفقه: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق وتعليق: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، بدون ناشر، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ١/١٦٣.

٢- الاستقامة: ٢/٢٢٧، ٢٢٨.

٣- تهذيب اللغة، باب – أبواب الكاف والراء: ١/١٠٩.

٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب - [نكر]: ٢/٨٣٧؛ ينظر: لسان العرب: ٥/٢٣٢.

٥- معجم مقاييس اللغة: ٥/٤٧٦.

رابعاً: تعريف المنكرات اصطلاحاً.

مفردها منكر وقد عرفناه في الفصل السابق وقلنا هو: كل ما نهى عنه الشارع واستقبحه العقل السليم والأعراف.

خامساً: الأمر بالطاعة في القرآن الكريم.

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[١].

• قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

• وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [٣].

(وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح (فإن توليتم) أي: عن طاعة الله وطاعة رسوله،(فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغاً يبين لكم ويتضح وتقوم عليكم به الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة)[٤].

سادساً: من ثمرات الطاعة التي وردت في القرآن الكريم.

إنَّ ثمرات طاعة الله ورسوله كثيرة جداً نذكر منها:

١- **وصفهم الله تعالى بالصالحين،** قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ

١- سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

٢- سورة الأنفال، من الآية: ١.

٣- سورة التغابن، من الآية: ١٢.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/٨٦٧.

الصَّالِحِينَ ﴾[١].

٢- يثبتهم الله على الطريق المستقيم وعلى كلمة التوحيد

- قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٢].
- قال تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٣].
- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٤].

٣- لا ينقصهم من أعمالهم شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥].

٤- إن التزامهم يعود بالخير لهم.

- قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[٦].
- قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧].

٥- نالوا ثناء الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٨].

٦- إن عدم الطاعة تبطل الأعمال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [٩].

٧- إنهم من الفائزين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٤.
٢- سورة إبراهيم، من الآية: ٢٧.
٣- سورة النحل، من الآية: ١٠٢.
٤- سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
٥- سورة الحجرات، من الآية: ١٤.
٦- سورة الإسراء، من الآية: ٧.
٧- سورة الأحزاب، من الآية: ٧١.
٨- سورة فصلت، الآية: ٣٣.
٩- سورة محمد، الآية: ٣٣.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [١].

٨- بشرهم الله بما يسعدون به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢].

٩- لم يكلفهم الله إلا قدر استطاعتهم، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

١٠- وعده لهم بأي شيء يطلبوه، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٤].

١١- وأن الجنة مستقراً لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [٥]

أما الإمام السجاد ع؛ فأدعيته كلها حافلة بالمعاني الأخلاقية الداعية للطاعة وترك المنكرات فهو يقول: (أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، (ويحذركم الله نفسه).. ويحك ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنه، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك، فكأن قد وفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك، وصيرت إلى قبرك وحيداً، فرد إليك

١- سورة النور، الآية: ٥٢.
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٥.
٣- سورة التغابن، الآية: ١٦.
٤- سورة الزمر، الآية: ٣٤.
٥- سورة الفتح، من الآية: ١٧.

روحك، واقتحم عليك ملكان منكر ونكير لمسألتك، وشديد امتحانك، ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن أمامك الذي كنت تتولاه، وعن عمرك فيما أفنيته، وعن مالك من أين اكتسبته، وفيما أنفقته، فخذ حذرك، وانظر لنفسك، واعد الجواب قبل الامتحان، والمساءلة والاختبار، فإن تكن مؤمناً عارفاً بدينك، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله لقنك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب، فأحسنت الجواب، وبشرت بالجنة، والرضوان من الله، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك، ودحضت حجتك، وعييت عن الجواب وبشرت بالنار، واستقبلت ملائكة العذاب بنزل من حميم، وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم أن ما وراء هذا - يعني السؤال في القبر - أعظم، وأفظع، أوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، يوم ينفخ في الصور، ويبعثر فيه القبور، ذلك يوم الآزفة؛ إذ القلوب لدى الحناجر، كاظمين، ذلك يوم لا تقال فيه عثرة، ولا تؤخذ من أحد فدية، ولا تقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقيل توبة، ليس إلا الجزاء بالحسنات، والجزاء بالسيئات، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده.

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم عنها، وحذركموها في الكتاب الصادق، والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتدميره عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله يقول: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)،

وأشـعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما قد وعدكم في مرجعكم إليه من حسـن ثوابه، كما قد خوفكم من شـديد عقابه، فإنه من خاف شـيئاً حذره، ومن حذر شـيئاً تركه، ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الحياة الدنيا، الذين مكروا السـيئات، وقد قال الله تعالى: (أفأمن الذين مكروا السـيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتهـم العـذاب من حيث لا يشـعرون * أو يأخذهـم في تقلبهم فما هم بمعجزيـن * أو يأخذهـم على تخوف)؛ فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما توعد به القوم الظالمين، في كتابه، لقد وعظكم الله بغيركم، وإن السـعيد من وعظ بغيره، ولقد أسـمعكم الله في كتابه مـا فعل بالقـوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال: (وأنشـأنا بعدها قوماً آخرين) وقال: (فلما أحسـوا بأسـنا إذا هم منها يركضون) يعني يهربون. قال: (لا تركضوا وارجعوا إلى ما ترفتم فيه ومسـاكنكم لعلكم تسـألون)؛ فلما أتاهم العذاب (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين)؛ فإن قلتم أيها الناس: إن الله إنما عنى بهذا أهـل الشرك، فكيف ذاك؟ وهو يقول: (ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شـيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسـبين). اعلمـوا عباد الله أن أهل الـشرك لا تنصب لهم الموازين، ولا تنشر لهم الدواوين، وإنمـا يحـشرون إلى جهنم زمـراً، وإنما تنصب الموازين، وتنـشر الدواوين لأهل الإسـلام، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله تعالى لم يحبب زهرة الدنيا لأحد مـن أوليائـه، ولم يرغبهم فيها، وفي عاجل زهرتهـا، وظاهر بهجتها، فإنما خلق الدنيا، وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضربت لكـم فيـه الأمثال، وضربت الآيات لقوم يعقلون، فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذيـن يعقلـون، ولا قوة إلا بالله، وازهدوا فيها، زهدكم الله في من عاجل الحياة الدنيا، فإن الله يقول: - وقوله الحق - (إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من

السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وازينّت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)، ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله قال لمحمد (صلى الله عليه وآله): (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها قراراً، ومنزل استيطان. فإنها قُلعة، ومنزل بُلغة، ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة، قبل تفرق أيامها، وقبل الأذن من الله في خرابها، فكان قد أخربها الذي عمرها، أول مرة، وابتدأها، وهو ولي ميراثها، واسأل الله لنا ولكم العون على تزود التقوى، والزهد في الدنيا، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل هذه الحياة الدنيا، الراغبين في جل ثواب الآخرة فإنما نحن له وبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهكذا نجد في هذه الموعظة الكثير من البعد التصويري الفني المبدع والرائق لمشاهد يوم القيامة حين يجزى الناس بأعمالهم خيرًا فخيرٌ، وشرًّا فشرٌّ، فلا نجاة يومها للإنسان من عذاب الله إلا بالعمل الصالح، فهو الذي ينقذه من أهوال يوم القيامة ومشاهده المروعة.

ويحذر الإمام السجاد عليه السلام من اقتراف المعاصي والذنوب، واتباع الشهوات التي تلقي الناس في شر عظيم، كما حذر ع من سلوك طريق الظالمين، لأن الله تعالى أنزل بهم عقابه الصارم فأهلكهم ودمر ديارهم، وأذاقهم وبال ما كانوا يظلمون.

وشيء آخر بالغ الأهمية في هذه الموعظة، هو أن موازين القسط والعدل التي تنصب يوم القيامة إنما هي للمسلمين، وأما الذين كفروا فلا تنشر لهم الدواوين، ولا تنصب لهم الموازين، وإنما يساقون إلى جهنم زمرًا.

ولذلك نجد الإمام السجاد عليه السلام يقول في موضع آخر: كفانا الله، وإياكم الظالمين، وبغي الحاسدين، وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا، المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها، وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غدًا، واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيث ما زهدك الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدها داراً وقراراً، وبالله إن لكم مما فيها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها، وتغييراً نقلاً بها، ومثلاتها، وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه، وإن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان، لتثبط القلوب عن نيتها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله، ونهج سبيل الرشاد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتعظ بالعبر، وازدجر، فزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين، فعند ذلك نظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة، حديدة النظر، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة، فقد - لعمري - استدبرتم من الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة، والانهماك فيها، ما تستدلون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق، فاستعينوا بالله، وارجعوا إلى طاعته، وطاعة من هو أولى بالطاعة من طاعة من اتبع وأطيع.

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة، والقدوم على الله، والوقوف بين يديه، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل بطاعته إلا

إلفـان مؤتلفان، فمن عرف اللـه خافه، فحثه الخوف على العمل بطاعة الله، وإن أربـاب العلـم وأتباعهم، الذيـن عرفوا الله فعملوا له، ورغبـوا إليه وقد قال الله: (إنمـا يخشى الله من عباده العلماء)؛ فلا تلتمسـوا شـيئاً في هـذه الدنيا بمعصية الله، واشـتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله، واغتنموا أيامها، واسـعوا لما فيه نجاتم غداً من عذاب الله، فإن ذلك أقل للتبعة، وأدنى من الغدر، وأرجى للنجاة، فقدموا مـر اللـه وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلها، ولا تقدموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت، وفتنة زهرة الدنيا بين يدي أمر الله، وطاعتـه، وطاعـة أولي الأمر منكم، واعلموا أنكم عبيـد الله، ونحن معكم، يحكم علينـا وعليكم سـيد حاكم غداً، وهو موقفكم، ومسـائلكم، فأعـدوا الجواب، قبل الوقـوف والمسـاءلة والعـرض على رب العالمـين، يومئذٍ لا تكلم نفـس إلا بإذنه، واعلمـوا أن اللـه لا يصدق كاذبـاً، ولا يكذب صادقاً، ولا يرد عذر مسـتحق، ولا يعذر غير معذور، بل لله الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل، فاتقوا اللـه واسـتقبلوا من إصلاح أنفسـكم، وطاعة الله وطاعة مـن تولونه فيها، لعل نادماً قد ندم على ما فرط بالأمس في جنب الله، وضيّع من حق الله، واستغفروا اللـه وتوبـوا إليـه فإنـه يقبل التوبـة، ويعفو عن السـيئات، ويعلم مـا تفعلون، وإياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعـدوا من سـاحتهم، واعلموا أنه من خالف أوليـاء الله، ودان بغير دين الله، واسـتبد بأمـره دون أمـر ولي اللـه، في نـار تلتهب، تـأكل أبداناً، قـد غابت عنها أرواحها، غلبت عليها شـقوتها، فهم موتى لا يجدون حر النار، فاعتبروا يا أولي الأبصـار، واحمدوا اللـه على ما هداكم، واعلموا أنكـم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسـيرى الله عملكم ثم إليه تحشرون، فانتفعوا بالعظة، وتأدبوا بآداب الصالحين..).

وهذه الموعظة من غرر مواعظ الإمام (عليه السلام)، ولم يقتصر على الدعوة إلى الزهد في الدنيا والعمل للآخرة، وإنما كانت في الوثائق السياسية، والاجتماعية، وقد حفلت بما يلي:

١. التحذير من اتباع الطواغيت واتباعهم من المفتونين بحب الدنيا، والمغرورين بزينتها وبهجتها، فإنهم جميعاً من الشبكة التخريبية التي تعمل على مناهضة الإصلاح الاجتماعي، ونشر الظلم والفساد في الأرض.

٢. ذم الدنيا، والتنديد بطبيعتها، والتي منها:

(أ) رفعها الخاملين.

(ب) وضعها الأحرار والأشراف.

(ج) دفعها أقوامًا إلى النار، وذلك لانحرافهم عن الحق.

وإذا كانت طبيعة الدنيا إقامة الرذائل، ومناهضة القوى الخيرة، فالأجدر الزهد فيها، والتجافي عن شهواتها، والسعي في الظفر بنعيم الآخرة.

١. إبداؤه الأسى على ما تواجهه الأمة في عصره من ألوان مريعة ومذهلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، من قبل الحكومة الأموية التي أغرقت البلاد بالظلم والفتن والجور، وكان وقع تلك الأحداث شديداً على الأمة، فقد ثبطت القلوب عن نياتها، وأذهلتها عن طريق الحق والرشاد.

٢. الدعوة إلى طاعة الله، وطاعة أئمة الحق والهدى الذين يسلكون بالناس سبل النجاة، ويهدونهم إلى صراط مستقيم، والذين يمثلون إرادة الأمة ووعيها، ويحققون لها جميع ما تصبوا إليه من العزة والكرامة، كما دعا (عليه السلام) إلى التمرد على أئمة الجور، وعدم التعاون معهم.

٣. الحث على تقى الله وطاعته اللذين تزدهر بهما حياة الإنسان، ويستقيم بهما سلوكه.

هذه بعض محتويات هذه الموعظة الحافلة بالأمور الدينية والشؤون السياسية[١].

ولا يفوت الإمام السجاد عليه السلام من الإشارة إلى صفات الزاهد في هذه الدنيات والمترفع عن سفاسفها، فيقول: (إن علامة الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، تركهم كل خليط، وخليل، ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدون، إلا وأن العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت أهبته، الحاث على العمل قبل فناء الأجل، ونزول ما لابد من لقائه، وتقديم الحذر قبل الحين؛ فإن الله عز وجل يقول: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت) فلينزلن أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته، واعلموا، عباد الله، أنه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد، وأمسك عن بعض الطعام والشراب، من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف، ويحك يا ابن آدم، من خوف بيات سلطان رب العزة، وأخذه الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب، مع طوارق المنايا بالليل والنهار فذلك البيات الذي ليس فيه منجى، ولا دونه ملتجأ، ولا منه مهرب، فخافوا الله، أيها المؤمنون من البيات، خوف أهل التقوى فإن الله يقول (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد)؛ فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها، وتذكروا عاقبة الميل إليها فإن زينتها فتنة، وحبها خطيئة. واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة، وفطرة الميلة، وسكر الشبع، وعزة الملك مما يثبط، ويبطئ عن العمل، وينسي الذكر، ويلهي عن اقتراب الأجل، حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب، وإن العاقل عن الله، الخائف منه، ليمرن نفسه، ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع، وكذلك تضمير

١- مواعظ وحكم الإمام زين العابدين،
https//:www.binkhamis.org/lecture/view271/

الخيل لسبق الرهان.

فاتقوا الله عباد الله تقوى مؤمل ثوابه، وخائف عقابه، فقد أعذر الله تعالى وأنذر، وشوق، وخوّف، فلا أنتم إلى ما شوقكم إليه من كريم ثوابه تشتاقون فتعملون، ولا أنتم مما خوفكم من شديد عقابه، وأليم عذابه، ترهبون، فتنكلون، وقد نبأكم الله في كتابه أنه (من يعمل من الصالحات، وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون)، ثم ضرب لكم الأمثال في كتابه، وصرف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا، فقال: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)، فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا، وأطيعوا.. فاتقوا الله واتعظوا بمواعظ الله، وما أعلم إلا كثيراً منكم قد نهكته عواقب المعاصي فما حذرها، وأضربت بدينه فما مقتها، أما تسمعون النداء من الله بعينها وتصغيرها حيث قال: (اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)، وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس إلى ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)؛ فاتقوا الله عباد الله، وتفكروا واعملوا لما خلقتم له، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، قد عرفكم نفسه، وبعث إليكم رسوله، وأنزل عليكم كتابه فيه حلال وحرامه، وحججه وأمثاله، فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: (ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين)؛ فهذه حجة عليكم، فاتقوا الله ما استطعتم فإنه لا قوة إلا بالله، ولا تتكلوا إلا عليه وصلى الله على محمد وآله..).

وقد ألمت هذه الموعظة القيمة بصفات الزاهدين ونزعاتهم، فكانوا حقاً من خيار خلق الله، فلم تفتنهم الدنيا، ولم تغرهم زينتها وشهواتها، فقد اتجهوا نحو الدار الآخرة وعملوا كل ما يقربهم إلى الله زلفى، فكانوا في سلوكهم، وحسن أفعالهم، وجمال أحدوثتهم قدوة حسنة لمن يهتدي بهم[١].

ومن مواعظ الإمام السجاد التي وجه فيها الخطاب لنفسه، وهي من المواعظ التي ترتعد منها الفرائص، وتفزع منها القلوب، وهذا نصها:

(يا نفس حتى م إلى الدنيا سكونك، وإلى عمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من ألّافك؟ ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى الثرى من أقرانك؟ فهم في بطون الأرض بعد ظهورها، محاسنهم فيها بوال دواثر.

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت أيدي المنون من قرون، وكم غيرت الأرض ببلائها، وغيبت في ترابها منم عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأرماس، ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الإفلاس:

وأنت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمشي وتصبح لاهياً أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءاً يسعى لدنياه دائباً ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتى م على الدنيا إقبالك؟ وبشهواتها اشتغالك؟ وقد وخطك القتير(٣٨) وأتاك النذير، وأنت عما يراد بك ساه، وبلذة يومك وغدك لاه، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حل بهم من المصيبات.

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى عن اللهو واللذات للمرء زاجر

١- مواعظ وحكم الإمام زين العابدين، مرجع سابق.

أبعـــد اقـــتراب الأربعـــين تربص وشيـب قـذال منـذر ومكابر
كأنك معـــنيّ بما هـــو ضائر لنفســـك عمداً وعن الرشـــد حائر

انظر إلى الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف اختطفتهم عقبان الأيام ووافاهم

أمسوا رميماً في التراب وعطلت مجـالسهم منهـــم وأخلى مقارم
وحلوا بدار لا تـــزاور بينهم وأنـى لسكـــان القبور التزاور
فما أن ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطحـــة تسفي عليها الأعاصر

الحمـام، فامحـت من الدنيـا آثارهم، وبقيـت فيها أخبارهم، وأصبحـوا رمماً في الـتراب إلى يوم الحشر والمآب.

كـم من ذي منعة وسـلطان، وجنـود، وأعوان، تمكـن من دنياه، ونـال فيها ما تمنـاه، وبنـى فيها القصور والدسـاكر وجمع فيهـا الأمـوال والذخائر، ومليح السراري والحرائر.

فما صـــدفت كف المنية إذ أتت مبـــادرة تهـــوى إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى وحف بهـــا أنـــهاره والدساكر
ولا قارعت عنـــه المنية حيلة ولا طمعت في الذب عنه العســـاكر

أتـاه مـن اللـه مـا لا يـرد، ونـزل به مـن قضاءه مـا لا يصـد، فتعالى اللـه الملك الجبـار، المتكبر العزيز القهـار، قاصم الجبارين، ومبيد المتكبرين، الذي ذل لعزه كل سـلطان وأبـاد بقوتـه كل ديان.

مليـك عـــزيز، لا يرد قضاؤه حكيـــم عليم، نافـــذ الأمر، قاهر
عنا كل ذي عـــز لعزة وجهه فكم من عزيـــز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعـــزة ذي العرش الملـــوك الجبابر

فالبـدار، البـدار، والحـذار الحـذار مـن الدنيـا ومكايدهـا، وما نصبـت لك من مصايدهـا وتحلـت لـك من زينتهـا، وأظهرت لك مـن بهجتها، وأبـرزت لك من شـهواتها، وأخفت عنـك من غوائلهـا وهلكاتها.

وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى دفعـــها داع وبالزهد آمر

فجدّ ولا تغفل وكن متيـــقظاً فعما قـــليل يترك الـــدار عامر
فشمر ولا تفـتر، فعمرك زائل وأنـــت إلـــى دار الإقامة صائر
ولا تطب الدنيا فـــإن نعيمها وإن نلـــت منها- غبـــه لك ضائر

فهـل يحـرص عليها لبيـب، أو يسربهـا أريب؟ وهو عـلى ثقة مـن فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عينا من يخشى البيات، وتسـكن نفس من توقع في جميع أموره الممات.

إلا لـــه، ولكنَّا نغر نفوســـنا وتشـــغلنا اللذات عمـــا نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقف بمـــوقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنَّا نرى أن لا نشـــور، وأننا ســـدى، ما لنا بعد الممات مصادر

ومـا عـسى أن ينال صاحـب الدنيا من لذتها، ويتمتع به مـن بهجتها مع صنوف عجائبهـا وقـوارع فجائعها، وكثرة عذابه في مصابهـا وفي طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها.

أما قد نرى في كل يـــوم وليلة يـــروح عـــلينا صرفها ويباكر
تعاورنـــا آفاتهـــا وهمومها وكـــم قد ترى يبقى لها المتعاور
فـــلا هو مغبـــوط بدنيا آمن ولا هو عن تطلابها النفس قاصر

كـم قـد غرت الدنيا مـن مخلد إليها، وصرعـت من مكب عليها، فلـم تنهضه من عثرتـه، ولـم تنقـذه من صرعته، ولم تشـفه من ألمه، ولم تبرئه من سـقمه، ولم تخلصه من وصمه.

بـــل أوردته بعد عز ومنعـــة موارد ســـوء ما لهـــن مصادر
فلـــــما رأى أن لا نجاة وأنه هو الموت لا ينجيـــه منه التحاذر

إذ بكـى على ما سـلف مـن خطاياه، وتحسر عـلى ما خلف من دنياه، واسـتغفر حتـى لا ينفعه الاسـتغفار، ولا نجيه الاعتذار عند هول المنيـة، ونزول البلية.

أحاطت بـــه أحزانه وهمومه وأبلس لمـــا أعجـــزته المقادر
فليس له من كربة الموت فارج وليـــس له مما يحـــاذر ناصر

وقــد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه اللها والحناجر

هنالـك خف عواده وأسـلمه أهله وعـواده، وارتفعت البرية بالعويل وقد أيسـوا من العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدوا عند خروج روحه رجليه، وتخلى عنه الصديق، والصاحب الشقيق.

فكم موجع، يبكي عليه، مفجع ومســـتنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً يعدد منـــه كـــل ما هو ذاكر
وكم شـــامت مستبشر بوفاته وعـــمَّا قليل للذي صـــار صائر

فشـقت جيوبها نسـاؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعـول لفقده جيرانه، وتوجه لرزيته إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا لإبرازه، كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى، ولا الحبيب المبدى.

وحـــل أحب القوم كان بقربه يحـث عـــلى تجهيزه ويبادر
وشمر من قد أحضروه لغسله ووجـــه لما فاض للقـــبر حافر
وكفـن في ثوبين واجتمعت له لتشيـعه إخـــوانه والعشائر

فلـو رأيـت الأصغر مـن أولاده، وقد غلب الحزن على فـؤاده، ويخشى من الجزع عليـه، وخضبت الدمـوع عينيه، وهو يندب أباه، ويقول: يا ويلاه واحرباه.

لعاينت من قبـــح المنية منظراً يهـــال لـمـــرآة، ويرتاع ناظر
أكـابر أولاد يهـــيج اكتئابهم إذا ما تناســـاه البنـــون الأصاغر
وربـــة نسوان علي جوازع مدامعهـــم فوق الخـــدود غوارز

ثم أخرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد، وهيل عليه اللبن احتوشـته أعمالـه، وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعـاً بما رآه، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب، ثم وقفوا سـاعة عليه، وأيسـوا من النظر إليه، وتركوه رهناً بما كسـب وطلب.

فهووا عـــليه معولين وكلهم لمثل الذي لاقى أخوه محـــــاذر
كشـــاءٍ رتاع آمنـــين بدالها بمديتـــه بـــادي الذراعين حاسر

فريعت ولم ترتع قليلاً واجفلت فلما نأى عنها الذي هو حـــــاذر

عـادت إلى مرعاها ونسـيت ما في أختها دهاها، أفبأفعـال الأنعام اقتدينا؟ أم على عادتهـا جرينـا؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البـلى، واعتبر بموضعه تحت الثرى، المدفوع إلى هول ما ترى.

ثوى مفـــرداً في لحده وتوزعت مـــواريثه أولاده والأصاهـــر
واحنوا على أمواله يقسمونها فـــلا حامد منهم عليها وشـــاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمـــــناً من أن تدور الدوائر

كيـف أمنت هـذه اللحظة وأنت صائـر إليها لا محالة؟ أم كيـف ضيعت حياتك، وهـي مطيتـك إلى مماتك؟ أم كيف تشـبع من طعامك وأنـت منتظر حمامك؟ أم كيف تهنأ بالشـهوات وهي مطية الآفات.

ولم تتـــزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشـــيك مســـافر
فيالهف نفسي كم أسوف توبتي وعمـــري فانٍ والـــردى لي ناظر
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عـــادل الحكم قادر

فكـم ترقـع بآخرتك دنياك، وتركب وغيك وهـواك، أراك ضعيف اليقين يا مؤثر الدنيـا عـلى الدين، أبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا أنزل القرآن؟ أما تذكر أمامك من شدة الحساب، وشر المآب، أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورًا، ومساكنهم قبورًا.

تخرب ما يـبقى وتعـمر فانيًا فـــلا ذاك موفـــور ولا ذاك عامر
وهل لـــك إن وافاك حتفك بغتة ولم تكتســـب خيرًا لدى الله عاذر
أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي ودينـــك منقوص ومالـــك وافر

وانتهـت هـذه الموعظـة، وقـد صورت واقـع الحياة الدنيـا، وما يـؤول إليه أمر الإنسـان مـن النزوح عـن هذه الدنيا، التي هو أحرص ما يكـون عليها، فقد هام بحبهـا، وتعلق بشـهواتها ومباهجهـا، مع علمه بمفارقتهـا إلى قبر مظلم ضيق،

تتقطـع فيـه أوصالـه، وتنحسر فيـه أخبـاره، ولا يبقى معه إلا عملـه، فإن كان صالحـاً، فـلا يأنـس إلا بـه، وإن كان شراً فلا يخـاف إلا منه.

ونحن لا يخالجنا شـك في مضامين هذه الموعظة، إلا أنا نشـك فيها من جهة ركاكة بعـض ألفاظهـا خصوصا ما اشـتملت عليه من النظم، وهي لا تتناسـب مع بلاغة الإمـام زيـن العابديـن عَلَيْهِ السَّلَامُ الـذي هو مـن أبلغ أئمـة البلاغة في العالـم العربي والإسلامي، فهو صاحب الصحيفة السجَّادية التي لم تعرف العربية أبلغ وأفصح منها.

المبحث الثالث

آثار الباراديغم الأخلاقي لدى الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

المطلب الأول: احترام حقوق الآخرين وحسن معاملتهم

يمثل الدين ضرورة من الضرورات والحاجات الرئيسة للفرد والمجتمع، فلا غنى لـه عن الايمان بربـه وعبادته؛ لذا نادراً ما تخلو أمة من عقيدة ودين، قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١][1] والعقيدة تهدف إلى تنظيم حياة الانسـان، وتهذيب سـلوكه وتوجيه تصرفاته وهذا لا تقوم به غير العقيدة الصحيحة ذات المنهج والتصور العقلائي، الذي ينظر بواقعية إلى ما يخدم الإنسان، ويرتقي به الى سِلَّم النجاح، فسلوكه وتصرفه نحو بني جنسه غالباً ما يكون تابعاً لما يعتقده في هذا الغير، فيعامل بالثقة مع من يتصف بالمصداقية والامانة، والخلق الحسن، اما من يتصف بالصفات الخلقية السـيئة فالمسـلم منه على حذر، وهكذا فأن كل امـة تتحكم بعقائدها، في تقاليدها وعاداتها، كما تحدد السـلوك لافرادها، ولكي يصبح الانسان لبنة صالحة في مجتمعه لابد له من اعتقاد سليم في وجود إله حق يتصف بصفات الكمال منزه عن النقائص يتفق فيه المؤمن بأنه مراقب ومحاسب على جميع تصرفاته القولية والفعلية، اما المجتمع الذي يتسم بتحلل افراده بفعل الفاسد من العقائد، يصبح مجتمعاً يسوده الاضطراب.

لقد صاغ الدين الاسلامي عقيدة الهية راسخة مستوحاة من الإيمان بالله تعالى والانقيـاد التام لأوامـره واجتناب معاصيـه، فكانت امة الاسـلام بموجب ذلك، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢][2]

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: إن فيها عدة أقوال منها (انتم خير امة وانما قال

١-[1] سورة فاطر، الآية: ١٤.

٢-[2] سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

كنتم لتقدم البشارة لهم في الكتب الماضية... ويعضده ما روي عن النبي(صلى الله عليه وسلم) انه قال انتم وفّيتم سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله... وقيل كنتم خير أمَّة عند الله في اللوح المحفوظ) [1] ولما كان أثر العقيدة في النفوس عظيمًا في تحقيق السعادة الإنسانية، فقد سعى المجتمع إلى تحصين بنائه الداخلي بسياج من القوة والمنعة على أساس من تلك العقيدة التي اصبحت لزاماً عليه وضرورة لا غنى عنها للفرد والمجتمع، ضرورة للفرد ليطمئن ويُسْعد نفسه وللمجتمع ليستقر ويتماسك، ((فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته والمجتمع بغير عقيدة مجتمع غابة، وان ظهرت له بوارق الحضارة فهو مجتمع تعاسة وشقاء وليس له غايات واهداف واهله يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام)) [2].

إن تكريم الإنسان في القرآن هو تكريم لذاته الإنسانية قال تعالى:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، فهذا التكريم هو جامع لكل الخير والشرف والفضائل، ومن هنا نجد الإمام السجاد ع يبتدأ بالدعاء بدءاً بحمد الله عز وجل والثناء عليه، لتحسينه تلك الصورة الإنسانية وجعلها مفضلة على سائر المخلوقات يقول: (والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْق، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْق، وجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْق، فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه) [3]. فالمراد من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا هو الشكل والصورة، خلق سبحانه الإنسان في أحسن

١- جمع البيان، الطبرسي: ٢/٦١٧.
٢- الميزان في تفسير القران، للطبطبائي:١٧/٣٥٠.
٣- الصحيفة السجادية: ٣٠

خلقة وأحكمها وأدقها[١].

ولا شك بأن العقيدة الإسلامية نهدف إلى إرشاد المؤمنين إلى مسالك الحق والمعرفة الراسخة بأنفسهم، وحقيقة وجودهم في الحياة ضمن منهج سنه لهم خالقهم، الهدف من ورائه اسعادهم وتعايشهم بسلام فالمسلم في هذا الوجود لا يعيش (بمعزل عن سنن الكون فلقد خلقه الله كما خلق هذا الوجود وهو في تكوينه المادي من طين هذه الارض، وما وهبه الله من خصائص زائدة على مادة الطين جعلت منه إنساناً إنما رزقه الله اياه مقدراً تقديراً وهو خاضع من ناحية كيانه الجسماني للناموس الطبيعي الذي سنه الله له) [٢].

وتحتم عقيدة المسلم أن يسير المؤمن بها على خطى التوجيه القرآني، الذي يأمره بالصلة الدائمة بربه، التي تهديه على الدوام إلى سواء السبيل وتنجيه من المهالك، فخالقهم عارف بنواياهم وأفعالهم لا يخفى عليه شيء وهو القائل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٣]، قال تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ قال الطباطبائي (ذكر أخفى أصناف العلم وهو العلم بالحضور النفساني الخفي... ونسب الوسوسة الى النفس دون الشيطان وان كانت منسوبة اليه ايضاً لان الكلام في احاطة العلم بالانسان حتى بما في زوايا نفسه من هاجس ووسوسة) [٤].

ودعا الإسلام إلى تعايش عقدي بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات عبر إيمانه برسالات الأنبياء السابقين دون تفريق بينها، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

١- ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية/٦٣

٢- المرجع نفسه: ص ٨٧.

٣- سورة ق، الآية: ١٦.

٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٨/ ٣٥٠.

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، وقد أثنى القرآن على الانبياء جميعًا، وعلى دورهم في أرساء السلام والتعايش، فوضعهم بأجلِّ أوصاف التكريم[1][2]، كما نعت كتبهم المقدسة بأنها كتب هداية ونور وموعظة؛ فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[2][3] وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[3][4].

وهنا تتجلى أبرز معاني التعايش في تأكيد الإمام السجاد ع على ما يحفظ بنيان المجتمع، وهذا واضح في تعاطيه الثقافي مع ظاهرة الظلم والتصدي للظالمين؛ فقد تحدث عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الظلم متبريا منه متصديا له متأثرا في ذلك في المضامين القرآنية، نجد ذلك في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه في مكارم الأخلاق ومرضِّي الأفعال: (واجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، ولِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي، وقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي)[4]، وجاءت أدعية الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ تعالج الظلم، ترفضه، تعرضه بصيغة الداء، وفي رجائه الانتصاف للمظلومين، اليد على الظالم هي القدرة عليه لرد ظلمه وإجباره على العدل نجد الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ تأثر في كلماته بقوله تعالى:﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[5]، هنا يتبين من قول الإمام (عليه السلام) وظيفة المظلوم، وهي أن يتلمس العلة لردع الظلم عنه فأن خذلته الوظائف السليمة واستطاع قتل الظلم فعل ولا

١-[2] الآيات ٦٩ من سورة الاحزاب و١٧١ من سورة النساء و٤٥-٢٦ من سورة آل عمران.

٢-[3] سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٣-[4] سورة المائدة، الآية: ٤٦.

٤- الصحيفة السجادية/ ٩٤.

٥- سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

شيء عليه، كما جاء في كتاب جامع المدارك للسيد أحمد الخونساري(ت: ١٤٠٥هـ): (أن رجلا قال للإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللص يدخل على بيتي يريد نفسي، مالي ؟ فقال الإمام (عليه السلام): اقتله، فأشهد الله ومن سمع أن دمه في عنقي)[١]، فإنَّ الساكت عن ظالمه، وهو قادر على مقاومته فقد ظلم نفسه وما ربك بظلام للعبيد، وفي الدعاء إشارة إلى إعمال الفكر في مواجهة كيد الظالمين (وهب لي مكرا على من كايدني) إذ إن التفكير يقود – بتوفيق الله – إلى وسائل مختلفة لمواجهة كيد الظالمين ومكرهم، العدل فرح العالم والظلم كآبته وأحزانه، ومصائبه[٢]).

يقول الإمام(عليه السلام) في دعائه إذا اعتدى عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب (اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وخُذْ ظَالِمِي وعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، وافْلُلْ حَدَّه عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، واجْعَلْ لَه شُغْلًا فِيمَا يَلِيه، وعَجْزاً عَمَّا يُنَاوِيه)[٣]

نجد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ تأثر بكلماته من قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٤]؛ فغالبا ما تكمن الحركة الإنسانية في الحركة الدعائية، فقول الإمام: (خذ ظالمي)، أي أبعده عني ما أمطره بوابل من الدعوات الانتقامية. وكما معلوم أن الإمام ع يتميز بالحلم والتقوى، وكل ما يريده أن يرتفع الظلم من المجتمعات، يطلب زحزحته عن المظلوم، دون أذى الظالم، فهو لا يبغي الانتقام؛ لأن في الانتقام ظلما جديدا، وعنفا جديدا، هو يريد العدالة المطلقة، والسلام المطلق[٥].

ولا يفوت الإمام السجاد ع من التأكيد على أهمية التعاون والتعاضد، فالجماعة

١- جامع المدارك في شرح المختصر النافع، أحمد الخوانساري: ص ١٧١

٢- ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٢٥٨

٣- الصحيفة السجادية:٧٢.

٤- سورة الشورى، الآية: ٤٠.

٥- التأثر بالقرآن الكريم عند الإمام السجاد(عليه السلام) في الصحيفة السجادية، أ.م.د خولة مهدي شاكر الجراح، https://:imamhussain.org/arabic/٢٣٩٦٨.

المسلمة أسرة واحدة، وإن حاولت بعض الأفكار الشاذة أن تفرق بين بعض لأفرادها. وتؤدي التربية الاجتماعية إلى المحافظة على تماسك الجماعة وهذه ظاهرة جلية في دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال: (وأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، ولُزُومِ الْجَمَاعَةِ، ورَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، ومُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ)[١].

فدوام الطاعة للقيادة لأمر الله تعالى ونهيه،وتدوم هذه الطاعة وتكتمل بلجام النفس عن المعاصي لله تعالى (لزوم الجماعة)، أي تستلزم تماسك الجماعة وعدم الخروج على جمع الشمل ووحدة الكلمة، و لابد من اتخاذ موقف سلبي رافض لأهل البدع وإتباع الآراء المخترعة التي ليس لها في الدين أصل، وهو موقف اجتماعي شرعي يوقف سريان البدع والأباطيل ويحد من تفشيها بين البسطاء ويحافظ بذلك على التماسك الاجتماعي للجماعة المسلمة، أو المقاطعة الاجتماعية، وهو أسلوب ثابت في مواجهة المفسدين فقرره القرآن الكريم على لسان أنبيائه[٢] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [٣] ومن هنا جاء تأثر الإمام (عليه السلام) بمعنى الآية المباركة. ونجد في جانب آخر من الدعاء (ولا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، ولا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِك، ولا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، ولا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، ولا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ)[٤]، وهاتان العبارتان الأخيرتان تدلان على ضرورة التماسك الاجتماعي والابتعاد عن العناصر التي تضعف هذا التماسك، وتفسده، وتفرق بين المسلمين.

١- الصحيفة السجادية: ص ٩٦.
٢- ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٢٦٥.
٣- سورة مريم، الآية: ٤٨.
٤- الصحيفة السجادية/ ٩٦.

وجـاء في جانـب آخر من دعائه ع في خدمة النـاس: (وأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ ولَا تَمْحَقْـه بِالْمَنِّ، وهَـبْ لِي مَعَالِيَ الأَخلاق، واعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ)[١]؛ فهذه تربية دينيـة ترمي إلى محاولـة خدمة الناس وإيصال الخير لهم، مع الاحتراز الشـديد من المن؛ لأنه يمحق أثر تلك الخدمة في الدنيا والآخرة فكل عاقل يود بفطرته أن يكون محسـنا لا مسـيئا، وهل شيء أعظم من صنع الخير للناس وأن يجري على يدك خلاص المكروبين من المصائب والشـدائد[٢] .

إن المشـاكل الاجتماعيـة بـين الأفراد إنمـا تبدأ بخطأ من طرف أو شـخص فإذا قوبل الخطأ بتصرف من جنسه كردّ فعلٍ عليه، ترسخت المشكلة وتعقدت، وهذا لا يتوافق ما تدعو إليه التربية الاجتماعية السـليمة في مقابلة الإسـاءة بالإحسان؛ لإزالـة آثار الإسـاءة مـن القلـوب أولاً، ومن الواقـع الاجتماعي ثانيًا، ولإشـاعة الإحسـان بوصفه سـبيلاً أمثلاً للتعامل الاجتماعي، ونقرأ هذه الدروس الرائعة في دعائـه ع في مـكارم الأخـلاق ومرضيً الأفعـال: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَـلى مُحَمَّدٍ وآلِه، وسَـدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأَنْ أَشْـكُرَ الْحَسَـنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ[٣]، وفي هذا الدعاء تبرز علامات التضرع والخضـوع عنـد الداعي، فالإمـام ع يناجـي رب العالمين، ويقول ربي سـددني ووفقنـي أقابل وأكافي بالخير من أراد بي سـوءا، فـكان ع يطوف بالليل متنكِّرا عـلى بيوت الفقـراء، ويوزع عليهم الدراهم والدنانير[٤]. فـأيُّ تربية اجتماعية في اقتلاع الأمراض الاجتماعيـة أفضل من هذه التربية؟.

١- الصحيفة السجادية: ٩٢.

٢- ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٢٥٢.

٣- الصحيفة السجادية:٩٤.

٤- ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية: ٢٦٠.

ولعل من أهم المشاكل التي قد تهدد الجماعات البشرية هو نشوء الفرقة والاختلاف المؤدية إلى التنازع والذي هو الطريق الحتمي للفشل والوهم، ونرى في عبارات أدعية الإمام ع صفات الدور الاجتماعي للمتقين الصالحين، فكأن من دعائه ع في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال يقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وكَظْمِ الغَيْظِ، وإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وسَتْرِ الْعَائِبَةِ، ولِينِ الْعَرِيكَةِ، وخَفْضِ الْجَنَاحِ، وحُسْنِ السِّيرَةِ، وسُكُونِ الرِّيحِ، وطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، والسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وتَرْكِ التَّعْيِيرِ، والإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، والْقَوْلِ بِالْحَقِّ وإِنْ عَزَّ، واسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي)[1].

فالصالحون المتقون ليسوا منقطعين إلى محراب العبادة وتربية النفس فحسب بل أن دورهم الاجتماعي يدعوهم لإقامة العدل ونشره وجمع الكلمة على التقوى من خلال التخلص من النزعات والفتن، كذلك لا بد من أمور أخرى كإصلاح ذات البين، وإفشاء المعروف ونشره، ونبذ المنكرات وطردها.. وغيرها؛ فهذه المهمات الاجتماعية التي يتعلمها المسلمون من هذا الدعاء تجعل الدور الاجتماعي للدين حاضرا باستمرار وضروريا في المجتمع، وبدونه سيبقى المجتمع يتخبط تخبط العشواء في جميع جوانبه ما يؤدي إلى كثرة الأوبئة والأمراض وتشتت المجتمعات، وغير ذلك من الأمور الخطيرة التي تؤدي إلى القتال الدموي كما نشاهد ذلك في مجتمعنا الحالي[2].

وهنا يبرز بوضوح دور العقيدة الاسلامية في دعوتها للتعايش السلمي، مع الآخر القائمة على اساس المصلحة الاجتماعية والخير الانساني المحض من خلال قوله

١- الصحيفة السجادية: ص٩٦.

٢- ((التأثر بالقرآن الكريم عند الإمام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية، مرجع سابق.

تعـالى (لا يَنْهَاكُـمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُـمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُـمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُـمْ فِي الدِّيـنِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِـنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَـلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [١].قال الطبرسي: ليس ينهاكم الله عن مخالطة اهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل... وتعدلوا فيمـا بينكـم وبينهم من الوفاء بالعهـد[٢]. وقد دعت عقيدة الايمـان بالله تعالى، المسلمين كافة، الى القضاء على مفاهيم الفرقة والحقد والبغضاء والخصومة بين المؤمنـين كافـة، على اختلاف دياناتهم، فقال جلّ شـأنه (إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَـادُوا وَالنَّصَـارَى وَالصَّابِئِـينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِـلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُـمْ عِنْـدَ رَبِّهِمْ وَلا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُـونَ) [٣]واضاف الطبرسي في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي (لا خوف عليهم فيما قدّموا، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وقيل لا خوف عليهم في العقبى ولا يحزنون في الدنيـا وفي هذه الآية دلالة عـلى ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب) [٤]. وحرصـت عقيدتنا الإسـلامية على احـترام حرية العقيدة مع احترام ممارسـتها لـكل الأديـان وعدم العمل عـلى تعطيلهـا أو معارضتها تحت أيِّ عـذر كان، بل ذهبت تعاليمنا السـمحة إلى حدِّ قبول طلب الاسـتجارة للمشركين، إن هم طلبوا ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [٥].

١- سورة الممتحنة، الآيتان: ٨-٩.
٢- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٤٤.
٣- سورة البقرة، الآية: ٦٢.
٤- الطبرسي، المصدر السابق: ١/ ١٦١.
٥- سورة التوبة، الآية: ٦.

قـال الطباطبائـي (على الإسـلام والمسـلمين أن يعطوا كُلَّ الأمان لمن اسـتأمنهم، ليسـتحضر معـارف الدين ويسـتعلم اصول الدعـوة حتى يتبعهـا إن لا حت له فيها لوائح الصدق، وهذا أصل لا يقبل بطلاناً ولا تغييرا مادام الاسلام اسلاماً) [١]وقال ايضاً: (إنَّ الآية إنَّما توجب إجارة المستجير اذا استجار لأمر ديني يرجى فيه خير الدين) [٢].

وفي هـذه المعانـي الجليلـة يترك الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ (رسـالة الحقـوق)، هذه الرسالة العظيمة التي يتحدث فيها الإمام السجاد «ع « عن الحقوق المهمة للناس، وعـن ثقافـة الحقـوق قبل أن يتحـدث العالم عـن وثيقـة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م بمئات السنين مما يوضح لنا الرؤية العميقة للإمام السجاد عليه السلام عن حقوق الإنسان، حيث تعد رسالة الحقوق للإمام السجاد من أهم الآثـار التي وصلت إلينا بعد الصحيفة السـجَّادية، حيـثُ يبيِّنُ فيها الإمام وظائف الإنسـان وواجباته تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه نفسه والآخرين، وقد ذكرها ابـن شـعبة الحراني في كتابه (تحف العقول)، وهـي عبارة عن خمسين حقًّا وعلى روايـة الشـيخ الصدوق في كتابه(الخصـال) واحد وخمسين حقًّا.

إن الإمام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يعد مؤسِّسًـا لثقافة حقوق الإنسان، فهو أول من وضع رسـالة لحقوق الإنسـان قبـل أربعة عشر قرنًا مـن الزمان، وذلـك لإدراكه أهمية احترام حقـوق الإنسـان، وأنهـا تشـكل المنطلـق لبناء نظـام اجتماعي متماسـك، وتحقيـق العدالـة الاجتماعية، وضمـان سلامة العلاقات الفرديـة والاجتماعية في إطـار مـن الاحترام المتبادل، والتسـامح تجاه الآخر، والقبـول بالرأي المخالف.

أما غياب ثقافة حقوق الإنسـان فيؤدي إلى شـيوع التعصب والتشدد والتطرف،

١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٩/ ١٦٠.

٢- المصدر نفسه: ٩/ ١٦١.

في حين أن معرفة حقوق الذات، فضلاً عن حقوق الآخر يؤدي إلى سيادة القانون، ونمو ثقافة الاحترام والتكريم للإنسان.

إن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بيّن للناس حقوق الإنسان بعد واقعة الطف، وتأتي أهمية رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بوصفها أسبق وثيقة تحدثت عن حقوق الإنسان، في حين أن أقدم الوثائق الدولية التي صدرت عن حقوق الإنسان لا تزيد عن قرنين من الزمن. إذ أن أهم ما صدر من وثائق عن حقوق الإنسان، وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٠/١٢/١٩٤٨م، وكان هذا الإعلان قد اقتبس قواعده من إعلان الثورة الفرنسية - التي حدثت عام ١٧٨٩م- لحقوق الإنسان، واعترافها بالحقوق الطبيعية للأفراد.

وقد امتازت وثيقة (رسالة الحقوق) للإمام السجاد ع بأنها تطرقت إلى حقوق أكثر مما هو مدون في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ إذ اشتملت رسالة الحقوق على خمسين حقاً، وفي رواية أخرى على واحد وخمسين حقاً، في حين أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يتجاوز ٢٩ مادة، كما أشارت رسالة الإمام الحقوقية إلى حقوق تجاهلتها الوثائق الدولية لحقوق الإنسان، كحق الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعبده، وهي أكبر الحقوق؛ بل أصلها.

ثم أشار الإمام السجاد ع إلى حقوق الإنسان المفروضة من الله تعالى تجاه نفس الإنسان، وأنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال رؤية الإسلام لذلك.

ويمكن تقسيم حقوق الإنسان الرئيسة التي أشار إليها الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في رسالته الحقوقية ضمن المحاور الآتية:

١. **حق الخالق وحق المخلوق (حق الله، وحق النفس)**

١- حقوق الأعضاء:

وتشـمل الحقوق التالية: حق اللسـان- حق السـمع- حق البصر- حق اليد- حق الرجـل- حق البطن- حق الفرج.

٢- حقوق الأفعال:

وتشمل هذه الحقوق ما يلي: حق الصلاة- حق الحج- حق الصوم- حق الصدقة- حق الهدي.

٣- حقوق الأئمة:

وتشـمل هذه الحقوق ما يلي: حق السـلطان- حق سائسـك بالعلم- حق سائسك بالملك.

٤- حقوق الرعية:

وتشـمل حقـوق الرعية الأصنـاف التالية: حـق رعيتك بالسـلطان- حق رعيتك بالعلـم- حق الزوجـة- حق المملوك.

٥- حقوق الرحم:

وتشمل حقوق الرحم الأصناف التالية:

حـق الأم- حـق الأب- حق الولد- حق الأخ- حق مولاك المنعم عليك- حق مولاك الذي أنعمت عليه.

٦- حقوق عامة الناس والأشياء:

وتشمل هذه الحقوق٢٤ حقاً منها: حق المؤذن- حق إمام الجماعة- حق الجليس- حـق الصاحـب- حق الخليط- حق الشريك- حـق الكبير- حق الصغير- حق أهل الإسلام- حق أهل الذمة.... وغيرها من الحقوق العامة.

ونلاحظ أن الإمام السـجاد ع قد ختم رسـالته الحقوقية بحقوق أهل الإسـلام،

وإن اختلفوا في مذاهبهم وآرائهم ومرجعياتهم الفكرية، فلكل مسلم أن يمارس عباداته وشعائره ومعتقداته بحسب مذهبه. ثم بحقوق من يشترك مع الإنسان في الأرض الواحدة والنظام السياسي الواحد، وإن اختلف معهم في الدين، لكنهم يشتركون في الإنسانية، وفي النظام السياسي الواحد، فلهم حقوق المواطنة، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، دون أن يدعوا المسلمين إليها. ولهم الحرية في إجراء مراسيم عباداتهم، كما أن لهم أن يعملوا حسب شريعتهم في عقودهم وطلاقهم... وغيرها من الأحوال الشخصية؛ يقول الإمام السجاد عليه السلام: ((وحق أهل الذمة: أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل، ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجل بعهده)).

وتشكل هذه الرسالة الحقوقية وثيقة تاريخية أكثر من مهمة وهي بحاجة للمزيد من الدراسة والتحليل، وفيها دلالة عميقة على تقدم فكر أهل البيت ومنهجهم الرباني[١].

إن علينا أن نستفيد من رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن نعطي اهتمامًا أكبر بمسألة حقوق الإنسان، ونعمل على نشر ثقافة الحقوق بين الناس، حتى يعلم كل شخص حقوقه وواجباته الفردية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق العدالة الاجتماعية للجميع، ومن هذه المعاني تتضح لنا جملة حقوق رئيسة في التعايش واحترام الآخر، أبرزها:

أولاً: إن أصل البشر واحد.

• وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا

١- الإمام السجاد (ع) ورسالة حقوق الإنسان، الشيخ عبد الله اليوسف، https://www.maghalat/ar/com.islam٤u.

نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[١].

• وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[٢]

والقول في تأويل قوله عز وجل:﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ .

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة): (احذروا، أيها الناس، ربكم أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به. ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، معرفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وأن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له، فقال: (الذي خلقكم من نفس واحدة)، يعني: من آدم)[٣].

ثانياً: إنه خلق لحكمة وليس عبثاً.

• قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [٤].

وقوله:﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾يقول تعالى ذكره: أيظن هذا الإنسان

١- سورة الحج، من الآية: ٥.

٢- سورة الأعراف، من الآية: ١٨٩.

٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٧/ ٥١٣، ٥١٤.

٤- سورة القيامة، الآية: ٣٦.

الكافر بالله أن يترك هملاً أن لا يأمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة)[١].

ثالثاً: إن قوته ونشاطه لا بد من نفاذهما وأنه سيسأل عن أعماله.

• قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [٢].

• قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٣].

(عن ابن عباس: (في أحسن تقويم)، قال: « يعني في أعدل خلق»، ثم (رددناه أسفل سافلين)، يعني: «.إلى أرذل العمر»،(إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون)، يقول: غير منقوص، يقول: فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر، وكان يعمل في شبابه عملاً صالحاً كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه، ولم يضره ما كان يعمل في كبره، ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعدما يبلغ أرذل العمر)[٤].

رابعاً: إن ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى والعمل الصالح بعد الإيمان

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [٥].

• قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٤/ ٨٢، ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٣٨٩، برقم (١٩٠٧٢).

٢- سورة الروم: من الآية: ٥٤.

٣- سورة التين: الآيات: ٤ـ ٦.

٤- تفسير مجاهد: ١/ ٧٣٧.

٥- سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

بِالْعِبَادِ﴾ [١].

• قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[٢].

(يقول جل ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منا قربة... وعن قتادة قوله: (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وأن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن)[٣].

خامساً: إن الدين هو سبب الوحدة وليس الفرقة.

• قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٤].

قال القرطبي: يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله. وأما الحبل ، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان « حبلا لأنه سبب يوصل إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزع والذعر)[٥].

سادسًا: إن الإسلام نور يهتدى به.

قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

١- سورة آل عمران، من الآية: ٢٠.
٢- سورة سبأ، الآية: ٣٧.
٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٠/ ٤١١.
٤- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٧/ ٧٠.

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١].

(وجاء في تفسيرها: من كان ميتاً يقول: من كان كافراً. فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعةٍ ولا يدفع عنها من مكروه نازلة)[٢].

ثم بعد ذلك بين الله تعالى أنه هداه، (يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه في معاده فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه، ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك، حياةً وضياءً يستضيئ به، فيمشي على قصد السبيل ومنهج الطريق في الناس)[٣].

سابعًا: إن التنافس الحقيقي ليس من أجل الدنيا وحطامها.

إنَّ التنافس والمصارعة ليس من أجل الدنيا وحطامها، وإنما من أجل طلب المغفرة، والفوز بالجنة.

- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٤].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝﴾ [٥].

١- سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٩/ ٥٣٢، ٥٣٣.
٣- المصدر نفسه: ٩/ ٥٣٣.
٤- سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
٥- سورة المطففين، الآيات: ٢٢ـ ٢٦.

ثامنًا: احترام حقوق الآخرين.

إنَّ الوحدة الإنسانية والأخوة الإيمانية تتطلب من المسلم أن يحترم حقوق الآخرين ولا يتجاوزها وقد وردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تؤكد ذلك.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [1].
- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [2].
- قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [3].

١- سورة المائدة، الآية: ٨٧.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

٣- سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

المطلب الثاني

تفعيل الأساليب الوسطية الحسنة في معاملة الآخرين.

وتتجلى هذه الأساليب فيما يأتي:

١- التعامل بالحسنى مع الوالدين.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [١].

وواضح أن الله سبحانه وتعالى يؤكد هنا على وجوب طاعة الوالدين والبر بهما وقرن حقهما بحقه، وعدَّ عقوقهما من الكبائر، وهو – العقوق – نكران للمعروف في حق الوالدين كما أنه نكران الحق لله تعالى؛ لأن العاق قد تجاهل وصية الله في الوالدين، فقد قال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، ومهما قدّم الولد لوالديه فإنه لن يؤديهما حقهما، ومن هنا كان دعائه (عليه السلام) لأبويه (عليهما السلام) نجده قد تأثر بمفردات من الآية أعلاه، فيقول فيه الامام السجاد ع: (اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي، وأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي، واعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً، وعَلَيْهِمَا شَفِيقاً، اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي، وأَثِبْهُمَا عَلَى تَكْرِمَتِي، واحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاه مِنِّي فِي صِغَرِي، اللَّهُمَّ ومَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوه، أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْه حِطَّةً لِذُنُوبِهِمَا، وعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا، وزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

١- سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣،٢٤.

٢- التعامل بالحسنى مع الجار والأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل والإنفاق عليهم

• قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [١].

وفي هذا المعنى يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وأما حقُّ الجار؛ فحفظه غائبًا، وكرامته شاهدًا، ونصرته ومعونته في الحالين جميعًا، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت لما علمت حصنًا حصينًا، وسترًا ستيرًا، لو بحثت الألسنة عنه لم تتصل إليه لانطوائه عليه. ولا تستمع عليه من حيث لا يعلم لا تسلمه عنه شديدة، ولا تحسده عند نعمة، تقيل عثرته، وتغفر زلته، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له، ترد عنه الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله)

فهنا يحثنا الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا النصِّ المقتبس من رسالة الحقوق على تفهم حقوق الجار علينا، فالارتباط المكاني يفرض جملة من المحددات التي وردت في كثيرًا من الأحاديث والروايات؛ إذ للجار امتيازات خاصة متبادلة مع جاره، ومنها حفظ بيته في غيابه سواء حماية البناء العمراني أو أهل بيته، فالإنسان قد يتعرض لحوادث مختلفة في منزله ولا يجد حينها مسعفًا ومنقذًا سوى جاره بالدرجة الأولى الذي يكون أقرب إليه من الأهل والأصدقاء المقيمين في منطقة أخرى، وهنا نكتشف مدى عمق هذا الارتباط الجغرافي الذي يمنحنا تواصلا دائمًا في أغلب المناسبات بغضّ النظر عن طبيعتها فيما لو كانت حزينة أو سارّة.

١- سورة النساء، الآية :٣٦.

وقد نجحت كثير من علاقات الجيران بإحرازها بعدًا روحيًا يفوق الارتباط المكاني، وقد نسمع عن حكايات متعددة ومختلفة لجيران تطورت الروابط المشتركة فيما بينهم ليتحدوا مع جيرانهم ليكونوا عائلة واحدة عن طريق المصاهرة، وفي بعض الأحيان حتى كنتيجة طبيعية للعشرة الطويلة، لكن السؤال هنا كيف نجحوا بتحقيق ذلك من دون منغصات تعيق هذه العلاقة الروحية؟ الجواب حتما يكمن في أن يصون الجار جاره، فحفظ الأسرار التي يطلع عليها بحكم القرب، وتلبية احتياجاته عند الحاجة، وغضّ البصر عن حرمة أهل بيته، وتجاوز الأمور السلبية بإيجابية وعدَّها هفوات عابرة قد نتعرض لها دون نوايا سيئة، وعدم إيذائهم بشيء غير مقبول لا نرضاه لأنفسنا، والدفاع عنهم عند تعرضهم لمكروه، ونصيحتهم عند التقصير، والتعامل بمعروف، ومشاركتهم مناسباتهم، والشعور بالمسؤولية تجاههم بحدود المطلوب... وأكثر من هذا لننجح فعلا في كسب جار حقيقي يمكننا الاعتماد عليه والنظر إليه كونه فردًا من العائلة[١].

٣- إعطاء حقوق الزوجة والعدل المادي بين الزوجات.

- قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [٢].
- وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٣].
- عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((خيركم خيركم لأهله،

١- الرسالة السجادية وضمان حق الجار،
https//:waha.imamhussain.org31397/

٢- سورة النساء، الآية: ٤.

٣- سورة النساء، الآية: ١٢٩.

.[١]((وأنا خيركم لأهلي

يقـول الإمـام زين العابديـن ع: (وحقُّ الزوجة أنّ تعلم أن اللـه عزَّ وجلَّ جعلها لك سـكناً وأُنسـاً، وتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالى عليك، فتكرمَها وترفقَ بها، وإنْ كان حقُّـك عليهـا أوجب فـإنَّ لها عليك أن ترحمها، لأنَّها أسـيرك وتطعمها وتكسـوها فإذا جهلت عفوت عنها)[٢].

يتناول الإمام (عليه السلام) في هذه الفقرة المباركة من رسالته الحقوقيّة، الحقوق الشرعيّة والأدبيّة والماديَّة للزوجة، مرَّة بالتشريع لبيان الواجب والمطلوب، ومرّة أخرى بالتوجيه الوجدانيِّ المؤثّر؛ حيث يصوّر الإمام ع من أعماق القلب وأغوار الحسّ الصادق، طبيعة تلك العلاقة بتعبير لطيف رقيق ينهل من القرآن الكريم، ولا يُكتب إلا بحبره الّذي لا ينضب ويظلُّ يشعّ بأنوار الحقيقة الخالدة، فيوضح (عليه السلام) صلة النفس بالنفس، صلة السكن والقرار، صلة المودَّة والرحمة، صلـة السـتر والتجمُّـل؛ فيا ترى، ما الّـذي توجبه هذه الصـلات من حقوق على الزوج عليه مراعاتها، والقيام بها أمام شريكة العمر ورفيقة الدرب الطويل؟

أول الحقوق هو النفقة عليها؛ حيث ألزم الإسلام الزوج بالنفقة على زوجته وتهيئة المسـكن المناسـب لها، ضمن حدود قدرته الماليّة وإمكاناته الماديَّة. يقول تعـالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾[٣].

كمـا أن عـلى الرجل أن يكفيها من الطعام والشراب واللّباس إضافةً إلى المسـكن، وكلِّ مـا هـو ضروريٌّ في حياتها، كالطبابة وغيرها، فلا يترفَّه هو ويضيّق عليها.

١- سنن ابن ماجه: باب – حسن معاملة النساء: ١/٦٣٦، برقم (١٩٧٧).
٢- شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع): ص٥١٧.
٣- سورة الطلاق: الآية: ٦.

وهـذا الحـقّ ثابت لها حتّى وإنْ كانت غنيّة موسرة، وهي غير ملزمة بذلك إلا إذا أرادت، لأنّ الشريعـة لـم تكلِّفها بالإنفاق على زوجها، إلّا إذا أرادت هذا الأمر عن طيـب خاطر ورضًا متطوّعة غير مجبرة، عن إسـحاق بن عمّـار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حقُّ المرأة على زوجها الّذي إذا فعله كان محسناً؟ قال (عليه السـلام): (يشبعها ويكسوها، وإنْ جهلت غفر لها)[١].

أمـا ثانـي حقوق المـرأة على الرجـل: وِصالُها، وهو عبارة عـن حقِّها الزوجيِّ في العلاقـة معـه، والاتصـال بينهما كمـا أراده الله تعالى، ولذلـك لا يحقّ للزوج هجرانهـا والابتعـاد عنها زيـادة عن المدّة المحـدّدة في الشرع المبـين. ومن القبح بمـكان أن يقـصّر الرجل في أداء هذا الحقِّ لها، وقد ورد ذمٌّ الرجل المتهاون بهذا الأمـر في النصـوص الواردة عن أهل بيـت النبوة ع.[٢]

الحقُّ الثالث: عدم إهانتها

فينبغي التعامل معها بإحسان، فلا يعمد إلى استعمال الألفاظ النابية معها، وإن كان غاضبـاً أو محقّـاً، وهو المقصود من قول النبـيّ (صلى الله عليه وآله): (ولا يقبّح لها وجهاً)[٣].

الحقُّ الرابع: عدم الإضرار بها

ربّمـا يعمـد بعض الأزواج إلى الإضرار بالزوجة، حتّى تصل إلى حالة ترجو فيها الخـلاص مـن زوجها، فتبـذل مهرها لقـاء أن يطلِّقها، فيكون هـو الّذي ألجأها إلى هذه الحالة، من خلال المعاملة السـيِّئة والأسـلوب الوحشيِّ في التعاطي معها، وربّما يفرح الزوج بأنّه قد نجحت خطَّته ووصلت إلى الغاية الّتي رمى إليها من

١- مكارم الاخلاق: ص ٢١٧.
٢- سفينة البحار: ١/ ١٨٠.
٣- ميزان الحكمة: ص ٧٨٧٠.

خلال عمليّة الإضرار والاضطهاد الّتي مارسها مع زوجته. لكنّ الحقيقة أنّ الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) بريئان من هذا الرجل. وإضافة إلى ذلك، فإنّ ما أُجبرت الزوجة على دفعه له حرام عليه[١].

٤- إدامة الصلة مع ذوي القربى

لقد أكد الاسلام على صلة الأرحام وشدد على صلتهم بما لا يخفى على المتأمل فيما ورد من الأحاديث الكثيرة عن نبينا الأكرم وأهل بيته عليهم السلام، وفي ذلك إشارة لما تشكله صلة الأرحام من تقوية لوشائج القرب والتواصل بين أفراد المجتمع الإسلامي المنضبط والمتكاتف والواعي ولما تعكسه قطيعة الرحم من صورة عن مجتمع متمزق مختل العواطف لا يربط بين أفراده سوى المصالح المادية الضيقة والتي كل اهتمامها منصب على الأنا حتى تصبح الجماعة فيه أمراً مستهجنا فنرى كل فرد منه منكباً على ذاته وغارقا في أنانياته.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [٢].
- عن أنس قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))[٣].

إذن فالإسلام يدعو إلى مجتمع المحبة والتواصل والتعاون والإخاء والتكافل، مجتمع ليس فيه الحواجز النفسية والاجتماعية بين أبنائه، متشابك داخليًّا،

١- راجع تحرير الوسيلة، ج ٢: ص ٣٥٢، مسألة ١٤.؛ وينظر: عن الإمام السجّاد (عليه السلام): (حقُّ الزوجة أن تعلم أنّ الله عزَّ وجلَّ جعلها لك سكناً وأُنْساً). https://mail.almerja.com/reading.php?idm=212742

٢- سورة النساء، الآية: ١.

٣- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٢/٨٥٧، برقم (٩١١).

وآنئذ يستطيع هذا المجتمع أن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

وأن يكون: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وأن يكون: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو تداعت سائر الأعضاء بالسهر والحمى**».

وفي هذا المعنى يحذر الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، من قطع التواصل بين الفرد وأقربائه وأصدقائه فيقول: «إياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع»، قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[1].

٥- إشاعة التسامح كونه رمزاً للمحبة.

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [2].

وفي الحديث: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز))[3].

- وجاء في حديث آخر قال:((حق المسلم على المسلم ست)) قيل: ما هن يا رسول الله ؟ قال: ((إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له،

١- سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

٢- سورة النساء، الآية: ٨٦.

٣- صحيح مسلم، كتاب السلام، باب – من حق المسلم للمسلم رد السلام: ٤/ ١٧٠٤، برقم (٢١٦٢)، سنن ابن ماجة، باب – ما جاء في عيادة المريض: ١/ ٤٦١، برقم (١٤٣٥).

وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))[١].

إن ثقافة التسامح عند الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت تحمل ابعادًا اجتماعية وانسانية ودينية وسياسية واقتصادية وفكرية، وهي تدعو المجتمع التضحوي، المجتمع الإنساني إلى التحرُّر والبناء وفق النظرية الاسلامية.

إن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو شيعته؛ لأن يتواصلوا مع مخالفيهم، ويتزاوروا فيما بينهم، ويدعو لإعطائهم حقوقهم وعدم التعدي عليهم وعدم كشف ما يوجد العداوة لهم كما يذكر إن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ خاطب أحمد بن أبي نصير البيزنطي بقوله (وإياك ومكاشفة الناس؛ فإنَّا أهل البيت نصل من قطعنا، ونحسن إلى من أساء إلينا؛ فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة، ويشير في هذه الوصية إن أهل البيت ينهون الناس عن المكاشفة؛ لأنها إظهار عيوب الناس والعداوة لهم، أو كشف حال الناس في معتقداتهم ومذاهبهم وما هو مخفيٌّ لديهم من خصوصيات شخصية، أو فئوية، أو عرقية بحيث تؤدي إلى الفتنة.

ومن درر الكلمات قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا لأصحابه (أخواني أوصيكم بدار الآخرة ولا أوصيكم بدار الدنيا؛ فإنكم عليها حريصون وبها متمسكون؛ أما بلغكم ما قاله عيسى بن مريم ع للحواريين، قال لهم: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وقال: أيكم يبني على موج البحر دارًا تلكم الدار الدنيا فلا تتخذوها قرارًا، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ في العداوة لا تعادي أحدًا، وإن ظننت أنهُ لا يضرك، ولا تزهدن في صداقة أحد، وإن ظننت إنهُ لا ينفعك؛ فإنهُ لا تدري متى تخاف عدوك ومتى ترجم صديقك، وإذا صليت فصلي صلاة مودع)[٢].

المطلب الثالث: تحريم الاعتداء على الآخر.

١- المصدر نفسه: كتاب السلام، باب – من حق المسلم للمسلم رد السلام: ٤/ ١٧٠٥، برقم (٢١٦٢)، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: ٣/ ١٧٢٠، برقم (٢٦٧٥).

٢- شرح الصحيفة السجادية، للشيرازي: ص٦٥

لقد جاء الإسلام ليرسخ الحقّ بين الناس، ومن أهمّ ما هدف إلى تثبيت قواعده وتشييد أركانه هو «التوحيد الإلهي» فإلى جانب الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السليمين، سعى لمحو آثار الوثنيّة، وكسر أصنام الجاهليّة، لما استتبعت من تحميق النَّاس، وتعميق الجهل والذلّ في نفوسهم على حساب تضخم الثروة عند الطغاة، وتوغّل الفساد في المجتمع الإنساني.

وكان الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، جالسًا بين جلسائه يومًا؛ إذ وقف عليه رجلٌ من أهل بيته (هو الحسن بن الحسن المثنى)؛ فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمَّا انصرف، قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل؟، وأنا أحبُّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه. قالوا نفعل.

ولقد كنا نحب أن تقول له ونقول. فأخذ الإمام نعليه ومشى وهو يقول: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فعلم أصحابه أنه لا يقول له شيئاً إلا جميلاً، فلما أتى منزل الرجل قال: قولوا له: هذا علي بن الحسين. فخرج الرجل متوثباً للشر، وهولا يشك أنه إنما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه. فقال له علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يا أخي إنك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت... فإن كنت قد قلت ما في فأنا استغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك!، فقبل الرجل بين عينيه وقال: بلى قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به[1]، إن كلمات الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، أثرت في روح الرّجل فمحت عنه عذابه وأبدت على محيّاه سيماء الندم والتوبة متأسفاً على ما كان منه إليه. وبهذا أعطى الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، لمن كان بصحبته درسًا في العفو والصفح والإغماض، وأراهم التوبة السعيدة التي حصلت لذلك الرجل بسبب العفو عنه.

١- الإرشاد للشيخ المفيد، طبعة النجف الأشرف: ص٢٥٧.

٣- تحريم أكل أموال الناس بالباطل وأموال اليتامى على وجه الخصوص.

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

• قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [٢].

• وفي الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:((اجتنبوا السبع الموبقات)) قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال: ((الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[٣].

وقد خطب الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يحذر فيها من الدنيا؛ فبعدما حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وذكر جدّه فصلّى عليه، ثمّ قال: (أيّها الناس أحذّركم من الدنيا وما فيها، فإنّها دار زوال وانتقال تنتقل بأهلها من حال إلى حال، وهي قد أفنت القرون الخالية والأمم الماضية، وهم الذين كانوا أكثر منكم مالاً، وأطول اعمارًا، وأكثر آثارًا، أفنتهم أيدي الزمان، واحتوت عليهم الأفاعي والديان، أفنتهم الدنيا فكأنّهم لا كانوا لها أهلاً ولا سكّاناً، وقد أكل التراب لحومهم، وأزال محاسنهم، وبدّد أوصالهم وشمائلهم، وغيّر ألوانهم، وطحنتهم أيدي الزمان، أفتطمعون بعدهم بالبقاء؟

هيهات هيهات فلابد من الملتقى، فتدبّروا ما مضى من عمركم وما بقى، ما فعلوا فيه ما سوف يلتقى عليكم بالأعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل، وفروغ الأمل، فعن قريب تؤخذون من القصور إلى القبور، حزينين غير مسرورين، فكم والله

١- سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

٢- سورة النساء، الآية: ١٠.

٣- سنن أبي داود: باب ـ ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم: ٣/ ٧٤، برقم (٢٨٧٦).

من فاجر قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز وقع في مسالك الهلكات، حيث لا ينفعه الندم، ولا يغاث من ظلم، وقد وجدوا ما أسلفوا، واحذروا ما تزوّدوا، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربّك أحدًا، فهم في منازل البلوى همود، وفي عسكر الموتى خمود، ينتظرون صيحة القيامة، وحلول يوم الطامّة، (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى).

المبحث الرابع
الشيطان وأثره في فساد النفس

الشـيطان مـن حيث المعنـى اللغوي مأخـوذٌ: (من: شـطن أي تباعد، ومنه بئر شـطون، وشـطنت الدار وغربة شطون) [٣]، (وتشيطن الرجل إذا صار كالشيطان)[٤].

وعلى هذا يطلق مصطلح الشيطان لكل عاتٍ شريرٍ، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته؛ فالشيطان لكل عاتٍ متمرد من الجن والأنس والدواب، وأن الشيء إذا استقبح شُبّه بالشيطان، الشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء ولو رؤي لرؤي في أقبح صورة[١].

قال تعالى: ﴿أَنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[٢]، أي في قباحتها[٣]. والشـيطان نفسه إبليس، وسـمي إبليس إبليساً نسبة إلى كلمة ابلـس، أي يئـس وندم وأبلس من رحمة اللـه، أي يئس من رحمة الله وندم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٤].

وإبليـس مشـتق منه؛ لأنه أبلس من رحمـة الله أي أُيس[٥] والشـيطان من الجن (بالفتح) وهو الاستتار، وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة مسـتور عن حواسنا بحسـب طبعها، وهم غير الملائكة [٦].

وسمي الشيطان خنّاسًا؛ لأنَّهُ يوسوس للإنسان؛ فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر

١- الشـيطان أسـاليبه، آثاره: السـيد سـعيد الأعرجي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م: ص ١١.

٢- سورة الصافات، الآيتان: ٦٤-٦٥.

٣- لسان العرب، ابن منظور: مادة شطن: ٧/ ١٢١.

٤- سورة الروم، الآية: ١٢.

٥- لسان العرب، ابن منظور: مادة ابلس: ٧/ ٤٨٢.

٦- تفسير الميزان، الطباطبائي: ٧/ ٣٢١.

(أي خنس وسكن)؛ ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته[١].

والشـيطان اسم جنس يشـمل إبليس وغيره، ونحن لم نر كائنًا من جنس خاص يسـمى شيطانًا، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا ينفيه؛ فوجب التصديق[٢].

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اسم إبليس هو (الحارث)، وإنَّما قول الله عزَّ وجلَّ(يا إبليس) ياعاصُي، وسُـمّي إبليس؛ لأنَّهُ أبلس من رحمة الله تعالى أي يئس منها[٣].

ومعنـى الرجيم أنـه مرجوم باللعن، مطرود من مواضـع الخير لا يذكره مؤمن إلا لعنه[٤].

وقـد ترسـخت العداوة بين الانسـان والشـيطان، وتلك هي سُـنَّةُ اللـه في الكون منـذ خلق السـموات والأرض إلى أن يرث الأرض ومـن عليها، الصِّراع بين الحقِّ والباطل، معاداة الباطل للحقِّ ومعادة الحقِّ للباطل، ولقد تناول كتاب الله وهو كتـاب الهدايـة و البيان، مسـألة العداوة بـين إبليس وجنده مـن جهة والمؤمنين من خلق الله من جهة أخرى بشـكل واضح، مبيناً سـبب هذه العداوة ومنشـئها ومحذِّرًا إتباع الحـق من الاغترار بالباطل.

إن وسـائل الشـيطان لإضلال الإنسـان تختلف باختلاف ما عليه الإنسـان من طبيعة وروحية وتركيبة؛ فهو يسـتغلُّ نقاط الضعف في روحيَّة الإنسـان وقلبه، ويدخـل إليه بوسـائل مناسـبة لهـذا الضعف ممَّـا ينتج الانحـراف بعد اختلال التوازن.

١- تفسير الميزان، الطباطبائي:٢٠/٣٩٧.

٢- في ضلال الصحيفـة السـجادية، محمـد جواد مغنيـة، دار التعـارف، بيروت، لبنان، ط٢، د. ط: ص١٦٤.

٣- معانـي الأخبـار، أبو جعفر محمد بـن علي بن الحسين الصدوق: تحقيـق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المعرفة، د. ط، ١٣٩٩هـ: ص ١٣٨.

٤- المصدر نفسه: ص ١٣٩

ورد في دعـاء شـهر رمضـان:(... وأعذنـي فيهِ مِنَ الشـيطان الرَّجيـم وَهَمْزِهِ وَلَمْزِهِ وَنُفْثِهِ وَنُفْخِهِ وَوَسْوَسَتِهِ وَتَثْبيطِهِ وَبَطْشِهِ وَكَيْدِهِ وَمَكْرِهِ وَحبائِلِهِ وَخُدَعِهِ وأمانيه وَغُـرُورِهِ وَفِتْنَتِهِ وَشَرَكِهِ وأحزابه وأتباعه وأشـياعه وأوليائه وَشُرَكائِهِ وَجَميعِ مَكائِدِهِ،...) [١].

وفي هذا إشارة إلى بعض وسائل الشيطان وأسلحته لصرف الإنسان عن الطريق الذي اختاره الله له، وفيما يأتي تعريف بها:

١- الوسوسة:

قال تعالى: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٢].

والوسوسـة هـي: الخطـرة الرديئة والهمـس الخفي- والفرق بين وسـوس له ووسـوس إليه، أن معنى وسـوس إليـه: أنه ألقى إلى قلبـه المعنى بصوت خفي، ومعنـى وسـوس له: أنه أوهمه النصيحـة له في ذلك[٣].

في البدء يعرض الشـيطان لبضاعته عرضًا خفيفًا ليّنًا لطيفًا مؤدبًا سائغًا، يقول للجميـع اعملوا هـذا، افعلوا هكذا، اتركوا هذا الـشيء، لا تقتربوا من هذا، وهكذا يطلبُ منهم فعل أشـياء، أو ينهاهم عن فعل أشـياء أخرى، كُلٌّ ذلك بأن يعرض لهم بعض الصور الخيالية عرضًا سلسًـا، ويورد بعض الأوهام بمقدار مسـاحة عمله وهي مساحة الوهم والخيال ليس إلا، قوة تأثير فقط في مجال العرض على قـوة الوهـم والخيال حيث يحتـل جانباً من النفس الإنسـانية يؤثر عليها، ولكن ليـس مـن حقِّهِ التَّسـلط على كُلِّ قوى النفس الإنسـانية؛ حيـث إن القوة العقلية المجردة (العقل) خارجة عن تخصص الشـيطان ولا يسـتطيع أن يسيطر عليها؛ لأنـه مخلـوقٌ مثـاليٌّ، وعالَمُهُ عالمٌ برزخـيٌّ لا يقوى في الوصـول إلى رتبة التَّجرد

١- مفاتيح الجنان، عباس القمي: ص ٢٠٣.

٢- سورة الناس: الآيتان: ٤، ٥.

٣- الطبرسي: مجمع البيان: ٢/٤٠٦.

العقلي التي لدى الإنسان [١].

حكى السهيلي عن عمر بن عبد العزيز أنَّ رجلاً سأل ربه أن يُريه موضع الشيطان منه، فأراه جسدًا يرى داخله من خارجه، والشيطان في صورة ضفدع بين كتفيه وقلبه، له خرطوم كخرطوم البعوضة، وقد أدخله إلى قلبه يوسوس[٢].

والشيطان حينما يوسوس للبشر؛ فهو قد لا يتراءى له، ولكن يأتيه في صورتين:

أ- الخواطر والإلقاءات الإبليسية: من قبيل الوسوسة والشك والتزلزل والشرك وأشباهها من الخطورات الشيطانية والإلقاءات الإبليسية التي تقذف في قلوب الناس كما أن الطمأنينة واليقين والثبات والإخلاص وأمثالها من الإفاضات الرحمانية والإلقاءات الملكية[٣][٤].

إذن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار؛ فإن كُلَّ مذموم داع إلى الشرِّ سُمي(وسوسة)، وإن كان محمودًا داعيًا إلى الخير سُميّ (إلهامًا)، ومعنى ذلك أنَّ مثل القلب بالنسبة إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب، أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفة، أو مرآة منصوبة يختار إليها صور متباينة، فكما أن هذه الأمور لا تنفكُّ عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن وإرادات الخواطر؛ فلا تزال هذه اللطيفة الإلهية مضمارًا لمطارداتها، ومعركة لجولانها وتزاحمها إلى أن يقطع ربطها عن البدن ولذاته، ويتخلص عن لدغ عقارب الطبع وحياته، ثم لما كان الخاطر أمرًا حادثًا؛ فلا بُدَّ له من سبب؛ فإن

١- خطوات الشيطان، السيد سعيد الأعرجي، دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ص٨٦، ٨٧.

٢- لقط المرجان في أحكام الجان، السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، د. ط، د. ت: ص ٨٥.

٣-(٤) الأربعون حديثًا، الخميني، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص ٤٣٣.

كان سببه شيطانًا؛ فهو الوسوسة، وإن كان ملكًا فهو الإلهام، وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى إغواءً وخذلانًا، وما يتهيأ به لقبول الإلهام يسمى لطفًا وتوفيقًا [١][٢].

ب - الإلهام والخيالات الإبليسية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أخوف ما أخاف عليكم اثنان: إتباع الهوى وطول الأمل، فأمَّا إتباع الهوى؛ فيصدُّ عن الحقِّ، وأمَّا طولُ الأملِ؛ فيُنسي الآخرة))[٢][٣].

إنَّ استيلاء الآمال والرغبات على النفس البشرية يؤدي به إلى نسيان الآخرة، مثله مثل ذلك الحيوان الذي يستمر في الحفر داخل وكره وفجأة ترى سقوط وكره على رأسه ليموت تحت أنقاضه، والإنسان يفعل ذلك في بعض أحيانه حينما يوغل في التخيل والوهم عميقاً حتى يختم الله على قلبه، ويبعثه إلى التي وقودها الناس والحجارة[٣][١].

ومن الخيالات والأوهام ما يرتبط بالدنيا وحبّها، وهو ما يبعث على الجنون في بعض حالاته كما أشار إلى ذلك علماء النفس، ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعدم الانطلاق في صحراء الخيال، لأنه شعبة من شعب الوساوس، وأن مصير الإنسان لا يتعدى أن يكون بيد الحكيم تعالى، وليس بيد الأفكار والخيالات والأوهام [٤][٢].

١-[٢] جامع السعادات، النراقي: ١/١٤٧.

٢-[٣] من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، د. ط، د. ت: ١/٢٤٢.

٣-[١] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ١٨٨.

٤-[٢] المرجع نفسه: ص ١٨٨.

٢- الإغواء:

هـو الإلقـاء في الغي، والغوايـة هي الإضلال بوجـه والهلاك والخيبـة[١][٣]، قال تعـالى:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٢][٤].

وأغوى أي افسـد الاعتقاد، والشـيطان حينما أقسم أن يغوي بني آدم، أي يفسد عليهـم فطرتهم السـليمة والإيمان والتوحيد، ومن ثـم يأمرهم بارتكاب الذنوب فيطيعونه[٣][٥].

فبوسوسـة الشيطان ينحرف الإنسـان عن الصواب، ويدخل في غواية الشيطان، قال تعـالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

٣- التزيين:

أي تجميل الأفعال القبيحة، ويعد من أبرز وسـائل الشـيطان لإضلال الإنسـان، والعقل دائمًا يحكم بحسـن الحسـن وبقبح القبيح، وكذلك الشرع يوافق العقل السـليم في أحكامه ومن ثمة فليس هنـاك تناقض بين حكم الشرع وحكم العقل؛ فيقوم الشـيطان بالإضلال بهذه المعادلة المسـتقيمة؛ فيسـعى إلى تزيين القبيح، وجعل الحسـن مكروهًا لدى النفـس البشرية في غياب العقل[٤][١].

قـال تعالى فيما حـكاه عـن إبليـس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥][٢].

فإذا كان إضلال الناس وإشـاعة الفسـاد بينهم والتحريض على ممارسـة الظلم وتزيـين الحـرام وتقبيح الحلال مـن المهام التي يحرص الشـيطان على تنفيذها

١-[٣] الشيطان، سعيد الاعرجي: ص ٧٣.

٢-[٤] سورة ص: من الآية: ٨٢.

٣- الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ١٩٩.

٤-[٢] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ١٩٢.

٥-[٣] سورة الحجر، الآية: ٣٩.

بـكل ما يسـتطيع فأنها عنـد زرع الأرض كلها بالفتن وتزويـق أباطيلها ونشر الغوايـات في أرجائهـا سـتكون تلك المهام واجبات يقبل بها شـياطين الأنس على أدائها متطوعين بسرور وأحياناً يصورون للناس أنها واجبات مقدسة رغم أنها مهام شـيطانية لا يخفى خبثها [١](٣).

إذن تزيين الشـيطان للإنسـان عمله هو إلقاؤه في قلبه كون العمل حسـناً جميلاً يسـتلذ بـه وذلـك بتهييج قـواه الباطنة وعواطفـه الداخلة المتعلقـة بذلك العمل فينجـذب إليـه قلبه ولا يجد فراغاً يعقل ماله من سـوء الأثر وشـؤم العاقبة.

٤- الإزلال: ويعنـي الإزالـة عـن الحـق، قـال تعـالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٢](٥)، أي أن إبليس أزل أبانا آدم وزوجه، ولكن بماذا ؟ تلك الطبيعة الموجودة عندهما، فأخرجهما من الجنة وأبعدا عن الطبيعة المسخَّرة لهمـا، وهكذا سـوف يزل إبليـس أبناء آدم ويبعدهم عن الجنَّـة في الآخرة، وعمَّا سـخَّر الله للإنسـان في الحياة من النعم إذا أطاعوه[٣](١).

٥- التسويل:

وهو تسـهيل اقتراف الكبائر، والآيـة الكريمـة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [٤](٢) تتحـدث عـن جماعـة مـن المنافقين ارتدوا عـلى أدبارهم عن جهة الحق والهـدى بعدما عرفوها وذلك بتسهيل الشيطان لهم هذا الذنب العظيم؛ لأن الارتداد عن الحق وجماعته، يسبب بلبلة وإرباك في النفوس الضعيفة ويضعف جبهة الحق، ويشـمت العدو ويقوي جبهته وهكذا يسـهل الشـيطان للإنسـان عمل الكبائر الأخرى، ويستدرجه عن

١-(٤) حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني، شاكر عبد الجبار، ط٥، ١٩٩٠م: ص ٨١.

٢-(٥) سورة البقرة: من الآية: ٣٦.

٣-(١) من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: ١/ ١٣٤.

٤-(٢) سورة محمد، من الآية: ٢٥.

طريقها إلى الكفر[١][٣].

ومن تسويلات الشيطان تصوير الباطل وتزيينه، وتمويه الحق وتشويهه فيحسب أنه يحسن صنعًا [٢][٤].

وإلى هذا المعنى يشير الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر: ((فلولا أن الشيطان يخدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقتك هناك)) [٣][٥].

٦- النزغ:

أي الدخول في الأمر لإفساده ومن الأمور التي يسعى الشيطان، ويجهد في إفسادها، وتخريبها وحدة المؤمنين وصلاح ذات بينهم وقوة جماعتهم[٤][٦].

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أن الشيطان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ أن الشيطان كَانَ لِلإنسان عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ [٥][٧].

وفي التفسير أن الشيطان يمشي بين العباد بالعداوة ويبث روح العداء ويستفيد من الكلمات النابية، بل من سقطات اللسان والأخطاء التي يتهاون الناس عادة فيها في بث روح العداء بين المؤمنين[٦][١]. فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشيطان نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أنهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٧][٢].

وقيل النزغ هو الإزعاج والإغراء وأكثر ما يكون حال الغضب، وقيل: هو من

١-[٣] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ١٩٨-١٩٩.

٢-[٤] الشيطان على ضوء القرآن، عادل العلوي: ص ١٠٢.

٣-[٥] الصحيفة السجادية، علي بن الحسين السجاد، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، قم،إيران،ط٢،١٤٢٣هـ:ص١٣٤.

٤-[٦] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٠.

٥-[٧] سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

٦-[١] من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: ٦/٢٤٧.

٧-[٢] سورة فصلت، الآية: ٣٦.

الشـيطان أدنى الوسوسـة والمعانـي متقاربة يرجع معنى الآية السـابقة إلى أنه لو نزغ الشـيطان بأعمالهم المبنية على الجهالة وإسـاءتهم إليك ليسوقك بذلك إلى الغضب والانتقام، فاسـتعذ بالله أنه سـميع عليم [١](٣).

٧- الهمز:

النفـث، النفخ: قال تعـالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُبِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُبِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٢](٤).

والهمـز شـدة الدفـع، وهمـز الشـيطان: دفعه بالإغـواء إلى المعـاصي وذلك عبر الخطـرات التـي يخطرهـا في القلـب وقـد ورد أن الهمـز هو أن يهمز الإنسـان بقـول قبيـح من حيث لا يسـمع، أو يحثـه، ويؤيده على أمر قبيـح أن يغريه به، واللمز اجهر من الهمز، وفي القرآن همزات الشياطين، ولم يقل لمزات؛ لأن مكايد الشـيطان خفية[٣](٥).

ففي ظاهر الإنسـان حواسـه الخمس، تنقل إلى نفسـه أخبار المشتهيات وأحوال الطيبات واللذات، وللنفس جنود خفية تسكن في باطنها، تدرس لها هذه الأخبار، وتشرح لها هذه الأحوال بطريقة مغرية جذابة، ومن هؤلاء الجنود الخيال الذي يحلل ويركب، ويمزج ويفرق، ويبعد ويقرب، حتى تثور، شـهوة النفس، ويغلو ميلها إلى هذا الشيء أو ذاك، فحركة الخيال هي العنصر الذي به تدخل وسوسـة الشـيطان إلى النفـس، ولذلـك كأن محـطَّ خطاب الوحـي ومحل انتبـاه الأنبياء والقـادة المصلحين، ولعل الخيال هو نفـس مجردة قادرة على الظهور بالصورة

١-(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي: ٨/ ٣٨٠، ٣٨١.

٢-(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

٣-(٥) مصطلحـات قرآنيـة، الدكتـور صالح عظيمـة، الجامعـة العالمية للعلـوم الإسلامية، دار الـنصر، لنـدن، د. ط، د. ت: ص ٤١٨.

المناسبة لها[١][٦].

والنفث: ما يلقيه الشيطان من حديث في القلب، والنفخ: الكبر الذي يلقيه في قلب الإنسان [٢][٧].

ولما كان قلب الإنسان محط أسراره ومنبع مشاعره وعواطفه وهو في الوقت نفسه قاعدة انطلاق الشيطان ومركز علمه صار من السهل على الشيطان التدخل السريع في مشاعر الإنسان وأحاسيسه وأفكاره عبر الهمز والنفث والنفخ فيحرفها عن الطريق السليم ويحدث فيها إرباكاً وخلخلة تظهر في سلوك الإنسان ومسيرته ومواقفه في الحياة [٣][١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فأن من تعوذ بالله أعاذه الله، وتعوذوا من همزاته ونفحاته ونفثاته أتدرون ما هي ؟ أما همزاته فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت قالوا: يا رسول الله، وكيف نبغضكم بعدما عرفنا محلكم من الله ومنزلتكم))؟

قال صلى الله عليه وآله: تبغضوا أولياءنا، وتحبوا أعداءنا، قالوا يا رسول الله وما نفحاته؟

قال: هي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان بما يهلكون به، أتدرون ما اشتد ما ينفخون؟ وهو ما ينفخون بأن يوهموا أن أحدًا من هذه الأمة فاضل علينا أو عدل لنا أهل البيت، وأما نفثاته: فإنه يرى أحدكم أن شيئًا بعد القرآن أشقى له عن ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا[٤][٢].

١-[٦] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٥، ٢٠٦.

٢-[٧] المصدر نفسه: ص ٢٠٦.

٣-[١] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٧.

٤-[٢] بحار الأنوار، المجلسي: ٦٣/ ٢٠٤.

٨- النجوى:

قال تعالى: ﴿أَنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[١][٣]، والنجوى يعني أن يتكلم همسًا أحد الجليسين مثلاً في إذن الأخر مع حضور الآخرين [٢][٤]

وعادة ما تكون النجوى في مجال الشرِّ والباطل، كالتآمر أو الغيبة والتهمة والسخرية ونشر السلبيات والهمز واللمز للآخرين، وكل ذلك يستغله الشيطان ويستفيد منه في زرع الفتن وبذر الاختلاف والفرقة بين الناس، مما ينتج أن تثور العداوة والانطباع السيء بين الجمع من الناس[٣][٥]. فقد جاء في تفسير قوله تعالى:﴿أنما النجوى مِنَ الشيطان﴾[٤][٦].

الشيطان العدو الأول والأخطر للإنسان المؤمن، وإنما يتناجى المنافقون مع بعضهم لتلك المضامين السيئة؛ لأنه كان يأمرهم بذلك، ولكل نجوى سلبية فهي بدوافع شيطانية، كالهوى والطمع والمصالح المادية، ولعلَّ الآية تدل على أنَّ الأصل في النجوى الكراهة؛ لأنَّهَا فطنة الغيبة والتهمة ومركز المؤامرة[٥].

٩- الرؤيا المزعجة وحديث النفس:

وغرضها إيذاء المؤمنين وإزعاجهم نفسيًّا عبر ارآءتهم ما يكرهونه، ويخافون منه في المنام، وعبر بث الإيحاءات السيئة، والهموم المغلقة في نفوسهم؛ فينشغلون بالتفكير في همومهم الشخصية كالمرض، والمعاش والعيال، والعمل وغيرها وبذلك يسلبهم الشيطان التركيز والاندفاع في واجباتهم ومسؤولياتهم، وقد تكون تلك الهموم واقعية أحيانًا، وقد تكون وهمية في أغلب الأحيان[٦].

١-[٣] المجادلة، من الآية: ١٠.

٢-[٤] الشيطان على ضوء القرآن، حسين سليمان: ص ١١١، ١١٢.

٣-[٥] الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٨.

٤-[٦] المجادلة، من الآية: ٩.

٥- من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: ١٥/١٦٧.

٦- الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٩.

روي عـن أبـي عبد الرحمن قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا ولد؛ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أنه ليس من أحد إلا ومعه ملكٌ وشيطانٌ؛ فإذا كان فرحه كأن دنو الملك منه، وإذا كان حزنه كأن دنو الشيطان [١].

١٠- الإيحاء:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٢].

والإيحاء هو ما يلقيه الشـيطان في قلب الإنسـان من حديث، وهو خاصٌّ بأوليائه لتقويتهم على مواجهة الحقِّ والجدل بالباطل[٣].

جـاء في التفسـير: والإثم هو مـا شرعه الله لا ما يوحيه الشـيطان مثلاً: لا يجوز أكل الذبيحـة التـي لم يذكر اسـم الله عليها حين تذبح لأنها فسـق يدل على حالة الانفصـال بين الناس ومبادئه، والشـياطين يجادلون في الحقِّ، ويحاولون تمييع الواجبات وأن يقولوا ما هو الفرق بين الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها وبين الأخـرى؟ دون أن يضعوا القضيـة في إطارها العام ليعرفوا أن ذلك مرتبط بكل سلوك البشر[٤].

أمَّـا الإمـام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فـكان يحـذِّرُ - في دعائه – من الشـيطان ووسـائله وأسـاليبه، فكان يقول: (فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص، ولـولا أنـه صور لهم الباطـل في مثال الحق ما ضل عـن طريقك ضال) [٥].

إن الشـيطان في الحوض المعرفي الأخلاقي لدى الإمام السـجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يمثل منبع

١-(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٣/ ١٩٤.
٢- الأنعام، من الآية: ١٢١.
٣- الشيطان في الفكر الإسلامي، حسين سليمان: ص ٢٠٥.
٤- من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: ٣/ ١٧٧.
٥- الصحيفة السجادية، الدعاء: ٣٧.

الشرور والأخلاق الرديَّـة، وأن انتصـار النفس على جنوده يمثل انتصار الإنسـان نفسـه على الشيطان ذاته، وما تزال الحرب سجالاً بينهما منذ فجر الخليقة وحتى يـوم الناس هذا، ما بين كـرٍّ وفرٍّ حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

المصادر والمراجع

١. أثـر قيـم عصر النبـوة في مواجهة مخاطـر العولمة، محمود تركـي اللهيبي، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، العدد ٤٨، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢. الاحتجـاج، أبي منصـور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: محمد باقر الخرسـان، دار النعمان للطباعة والنشر، د. ط، د. ت.

٣. الإخلاص وأثره في قبول الأعمال، عبد الله محمد بن محمد الطيار، الأسـتاذ بجامعة الأمام أحمد بن سعود الإسلامية بالرياض، د.ت.

٤. الأخلاق الإسـلامية وأسسها: عبد الرحمن حسـن حبنكة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، د. ت.

٥. الأخـلاق الإسـلامية وأسسـها، عبـد الرحمن حسـن حنبكـة الميدانـي، دار العلـوم، دمشـق، ط١، ١٩٨٧م.

٦. الأخـلاق الإسـلامية وأسسـها، لعبـد الرحمن حسـن الميدانـي، دار المعرفة، بـيروت – لبنـان، د. ط، د. ت.

٧. الأخـلاق التطبيقيـة في الشريعـة الإسـلامية، محمـد ماجد عـتر، دار النهج، حلـب ط١، ٢٠٠٦.

٨. الأخـلاق بـين الفلاسـفة وعلماء الإسـلام، د. مصطفـى حلمـي، دار الكتب العلمية بـيروت ط١، ٢٠٠٤.

٩. الأخـلاق وآداب التعامـل في الإسـلام، د. عـلي قائمـي، دار البلاغـة للطباعة والنـشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١ م.

١٠. أخلاقنـا، محمد ربيع جوهـري، دار الفجر الإسـلامية، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١. الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٩هـ.
١٢. الأربعون حديثًا، الخميني، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٣. الارتباط بين الدين والخُلُق د. وهبة الزحيلي مجلة الوعي الإسلامي الكويتية عدد ١٢١.
١٤. أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشَرِي (ت: ٥٣٨هـ)، تَحْقِيق: عَبْد الرحيم محمود، مطبعة أورفاند بالقاهرة، ط١، ١٩٥٣م، وهي طبعة مصورة عَلَى طبعة دَار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ.
١٥. الأسعار وتخصيص الموارد في الإسلام: د. عبد الجبار حمد السبهاني، وهي أطروحة دكتوراه مجازة من كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٤١١ هـ-١٩٩٠م.
١٦. الإسلام والتنمية الاجتماعية: د. محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، د. ط، ١٩٩٢م.
١٧. أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن، طبعة دار الأمام الأعظم النعمان بن ثابت، لبنان – بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
١٨. اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليه السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ.
١٩. أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الامين، مطبعة الانصاف، بيروت، د. ط، ١٩٥٩م.

٢٠. الإفصاح في الإمامة، للشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد(ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ.

٢١. الاقتصاد الإسلامي مفاهيم ومرتكزات، د. منذر محمد قحف، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢٢. الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية، د. محمود محمد بابللي، دار الكتب، بيروت – لبنان، د. ط،١٩٨٠ م.

٢٣. الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، دار الأمير، د. ط، ١٤٣٣هـ.

٢٤. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ.

٢٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣هـ.

٢٦. البرهان المؤيد، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.

٢٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (ت: ٢٨٢هـ)، نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، د. ط، ١٤١٣هـ.

٢٨. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام الحائري: جعفر عباس: المؤلف، تحقيق: جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، طبع ونشر: دار الحديث للطباعة والنشر. ط١، ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش.

٢٩. التأثر بالقرآن الكريم عند الإمام السجاد(عليه السلام) في الصحيفة

السـجادية، أ. م. د خولـة مهـدي شـاكر الجراح.
٣٠. تَـاج العَرُوْس من جَوَاهِر الْقَامُوس، لمحيي الدِّين أَبِي الْفَضْل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الْحَنَفِيّ الزَّبَيْدِيّ(ت: ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بَيْرُوْت، د. ط، د. ت.
٣١. تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، محمّد بـن محمّد بـن عبد الـرزّاق الحسـيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيـق: مجموعة من المحققين، بدون طبعـة، دار الهدايـة، بـيروت، د. ط، د. ت.
٣٢. تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، محمّد بـن محمّد بـن عبد الـرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت.
٣٣. تجريـد التوحيد المفيـد: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسـيني العبيـدي، تقـي الديـن المقريـزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: طه محمـد الزيني، الجامعة الإسـلامية ـ المدينة المنورة، د. ط، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م.
٣٤. تذكرة الخواص، لسـبط بن الجوزي: ص٢٩١؛ عبـادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفـة السـجادية، باقـر شريف القـرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيق: مهـدي باقر القرشي، د. ط، د. ت.
٣٥. التعريفـات، علي بـن محمد بن عـلي الجرجاني، تحقيق: إبراهيـم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ.
٣٦. التعليقات، ابن سـينا، تحقيق وتقديم: د. حسـن مجيد العبيدي، دار الفرقد، سوريا – دمشق، د. ط، ٢٠٠٩م.
٣٧. تفسـير مجمع البيان، لأبي على الفضل بن الحسـن الطبرسي(ت: ١١٥٤هـ)، المجمـع العالمي لأهل البيت، د. ط، د. ت.

٣٨. تقويم الأخلاق والسلوك في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، محمد كرم الله محمد، الرياض، د. ط، ٢٠١٣م.

٣٩. تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، تصنيف: العلامة سعيد عبد اللطيف فودة، نشر ومراجعة: دار الرازي للطباعة والنشر- عمان – الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٠. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ط٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧م.

٤١. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٢هـ-١٩٨٥م.

٤٢. الجمهورية، أفلاطون، ترجمة، حنا خبار، ط٢، دار العلم، بيروت– لبنان، ١٩٨٠م.

٤٣. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين الشيرازي، دار احياء التراث، بيروت، د. ط، ١٤١٩.

٤٤. خطوات الشيطان، الأعرجي، السيد سعيد، دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٥. دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ جميل مال الله الربيعي، ط١، د. ت.

٤٦. الدعاء للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٧. ديوان زهير بن أبي سلمى اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة،

بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.

٤٨. الرسائل العشرة، شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، (ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – ايران، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٩٤. رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة، د. ط، د. م، د. ن، د. ت.

٥٠. رفع الاستار لإبطال أدلة فناء النار، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني(ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ.

٥١. رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين، محمد بن محمد الدارابي، دار الاسوة، طهران، د. ط، ١٤٢٩هـ.

٥٢. سُنَن ابْنُ مَاجَهْ، لأبي عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّد بن يَزَيْد القَزْويني (ت: ٢٧٣هـ)، تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي، دَار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت، د. ط، د. ت.

٥٣. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق – بيروت، د. ط، د. ت.

٥٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، واخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.

٥٦. شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٧. شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، د. ط، ٢٠٠٨م.

٥٨. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، د. ط، د. ت.

٥٩. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، القبانجي: السيد حسن السيد علي، مطبعة الآداب النجفد. ط، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٦٠. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمه الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١ه)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ م.

٦١. الشيطان أساليبه...آثاره، السيد سعيد الأعرجي، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان.، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٣. الصِّحَاح تَاج اللغة وصحاح العَرَبِيّة، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تَحْقِيق: أَحْمَد عَبْد الغَفُوْر عطا، دَار العلم للملايين، بَيْرُوْت، لَبْنَان، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٦٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب

الأرنـؤوط، ط٢، ١٩٩٣م.

٦٥. صحيـح ابـن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٦. الصحيفـة السـجادية الكاملة، الإمام زيـن العابديـن (ع)،(ت:٩٤)،تحقيق: خط: حاج عبد الرحيم أفشـاري زنجاني، مؤسسـة النشر الإسـلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د. ط، ١٤٠٤هـ.

٦٧. الضوابـط الأخلاقية للتعامل الاقتصادي في الحديـث النبوي الشريف، احمد سلمان عبيد المحمدي، د. ط، د. ت.

٦٨. طريقـك إلى الإخلاص والفقـه في الدين: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٦٩. العـدة في أصـول الفقـه، لأبـي يعـلى الفـراء، تحقيـق: د. أحمـد بـن عـلي بـن سـير المباركـي، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧٠. عـصرة المنجـود في علـم الـكلام، العلامة زين الديـن بن علي بـن محمد بن يونس العاملي البياضي (ت: ٨٧٧هـ)، تحقيق: حسـين التنكابيني، مؤسسـة الإمام الصادق عليه السـلام، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

٧١. عقائد الإسـلام وطرق التقـرب الى الله تعالى: العلامـة محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي، (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: الشيخ سالم الكاظمي البغدادي، دار الهداية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٢. العقيـدة مـن خلال الفطـرة في القرآن، الشـيخ جوادي آمـلي، دار الصفوة، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٣. علـم الأخـلاق الإسـلامية مقـداد يالجـن، دار عالـم الكتب، الريـاض، ط١،

١٩٩٢م.

٧٤. علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧٥. علم النفس، د. أحمد حسن، طبعة بغداد ١٩٦٤م.

٧٦. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.

٧٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بدون طبعة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، د. ت.

٧٨. العين، لأبي عَبْد الرَّحْمَنِ الخليل بن أَحْمَد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تَحْقِيق: د. مهدي المخزومي، د. إبْرَاهِيم السامرائي، دار الحرية للطباعة والنشر، بَغْدَاد، ط١، طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م

٧٩. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة موفق الدين ابي العباس احمد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٨٠. غرِيب الْحَدِيث، لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّمٍ الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تَحْقِيق: د. مُحَمَّد عَبْد المعيد خان، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوْت، ط١، ١٣٩٦هـ.

٨١. الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)، علي بن محمد بن أحمد المالكي، الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.

٨٢. فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف: د. خالد علي العنبري، دار المنهاج، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤ م.

٣٨. في ضلال الصحيفة السجادية، الشيخ محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي

الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، د. ت.
٤٨. في ضلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، لبنان، ط٢، د. ت.
٨٥. الْقَامُوس الْمُحِيط، لأبي الطَّاهِر مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصِّدِّيقي الشيرازي، (ت: ٨١٧هـ)، المؤسسة العَرَبِيّة للطباعة والنشر، بَيْرُوْت – لَبْنَان، د. ط، د. ت.
٨٦. القرآن والطبائع النفسية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العماري: علي محمد حسن، اللجنة العامة للقرآن والسنة،١٣٨٦ هـ-١٩٦٦ م
٨٧. القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي (ت: ١٣٥٩)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسين، نشر الهادي، قم، د. ط، ١٤١٩هـ.
٨٨. القيادة في ضوء القران الكريم، أ. م. د. عبد الوهاب أسماعيل الاعظمي بحث مقدم الى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، قسم الشريعة.
٨٩. الكافي، لأبي جعفر بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الاسلامية، مطبعة الحيدري، ط٣، ١٣٨٨هـ.
٩٠. الكافي، للكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، د. ت.
٩١. الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، الأخراج الفني: نصير شكر، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م.
٩٢. كلمات في الأخلاق الإسلامية، كمال محمد عيسى، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، د. ط، ١٩٨٨م.
٩٣. لقط المرجان في أحكام الجان، السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.، د. ط، د. ت.

٩٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٩٥. ماذا بعد الموت، محمد حسين الطباطبائي(ت: ١٩٨١م)، مؤسسة المحبين، قم،ط٢،١٤٢٥هـ.

٩٦. المبادئ السياسية والأخلاقية عند الملك ريشارد، تحليل السياسة الخارجية، تأليف ريتشارد إن، مطبعة ليسنغن، لندن، د. ط، ١٩٧٥م.

٩٧. المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض، د. ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٨. مجمع البحرين، لفخر الدِّين الطريحي(ت: ١٠٨٥هـ)، تَحْقِيق: أَحْمَد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإِسْلامِيّة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٩٩. مجمع البيان في علوم القرآن، الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨ هـ)، مطبعة رويال كرافك، القاهرة، د. ط، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.

١٠٠. مَجْمَع الزَّوَائِدِ ومَنْبَع الفوائد؛ لنور الدِّين علي بن أَبِي بَكْرٍ الهَيْثَمي (ت: ٨٠٧هـ)، دَار الريان للتراث، بَيْرُوْت، ودَار الكِتَاب العَرَبِيّ، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ

١٠١. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦ م.

١٠٢. المذكر والمؤنث، ابن التستري، القاهرة، دار الكتب بمصر، ١٩٨٣م.

١٠٣. المسائل العقدية في الصحيفة السجادية- دراسة استقرائية وصفية

-، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد من قبل الطالب حازم عباس نعمان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي، بإشراف أ. م. د. مروان عطا مجيد ١٤٣٩هـ- بغداد- ٢٠١٨م .

١٠٤. مُسْنَد أَحْمَد بن حنبل، لأبي عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَد بن حنبل الشَّيْبَانِيّ (ت: ٢٤١هـ)، شرحه ووضع فهارسه: أَحْمَد مُحَمَّد شاكر، دَار المعارف للطباعة والنشر بمصر، د. ط، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م.

١٠٥. الْمِصْبَاح الْمُنِير فِي غَرِيب الشَّرْح الكَبِيْر؛ لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ (ت: ٧٧٠هـ)، تصَحِيْح: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

١٠٦. الْمُصَنَّف، لأَبِي بَكْرٍ عَبْد الرَّزَّاقِ بن هَمَّام الصَّنْعَاني(ت: ٢١١هـ)، تَحْقِيق وتَخْرِيْج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإِسْلامِيّ، بَيْرُوْت، ط٢، ١٤٠٣هـ

١٠٧. معارج الفهم في شرح النظم، العلامة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة،ط١، ١٤٣٠هـ.

١٠٨. معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، عصام عبد المحسن الحميدان، عبد الرحمن عبد الجبار هوساوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٠٩. معاني الأخبار، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المعرفة، (١٣٩٩هـ)، د. ط، د. ت.

١١٠. معجم مقاليد العلوم، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١١١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٢٣هـ.

١١٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٣. المعروف، مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط،١٤٣٥هـ.

١١٤. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١١٥. مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٣، ١٤٢٠هـ.

١١٦. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - الدار الشامية، د. ط، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م.

١١٧. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١١٨. المفردات فِي غَرِيب الْقُرْآن، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، أعده للنشر وأشرف عَلَى الطبع: د. مُحَمَّد أَحْمَد خلف الله مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، د. ت.

١١٩. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، (ت: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢٠. مـن هدى القـرآن، محمد تقي المـدرسي، دار البيان الغـري، بيروت، د. ط، د. ت.

١٢١. مناهـج الأدلـة في عقائد الملة، ابـن رشـد (ت: ٥٩٥هـ)، تقديم وتحقيق: محمود قاسـم، مكتبة الأنجلو المصريـة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٩م.

١٢٢. موارد الضمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسـان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسـن السلمان (ت: ١٤٢٢هـ)، ط٣٠، ١٤٢٤هـ.

١٢٣. الموافقـات في أصـول الشريعـة إبراهيـم بن مـوسى اللخمـي الغرناطي المالكـي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.

١٢٤. المواقـف في علـم الكلام، عضد الدين عبـد الرحمن بن احمد الأيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيـق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٢٥. المواقـف، عضـد الديـن عبـد الرحمن بـن أحمـد الإيجي، تحقيـق: عبد الرحمـن عمـيرة، دار الجيـل، بـيروت، د. ط، د. ت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢٦. الموسـوعة الْفِقْهِيَّـة، لمجموعة مـن المؤلفين، وزارة الأوقاف والشـؤون الدِّينيـة، الكويت، ط١، ١٩٩٠م.

١٢٧. الموسـوعة الفلسـفية المختـصرة، ديـكارت، ترجمـة: نجيـب محمـود وآخـرون، مكتبـة الأنجلـو المصريـة، القاهـرة، د. ط، د. ت.

١٢٨. موسـوعة أهـل البيـت الكونيـة (النفـس وأحوالهـا)، محمـد طاهـر القزوينـي، ط١ (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، سـحر للطباعة والنشر بـيروت-لبنان

١٢٩. موسـوعة نـضرة النعيـم في أخلاق الرسـول الكريم؛ للشـيخ صالح بن حميد وآخرون، دار الوسـيلة جـدة ط١، ١٩٩٨م.

١٣٠. مئـة موضـوع أخلاقـي في القرآن والحديـث، ناصر مكارم الشـيرازي،

ش، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٣ هـ.

١٣١. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت.

١٣٢. النظرية الاقتصادية في ظل الإسلام، د. فكري أحمد نعمان، دار القلم، دبي، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥ م.

١٣٣. النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

١٣٤. النكرة في سياق النفي تفيد العموم، ظ: معالم الدين وملاذ المجتهدين، جمال الدين الحسن زين الدين العاملي (ت: ١٠١١هـ)، مؤسسة النشر، الإسلامي، قم المقدسة، ط١٢، د. ت.

١٣٥. نهاية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٩٨١م)، تعليق الشيخ عباس علي الزراعي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٥، ١٤٣٠هـ.

١٣٦. النِّهَايَة فِي غَرِيب الْحَدِيث والأثَر، لأبي السعادات مجد الدِّين بن أَبِي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجزري المعروف بابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ)، تَحْقِيق: طاهر أَحْمَد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بَيْرُوْت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣٧. نهج البلاغة منسوب للإمام علي بن ابي طالب، تحقيق: الشيخ محمد عبده، ط١، د. ت.

١٣٨. نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، السيد نعمة الله الجزائري، أميران، ايران، د. ط، ١٤٢٧هـ.

فهرست

مقدمة الكتاب ٥

الفصل الأول : الإطار المفاهيمي ١٠

المبحثُ الأوَّل : محدِّداتٌ معرفيَّةٌ، ومصطلحاتٌ مفاهيميَّةٌ ١٠

المبحث الثاني : مفهوم الأخلاق ١٤

الفصل الثاني: الاستقامة العقدية في الباراديغم الأخلاقي عند الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ٤٠

المبحث الأول : معرفة الله تعالى..... ٤٣

المطلب الأول: صحة الإيمان وعلاقتها بالأخلاق. ٤٣

المطلب الثاني : وحدانية الله وخلع مظاهر الشرك والضلال. ٥٣

المطلب الثالث : الصفات الجمالية. ٦٥

المبحث الثاني : معرفة الرسل والرسالات..... ٧٢

المبحث الثالث : المعاد..... ٩١

المطلب الثاني :آثار الاعتقاد بالمعاد..... ٩٥

الفصل الثالث: النفس، ومعالم التزكية في نهج الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ١١٩

المبحث الثاني : النفس ومعرفة ما لها، وما عليها..... ١٣٤

المطلب الثاني : إخلاص العبادة ١٦٦

المطلب الثالث : شكر المنعم وعدم كفر النعم. ١٧٤

المبحث الثالث : آثار الباراديغم الأخلاقي لدى الإمام السجَّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ١٩٨

المطلب الأول: احترام حقوق الآخرين وحسن معاملتهم ١٩٨

المطلب الثاني : تفعيل الأساليب الوسطية الحسنة في معاملة الآخرين. ٢١٦

المبحث الرابع : الشيطان وأثره في فساد النفس..... ٢٢٧

المصادر والمراجع ٢٤٠